

مجلة جسور المعارف

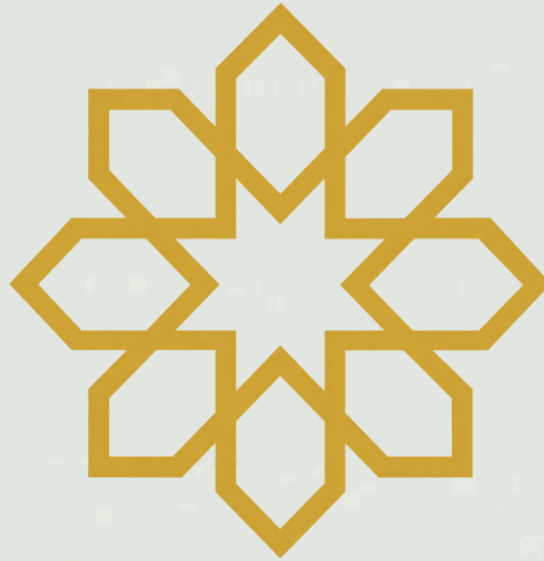
JOSSOOR AL-MAAREF

مجلة علمية أكاديمية محكمة، نصف سنوية، تهتم بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية

الدكتور علي قاسمي

المدير المسؤول ورئيس التحرير

العدد الأول – أكتوبر 2026 Issue 1 – October 2026



رقم الصحافة: 2026/06

info@jossouralmaarif.com



مجلة جسور المعارف

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تعنى بنشر البحوث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية

JOSSOOR AL-MAAREF JOURNAL

A Biannual Peer-Reviewed Scientific Journal

Dedicated to Research and Studies in the Humanities, Social Sciences, and Legal Studies

مدير المجلة ورئيس التحرير

د. علي قاسمي

Journal Director and Editor-in-Chief

Dr. Ali Kassmi

info@jossouralmaarif.com

+212700848918

رقم الصحافة: 2026/06

لا تعبر المقالات والأبحاث المنشورة في مجلة جسور المعارف إلا عن آراء أصحابها، ويتحمل الباحثون وحدهم المسؤولية الكاملة عن صحة البيانات والمعلومات الواردة في أبحاثهم ودقتها، وعن سلامة التوثيق والإحالات، وعن كل ما قد يترتب على الإخلال بقواعد الأمانة والنزاهة العلمية.

جميع الحقوق محفوظة

المملكة المغربية

الدكتور عبد القادر زريق، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب

الدكتور بلال المنعيم، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب

الدكتور أحمد جوهاري، جامعة ابن طفيل - المغرب

الدكتور عادل العناز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب

الدكتور إبراهيم عمي، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة طنجة تطوان الحسيمة

الدكتور عادل الوادي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب

الدكتور الخليل الجعادي، جامعة عبد المالك السعدي - المغرب

الدكتورة سمح أبو رياش، محاضرة في مراكز تطوير المعلمين - فلسطين

الدكتورة أحلام علي محمد عبد الصمد، جامعة الزيتونة - ليبيا

الدكتور الأمين شريف سيد الهادي، جامعة العيون الإسلامية - موريتانيا

الدكتور رشيد ازويان، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب

الدكتور رشيد الرباج، جامعة عبد المالك السعدي - المغرب

الدكتور محمد أزهر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب



- ☐ ينبغي أن يكون البحث أصيلاً غير منشور سابقاً، وغير مقدّم للنشر لجهة أخرى، وألا يكون مقتبساً أو مستلاً من كتاب مطبوع.
- ☐ أن يكون صحيح اللغة، سليم الأسلوب، واضح الدلالة.
- ☐ يشترط ألا يزيد حجم البحث على ثلاثين صفحة، دون احتساب قائمة المراجع والملاحق.
- ☐ تُقبل البحوث باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية.
- ☐ خطوط اللغة العربية: يعتمد فقط خط **Traditional Arabic**، وبمقاس 16 في المتن دون تضخيم، و12 في الحواشي دون تضخيم، وفي العناوين الأساسية: مقاس 16 غليظ.
- ☐ خطوط اللغات الأجنبية: يعتمد فقط خط **Times New Roman**، وبمقاس 14 في المتن، و12 في الحواشي، وفي العناوين الأساسية: مقاس 16 غليظ.
- ☐ إضافة مسافة في السطر الأول من كل فقرة بمقاس 1 سم.
- ☐ تُضبط هوامش الصفحة من جميع الجهات على 2.5 سم، وتُحدّد المسافة بين الأسطر في 1.15 سم في المتن والهوامش.
- ☐ تكتب الآيات القرآنية برواية ورش عن نافع، بخط مقروء.
- ☐ تكون الإحالات القرآنية في المتن على الشكل الآتي: [الفاحة: 3]
- ☐ تكون الإحالات الحديثية في الهامش على الشكل الآتي:
- ☐ مثال 1: صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى، رقم الحديث ...
- ☐ مثال 2: سنن الترمذي: كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا، رقم الحديث....
- ☐ توثيق الكتب والمقالات:
- ☐ مثال 1: طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائث الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 1، 2000م، ص:

□ مثال 2: القحطاني محمد، أثر الذكاء الاصطناعي في تطوير التعليم العالي، المجلة العربية للتربية، عدد: 15، سنة 2021م، ص:

□ قائمة المصادر والمراجع مرتبة ترتيبا هجائيا.

□ يرسل البحث بصيغتي pdf و word

ترسل الأعمال عبر البريد الإلكتروني الرسمي لمجلة جسور المعارف

info@jossouralmaarif.com



محتويات العدد الأول

- 5.....محتويات العدد
- 6.....تقديم العدد
- 8.....القراءة النسوية للنص القرآني: دراسة تطبيقية
- د. علي قاسمي
- 23.....مداخل التربية الإسلامية دوافع ومحفزات للجدّ في التعلم
- د. إبراهيم عمي
- مفهوم التزئيل القرآني وأهمية اعتماد منهجه في تحقيق كفايات القراءة القرآنية لمدرسي مادة التربية الإسلامية
- 41.....بالمدراس العليا لتكوين الأساتذة بالمغرب
- د. عادل الوادي
- 68.....إشكالية رقمنة المواد التطبيقية في التعليم العالي: قراءة في تجربة الكارطوغرافيا
- ذ. محمد باحو- دة. نادية مشوري- د. عبد العزيز باحو
- تحولات النظام الانتخابي بالمغرب وأثرها في تشكيل الخريطة السياسية: من الاقتراع الفردي إلى استحقاقات
- 105.....2026
- د. علي قاسمي
- 116.....النشيد الوطني المغربي نظرات في تصاقب الكلم والنغم
- د. عادل الوادي
- 126.....مشكلة الذهن في الفلسفة العصبية: ليكوف نموذجاً
- د. أحمد جوهاري

تقديم العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرّ هيئة تحرير مجلة جسور المعارف أن تضع بين أيدي القراء والباحثين عددها الأول، إيداناً بانطلاق مشروع علمي يسعى إلى الإسهام في نشر البحث الأكاديمي الرصين، وفتح فضاء علمي للحوار بين مختلف فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية والتربوية، في أفق بناء معرفة تتسم بالجدية والتعدد والانفتاح، وتستجيب في الآن نفسه لقضايا المجتمع وتحولاته وأسئلته المتجددة.

ويعكس هذا العدد الأول الرؤية التي تتبناها المجلة منذ انطلاقتها؛ وهي رؤية تقوم على الجمع بين أصالة الموضوعات وحداثة الإشكالات، وبين البعد النظري والتطبيق العملي، مع الحرص على إتاحة المجال أمام دراسات تنتمي إلى حقول معرفية متعددة، غير أنها تلتقي جميعاً في سعيها إلى الفهم والتحليل والنقد والإسهام في تطوير المعرفة.

ويفتح العدد ببحث حول «القراءة النسوية للنص القرآني: دراسة تطبيقية»، وهو موضوع يندرج ضمن النقاشات المعاصرة المتصلة بمناهج قراءة النص القرآني، وما أثارته المقاربات النسوية من أسئلة تتعلق بالمرجعيات التأويلية، ومناهج الفهم، وحدود إعادة قراءة النصوص الدينية في ضوء التحولات الفكرية والاجتماعية الحديثة. وتزداد أهمية هذا الموضوع بالنظر إلى الحاجة إلى دراسات تطبيقية تتجاوز العرض النظري إلى تحليل النماذج ومناقشة مرتكزاتها ونتائجها.

وفي المجال التربوي، يقدم العدد دراسة بعنوان «مداخل التربية الإسلامية دوافع ومحفزات للجدّ في التعلم»، وهي دراسة تعيد النظر في الوظيفة التربوية لمادة التربية الإسلامية، من خلال إبراز ما تتضمنه من قيم ومحفزات قادرة على تنمية الجدية والانضباط والدافعية إلى التحصيل، بما يجعلها عنصراً فاعلاً في بناء شخصية المتعلم وليس مجرد مادة معرفية مستقلة عن باقي مكونات العملية التعليمية.

ويتصل بذلك البحث الموسوم بـ «مفهوم الترتيل القرآني وأهمية اعتماد منهجه في تحقيق كفايات القراءة القرآنية لمدرسي مادة التربية الإسلامية بالمدارس العليا لتكوين الأساتذة بالمغرب»، الذي يعالج إشكالية ذات صلة مباشرة بجودة تكوين المدرسين، من خلال استحضار مفهوم الترتيل باعتباره منهجاً في الأداء القرآني، وما يمكن

أن يتيح من إمكانيات لتطوير الكفايات القرائية لدى مدرسي التربية الإسلامية، وربط التكوين الأكاديمي بالممارسة التعليمية الصفية.

أما في حقل التعليم العالي والتحول الرقمي، فيتناول بحث «إشكالية رقمنة المواد التطبيقية في التعليم العالي: قراءة في تجربة الكارطوغرافيا» التحديات التي يطرحها الانتقال من التعليم التطبيقي الحضورى إلى صيغ رقمية، ولا سيما في التخصصات التي تقوم على الممارسة والتفاعل المباشر مع الأدوات والخرائط والمعطيات الميدانية. وهو موضوع يندرج ضمن الأسئلة الكبرى التي تواجه الجامعة في سياق التحول الرقمي المتسارع.

ويحتضن العدد كذلك دراسة في العلوم السياسية بعنوان «تحولات النظام الانتخابي بالمغرب وأثرها في تشكيل الخريطة السياسية: من الاقتراع الفردي إلى استحقاقات 2026»، تبحث في تطور القواعد الانتخابية بالمغرب وما ترتب عنها من آثار في تمثيل القوى السياسية وفي بنية المشهد الحزبي، في إطار قراءة تتبع مسار التحولات القانونية والسياسية وصولاً إلى الاستحقاقات المقبلة.

ويختتم العدد ببحث ذي طبيعة لغوية وأدبية وموسيقية بعنوان «النشيد الوطني المغربي: نظرات في تصاقب الكلم والنغم»، يقدم قراءة في العلاقة بين البنية اللفظية والإيقاعية في النشيد الوطني، بما يكشف عن أحد أوجه التفاعل بين اللغة والموسيقى والهوية الوطنية.

إن هذا التنوع في موضوعات العدد الأول ليس مجرد جمع بين تخصصات متباعدة، وإنما يعبر عن فلسفة المجلة القائمة على مدّ الجسور بين الحقول المعرفية، وإتاحة المجال أمام الدراسات التي تسائل النص والواقع، والتراث والحداثة، والتعليم والمجتمع، والسياسة والثقافة، ضمن رؤية علمية منفتحة تحترم قواعد البحث والتحكيم والأمانة العلمية.

وإذ تضع مجلة جسور المعارف عددها الأول بين أيدي القراء والباحثين، فإنها تأمل أن يكون بداية لمسار علمي جاد ومتراكم، وأن تسهم أعدادها المقبلة في إثراء النقاش الأكاديمي، وتشجيع الباحثين على تقديم دراسات أصيلة تجمع بين جودة المنهج ووضوح الإشكال وأصالة النتائج.

ويشتمل العدد أيضاً على دراسة بعنوان «مشكلة الذهن في الفلسفة العصبية: ليكوف نموذجاً»، تتناول إشكالية الذهن في ضوء الفلسفة العصبية، من خلال تحليل تصور جورج ليكوف للعلاقة بين العقل والجسد واللغة، وإبراز أثر المعطيات العصبية والمعرفية في إعادة النظر في التصورات التقليدية لطبيعة الذهن وبناء المعنى.

هيئة التحرير/ العدد الأول

القراءة النسوية للنص القرآني: دراسة نظرية تطبيقية

د. علي قاسمي أستاذ بالمدرسة العليا للأستاذة/ جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

في سياق التحولات الفكرية والمعرفية التي شهدتها العالم المعاصر، برزت قراءات جديدة للنصوص الدينية، تسعى إلى إعادة النظر في مناهج الفهم والتأويل، ومن أبرز هذه القراءات ما يُعرف بـ "القراءة النسوية للنص القرآني"، التي تمثل امتداداً لتقاطع حقول معرفية متعددة، من بينها الدراسات القرآنية، واللسانيات، والهرمنيوطيقا، والدراسات الجندرية. وقد جاءت هذه القراءة استجابةً لجملة من الإشكالات التي أثارها الحركات النسوية الحديثة، خاصة فيما يتعلق بموقع المرأة في الخطاب الشرعي، وحدود تمثيلها في تفاسير القرآن الكريم، ومدى تأثير السياقات الثقافية والاجتماعية في تشكيل الفهم الديني.

إن القراءة النسوية للنص القرآني لا تندرج ضمن اتجاه واحد متجانس، بل تتوزع إلى مقاربات متعددة، تختلف في منطلقاتها الفلسفية ومرجعياتها المعرفية؛ فمنها ما ينطلق من داخل المرجعية الإسلامية، محاولاً استنطاق النص القرآني ذاته للكشف عن أبعاده التحررية والإنسانية، ومنها ما يتكئ على نظريات نقدية حديثة، كالنقد التفكيكي والهرمنيوطيقي، لإعادة قراءة النص في ضوء مفاهيم المساواة والعدالة الجندرية. وفي هذا الإطار، برزت أسماء بحثية معاصرة سعت إلى مساءلة البنية التفسيرية التراثية، واعتبرت أن كثيراً من الأحكام المرتبطة بالمرأة ليست نابعة من النص القرآني في ذاته، بقدر ما هي نتاج قراءات بشرية تأثرت بسلطة الذكورية التاريخية.

وتبني هذه القراءة على جملة من الفرضيات، من أهمها: التمييز بين النص الإلهي بوصفه مطلقاً، وبين الفهم البشري له بوصفه نسبياً؛ والتأكيد على أن التفسير التراثي لم يكن محايداً، بل كان خاضعاً لتمثيلات ثقافية واجتماعية ذكورية؛ ثم الدعوة إلى إعادة تأويل النصوص المتعلقة بالمرأة في ضوء مقاصد الشريعة وقيمها الكلية، كالعدل والكرامة والمساواة. كما تستحضر هذه المقاربة أدوات تحليلية حديثة، مثل تحليل الخطاب، والسياق التاريخي، والبنية اللغوية، في محاولة لتفكيك الدلالات التي أُضيفت على النص عبر العصور.

غير أن هذه القراءة، على الرغم من طابعها التجديدي، أثارت جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية والفكرية، حيث انقسم الباحثون بين مؤيد يرى فيها محاولة مشروعة لتصحيح اختلالات الفهم، ومعارض يعتبرها إسقاطاً لمفاهيم غربية على النص القرآني، وخروجاً عن ضوابط التفسير المعتبرة في التراث الإسلامي. كما أخذ على بعض أطروحاتها التوسع في التأويل، وتغليب البعد الإيديولوجي على مقتضيات المنهج العلمي، مما يطرح تساؤلات جوهرية حول حدود القراءة وحدود التأويل، ومعايير القبول والرد في التعامل مع النص القرآني.

من هنا، تكتسب هذه الدراسة أهميتها، إذ تسعى إلى تقديم قراءة تحليلية نقدية للاتجاه النسوي في تفسير النص القرآني، من خلال رصد منطلقاته النظرية، وتحليل آلياته المنهجية، وتقييم نتائجه التأويلية، في ضوء أصول التفسير وقواعده، مع استحضار السياق التاريخي والمعرفي الذي نشأ فيه هذا الاتجاه. كما تهدف إلى بيان ما يمكن أن تقدمه هذه القراءة من إضافات علمية معتبرة، وما قد يعترضها من إشكالات منهجية أو انزلاقات تأويلية، بما يتيح مقارنة متوازنة تجمع بين الانفتاح على الاجتهاد المعاصر، والالتزام بضوابط الفهم الرصين للنص القرآني.

وبناءً على ذلك، فإن الإشكالية المركزية التي توطر هذا البحث تتمثل في السؤال الآتي: إلى أي حد تمكّنت القراءة النسوية للنص القرآني من تقديم بديل معرفي ومنهجي يُسهم في تحديد علم التفسير، دون الإخلال بثوابت النص وضوابط تأويله؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية، من قبيل: ما هي المرجعيات الفكرية التي تستند إليها هذه القراءة؟ وما أبرز آلياتها في التعامل مع النص القرآني؟ وكيف يمكن تقييم نتائجها في ضوء المعايير العلمية للتفسير؟ ثم ما حدود الإفادة منها في مشروع تجديد الدراسات القرآنية المعاصرة؟

وعليه، فإن هذه الدراسة لا تروم إصدار أحكام جاهزة بقدر ما تسعى إلى الفهم والتحليل والتقييم، من خلال مقارنة علمية رصينة، تستحضر تعدد القراءات، وتوازن بين النقد الموضوعي والإنصاف المعرفي، بما يفتح آفاقاً جديدة للبحث في قضايا التفسير المعاصر، ويُسهم في ترسيخ وعي منهجي قادر على التعامل مع النص القرآني في ضوء تحديات العصر وإشكالاته.

المبحث الأول: الخلفيات المعرفية للقراءة النسوية

تُعَدّ الخلفيات المعرفية الإطارَ التأسيسي الذي تتشكّل في ضوئه أي قراءة للنصوص، إذ لا يمكن فصل عملية الفهم والتأويل عن المرجعيات الفكرية والفلسفية التي يستند إليها القارئ، ولا عن السياقات التاريخية والاجتماعية التي تحيط به. ومن هذا المنطلق، فإن القراءة النسوية للنص القرآني تمثّل نموذجاً مركّباً لتداخل الحقول المعرفية، حيث تتقاطع فيها الفلسفة الحديثة، والنظريات النقدية، والدراسات الجندرية، مع السياق الحضاري الذي نشأت فيه.

ولا تقف هذه القراءة عند حدود إعادة تفسير بعض الآيات المرتبطة بالمرأة، بل تنخرط في مشروع أوسع لإعادة بناء العلاقة مع النص القرآني، من خلال مساءلة آليات الفهم التقليدي، وإعادة النظر في مسلّماته المنهجية. ومن ثمّ، فإن استجلاء الخلفيات المعرفية لهذه القراءة يُعَدّ ضرورة منهجية لفهم طبيعة أطروحاتها، وتحديد حدودها، وتقييم نتائجها.

المطلب الأول: المرجعية الفلسفية (الهرمنيوطيقا والتفكيك)

تُعَدُّ الهرمنيوطيقا من أبرز المرجعيات الفلسفية التي أثَّرت في القراءة النسوية، إذ أسهمت في إعادة صياغة العلاقة بين النص والقارئ، من خلال التأكيد على أن المعنى لا يُستخرج من النص استخراجاً مباشراً، بل يتشكَّل في إطار تفاعل معقَّد بين النص والسياق والقارئ¹. وقد أدى هذا التحول إلى تجاوز التصور التقليدي الذي ينظر إلى النص بوصفه حاملاً للمعنى ثابت يمكن الوصول إليه عبر قواعد محددة، إلى تصور دينامي يجعل المعنى نتاجاً لعملية تأويل مستمرة².

وفي هذا السياق، برزت مفاهيم أساسية مثل "تاريخية الفهم" و"أفق التلقي"، حيث يُنظر إلى كل قراءة بوصفها مشروطة بسياقها الثقافي والمعرفي³. وقد استفادت القراءة النسوية من هذه المفاهيم في نقد التفسير التراثي، معتبرة أن هذا التفسير لم يكن محايداً، بل كان متأثراً بالبنية الاجتماعية الذكورية التي أنتجته⁴. ومن ثمّ، فإن إعادة قراءة النص القرآني تصبح - في هذا الإطار - ضرورة معرفية، تهدف إلى تحرير المعنى من القيود التاريخية التي كبَّلتها⁵.

أما التفكيكية، فقد وفَّرت للقراءة النسوية أدوات تحليلية لتفكيك البنى الفكرية المستقرة، والكشف عن التناقضات الكامنة في الخطاب التفسيري⁶. فهي تقوم على زعزعة الثنائيات التي شكَّلت أساس التفكير التقليدي، مثل: الرجل/المرأة، المركز/الهامش⁷، العقل/العاطفة، وإعادة النظر فيها باعتبارها منظومات ثقافية قابلة للنقد والمراجعة. ومن خلال هذا المنهج، تسعى القراءة النسوية إلى الكشف عن آليات الإقصاء التي تعرَّضت لها المرأة في الخطاب التفسيري⁸، وإبراز الكيفية التي تمَّ بها توجيه النص لخدمة تصورات معينة.

غير أنَّ استحضار هذه المرجعيات الفلسفية في قراءة النص القرآني يطرح إشكاليات عميقة، تتعلق بطبيعة هذا النص بوصفه وحياً إلهياً، ومدى قابلية إخضاعه لأدوات نقدية نشأت في سياق التعامل مع النصوص البشرية.

¹ بول ريكور، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 1، 2003، ص: 41.

² نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 5، 2000، ص: 122.

³ هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أوبا، طرابلس، ط: 1، 2007، ص: 312.

⁴ أمينة ودود، القرآن والمرأة: إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسوي، ترجمة محمد البوكيلي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط: 1، 2006، ص: 28.

⁵ محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط: 2، 1996، ص: 67.

⁶ جاك دريدا، في علم الكتابة (الجراماتولوجيا)، ترجمة أنور مغيث، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: 1، 2005، ص: 95.

⁷ عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الشروق، القاهرة، ط: 2، 2002، ص: 101.

⁸ فاطمة المرينسي، الحريم السياسي: النبي والنساء، دار الحصاد، دمشق، ط: 3، 1991، ص: 52.

كما يثير التساؤل حول حدود التعدد الدلالي⁹، وهل يمكن أن يؤدي إلى نسبية مطلقة تُفَرِّغ النص من مرجعيته، أم أن هناك ضوابط يمكن أن تنظّم هذا التعدد دون أن تلغيه.

المطلب الثاني: المرجعية الجندرية والاجتماعية

تنهل القراءة النسوية من حقل الدراسات الجندرية، الذي يُعنى بتحليل الأدوار الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالذكورة والأنوثة، ويفكك التصورات التي تعتبر هذه الأدوار معطيات طبيعية ثابتة¹⁰. ومن هذا المنطلق، تنظر القراءة النسوية إلى كثير من الأحكام والتصورات المرتبطة بالمرأة في التراث التفسيري بوصفها نتاجاً لسياق اجتماعي ذكوري، أكثر منها تعبيراً عن دلالة النص القرآني في ذاته¹¹.

وقد أدّى هذا التصور إلى إعادة قراءة جملة من المفاهيم المركزية، مثل القوامة، والولاية، والشهادة، والميراث، حيث يتم التعامل معها بوصفها مفاهيم تاريخية قابلة للتأويل، وليست أحكاماً نهائية مغلقة¹². وتستند هذه القراءة في ذلك إلى التأكيد على القيم الكلية في القرآن، كالعدل والمساواة والكرامة الإنسانية، معتبرة أن هذه القيم تمثل الإطار المرجعي الذي ينبغي أن يُعاد في ضوءه فهم النصوص الجزئية¹³.

كما تتأثر القراءة النسوية بالتحويلات الاجتماعية التي شهدتها العالم الحديث، خاصة فيما يتعلق بصعود خطاب حقوق الإنسان، وتزايد الوعي بمكانة المرأة في المجتمع¹⁴. وقد انعكس هذا التأثير في محاولة مواءمة الفهم الديني مع هذه التحويلات، من خلال إعادة تأويل النصوص بما ينسجم مع متطلبات العصر¹⁵.

غير أنّ هذا التوجه يثير إشكالات منهجية، من أبرزها: هل يمكن اعتبار المفاهيم الجندرية الحديثة معياراً للحكم على التفسير التراثي؟ وإلى أي حد يمكن إعادة تأويل النصوص الدينية استجابةً للتحويلات الاجتماعية دون الوقوع في إسقاطات خارجية؟ ثم ما حدود التمييز بين ما هو ثقافي وما هو نصي في التراث الإسلامي؟¹⁶.

⁹ طه عبد الرحمن، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 2، 2006، ص: 88.

¹⁰ أسماء المرباط، النساء والرجال في القرآن: أي مساواة؟، دار الساقى، بيروت، ط: 1، 2012، ص: 23.

¹¹ فاطمة المرينسي، الحريم السياسي: النبي والنساء، مرجع سابق، ص: 44.

¹² أمينة ودود، القرآن والمرأة: إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسوي، مرجع سابق، ص: 72.

¹³ نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف: قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 1، 1999، ص: 115.

¹⁴ عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 3، 1993، ص: 91.

¹⁵ محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، دار الطليعة، بيروت، ط: 2، 1998، ص: 134.

¹⁶ طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 1، 2000، ص: 143.

المطلب الثالث: أثر السياق التاريخي

يُعدّ السياق التاريخي عنصراً حاسماً في فهم نشأة القراءة النسوية وتطورها، إذ لا يمكن فصلها عن التحولات الفكرية والاجتماعية التي عرفها العالم، خاصة منذ القرن التاسع عشر، حيث بدأت الحركات النسوية في التشكل ضمن مشروع أوسع لتحرير المرأة من القيود الاجتماعية والدينية¹⁷.

وفي السياق الغربي، ارتبطت هذه القراءة بنقد المؤسسة الدينية، واعتبارها أحد العوامل التي ساهمت في تكريس التمييز ضد المرأة. ومن ثمّ، جاءت القراءة النسوية للنصوص المقدسة كجزء من مشروع نقدي يسعى إلى إعادة تفسير هذه النصوص بما ينسجم مع قيم المساواة¹⁸.

أما في السياق الإسلامي، فقد دخلت هذه القراءة ضمن إشكالية أوسع تتعلق بتجديد الفكر الديني، وإعادة بناء العلاقة مع النص القرآني في ظل تحديات الحداثة¹⁹. وقد حاولت بعض الباحثات المسلمات التوفيق بين المرجعية الإسلامية والمقاربات النسوية، من خلال التأكيد على أن القرآن في ذاته يحمل رؤية عادلة للمرأة، وأن الإشكال يكمن في الفهم البشري الذي تأثر بظروفه التاريخية²⁰.

كما تأثرت هذه القراءة بالسياق الاستعماري وما بعده، حيث سعت بعض الاتجاهات إلى الدفاع عن صورة الإسلام في مواجهة الانتقادات الغربية، من خلال إبراز البعد الإنساني للنص القرآني²¹. وفي المقابل، اتجهت بعض القراءات إلى تبني مواقف نقدية أكثر جرأة، تسعى إلى مراجعة التراث بشكل جذري²².

غير أنّ استحضار السياق التاريخي، رغم أهميته، يطرح تحدياً منهجياً يتمثل في ضرورة التمييز بين النص بوصفه ثابتاً، والفهم بوصفه متغيراً. كما يثير التساؤل حول مدى إمكانية تجاوز السياق التاريخي في قراءة النص، أو مدى استمرار تأثيره في تشكيل كل فهم جديد²³.

يتضح من خلال هذا التحليل أن القراءة النسوية للنص القرآني ليست مجرد اتجاه تفسيري محدود، بل هي نتاج تفاعل معقد بين خلفيات معرفية متعددة، تشمل الفلسفة الحديثة، والدراسات الجندرية، والسياق التاريخي

¹⁷ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 5، 2005، ص: 132.

¹⁸ كارين أرمسترونغ، تاريخ الله: بحث في تاريخ العقيدة، ترجمة فاضل جتكر، دار سطور، بغداد، ط: 1، 2013، ص: 411.

¹⁹ محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط: 2، 1996، ص: 98.

²⁰ أمينة ودود، القرآن والمرأة: إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسوي، مرجع سابق، ص: 33.

²¹ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط: 4، 1984، ص: 145.

²² نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، ط: 2، 1994، ص: 156.

²³ طه عبد الرحمن، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، مرجع سابق، ص: 102.

والاجتماعي. وقد أتاح هذا التفاعل إمكانات جديدة في فهم النص، من خلال مساءلة التفسير التقليدي، وإبراز الأبعاد القيمة للخطاب القرآني، خاصة ما يتعلق بالعدل والمساواة.

غير أنّ هذه الخلفيات نفسها تطرح تحديات منهجية، تتعلق بمدى ملاءمة الأدوات الفلسفية الحديثة للتعامل مع النص المقدس، وحدود التأثير الاجتماعي في تشكيل الفهم الديني، وإشكالية التوازن بين الثابت والمتغير. ومن ثمّ، فإن دراسة هذه الخلفيات تمثل خطوة أساسية في تقويم القراءة النسوية، وفهم إمكاناتها وحدودها، بما يتيح مقارنة علمية متوازنة تجمع بين الانفتاح على الاجتهاد المعاصر، والالتزام بضوابط التفسير الرصين.

المبحث الثاني: الشواهد التطبيقية للتفسير النسوي للنصّ القرآني

في سياق تتبّع تحولات القراءة المعاصرة للنصّ القرآني، يبرز التفسير النسوي بوصفه أحد أبرز المقاربات النقدية التي سعت إلى إعادة النظر في فهم النصوص المرتبطة بقضايا المرأة، لا من خارج المرجعية الدينية، بل من داخلها، عبر مساءلة التراث التفسيري وإعادة تفكيك بنياته المعرفية واللغوية. وإذا كان المبحث الأول قد تناول الخلفيات النظرية والمنطلقات المنهجية التي يقوم عليها هذا التوجّه، فإنّ هذا المبحث الثاني ينتقل من مستوى التأسيس إلى مستوى التمثيل والتطبيق، من خلال استعراض نماذج تفسيرية ملموسة تُجسّد الكيفية التي تُقرأ بها الآيات القرآنية قراءة نسوية.

وتكمن أهمية هذا المبحث في كونه يتيح الوقوف على آليات الاشتغال الفعلي للقراءة النسوية، من حيث أدواتها التأويلية، واختياراتها المنهجية، وحدودها المعرفية؛ إذ لا يكفي بعرض الأطروحات النظرية، بل يسعى إلى اختبارها في ضوء نماذج تطبيقية تشمل عدداً من الآيات التي شكّلت محوراً للنقاش، كآيات القوامة، والميراث، والتعدد، والشهادة، وغيرها من القضايا التي ترتبط ببنية العلاقة بين الرجل والمرأة في النصّ القرآني.

كما يُعنى هذا المبحث برصد تنوّع المقاربات النسوية نفسها، إذ لا يمكن الحديث عن قراءة نسوية واحدة، بل عن قراءات متعددة تختلف باختلاف المرجعيات الفكرية للباحثات، بين من تنطلق من داخل المنظومة الإسلامية وتسعى إلى إبراز البعد المقاصدي والعدلي في النصّ، وبين من تتبنى مقاربات حداثية ذات خلفية نقدية تفكيكية تتجاوز أحياناً الأطر التأويلية التقليدية.

وعليه، فإنّ الغاية من هذا المبحث ليست مجرد عرض هذه الشواهد التطبيقية، بل تحليلها ونقدها، والكشف عن مدى انسجامها مع أصول التفسير وقواعده، وبيان ما تثيره من إشكالات معرفية ومنهجية، بما يمهد في الأخير لتقويم شامل لهذا الاتجاه في علاقته بالنصّ القرآني، بين دعوى التجديد ومتطلبات الانضباط العلمي.

المطلب الأول: القوامة في القراءة النسوية للنصّ القرآني

تُعدّ آية القِوامة من أكثر الآيات القرآنية إثارةً للنقاش في إطار التفسير النسوي، لما تحمله من دلالات مرتبطة ببنية العلاقة بين الرجل والمرأة داخل الأسرة المسلمة. وتتمثل هذه الآية في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي خَأْفُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۚ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 34]، وهي آية شكّلت محوراً أساسياً لاشتغال القراءات النسوية التي سعت إلى إعادة النظر في مدلول "القِوامة" وتحريرها من الفهم التقليدي الذي ربطها بالتسلّط أو الأفضلية المطلقة للرجل.

وتنطلق القراءة النسوية من التمييز بين النص القرآني وبين الفهم التفسيري التاريخي، وترى أن كثيراً من دلالات القِوامة التي استقرّت في التراث هي نتاج سياق اجتماعي ذكوري أكثر منها دلالة حتمية للنص. وقد سعت باحثات مثل أمينة ودود وأسماء برلاس إلى إعادة تفسير القِوامة، معتبرات أنها لا تدل على تفوق جوهري للرجل، بل على مسؤولية وظيفية مرتبطة بالسياق الاجتماعي²⁴.

وترى هذه القراءة أن القِوامة ينبغي أن تُفهم في إطار مقاصد القرآن العامة، التي تؤكد المساواة الإنسانية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

ومن أبرز ما ركّزت عليه القراءة النسوية في الآية عبارة: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، حيث ترى أن هذه الصيغة لا تفيد تفضيلاً مطلقاً للرجال على النساء، بل تفضيلاً نسبياً متبادلاً، بدليل التعبير بـ«بعضهم على بعض»²⁵.

وعليه، فإن التفضيل – في هذا المنظور – لا يُفهم بوصفه حكماً جنسياً عاماً، بل باعتباره توزيعاً وظيفياً للقدرات والمسؤوليات.

وتُبرز القراءة النسوية أهمية التعليل الثاني في الآية: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، معتبرة أن القِوامة مرتبطة بالإنفاق، مما يجعلها مسؤولية اجتماعية لا امتيازاً ذاتياً.

فإذا تغيّرت الأدوار الاقتصادية داخل الأسرة، وشاركت المرأة في الإنفاق أو تحمّلت جزءاً منه، فإن دلالة القِوامة – وفق هذا التصور – ينبغي أن تُفهم في إطار الشراكة لا الهيمنة²⁶.

²⁴ أمينة ودود، القرآن والمرأة، مرجع سابق، ص72 وما بعدها؛ وأسماء برلاس، المؤمنات في الإسلام، 2002م، ص: 186.

²⁵ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: 3، 1420هـ، 70/10.

²⁶ ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، 38/5.

ويُعدّ قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ من أكثر المواضع إثارة للجدل في هذه الآية، حيث ترفض القراءة النسوية حمله على الضرب الجسدي، لما في ذلك - في نظرها - من تعارض مع مقاصد الشريعة في حفظ الكرامة الإنسانية. وقد اتجه بعض الباحثين إلى تأويل «الضرب» بمعنى المفارقة أو الابتعاد، استناداً إلى تعدد دلالات اللفظ في اللغة العربية²⁷، في حين يرى جمهور المفسرين أنه ضرب غير مبرّح مقيد بضوابط شرعية²⁸.

لا شك أن القراءة النسوية قد أسهمت في إثارة أسئلة مهمة حول دلالات القِوامة وحدودها، ولفتت الانتباه إلى ضرورة التمييز بين النص وتطبيقاته الاجتماعية. غير أنها تُؤخذ عليها بعض الإشكالات المنهجية، من أبرزها:

- إخضاع النص لمفاهيم معاصرة للمساواة دون مراعاة كافية للسياق اللغوي والتفسيري.
- التوسّع في التأويل بما قد يخرج اللفظ عن دلالاته الراجحة.
- التقليل من قيمة التراث التفسيري بوصفه جهداً علمياً تراكمياً.

وعليه، فإن الفهم المتوازن لآية القِوامة يقتضي الجمع بين دلالتها النصية، ومقاصدها الشرعية، وسياقها الأسري، بحيث تُفهم القِوامة بوصفها مسؤولية قائمة على الرعاية والإنفاق، لا أداةً للهيمنة أو الإلغاء.

المطلب الثاني: آية التعدد

أثارت آية التعدد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنِي وَثَلَاثَ وَرُبَاعٍ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أَدْنَىٰ ۖ أَلَّا تَعْلَمُوا﴾ [النساء: 3] جدلاً واسعاً في الفكر الإسلامي المعاصر، لا سيما في إطار القراءات النسوية التي سعت إلى إعادة بناء فهم النص القرآني في ضوء قيم العدالة والمساواة. وتنطلق هذه القراءات من فرضية مركزية مفادها أن التفسير التراثي قد تأثر بسياق ذكوري تاريخي، مما يستوجب إعادة قراءة النص ضمن أفق مقاصدي نقدي.

وقد عبّرت عن هذه الرؤية الباحثة أمينة ودود بقولها إن فهم النص القرآني ينبغي أن يتم في إطار "وحدته الأخلاقية التي تقوم على العدل والمساواة"²⁹.

وتربط القراءة النسوية بين صدر الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ وبين إباحة التعدد، معتبرة أن:

- الآية تعالج وضعاً اجتماعياً خاصاً، يتمثل في رعاية اليتيمات.

- التعدد جاء كحلٍ لتفادي ظلمهن في الزواج.

²⁷ أمينة ودود، القرآن والمرأة، مرجع سابق، ص: 84؛ وانظر: استعمالات مادة (ضرب) في ابن فارس، مقاييس اللغة، 393/3.

²⁸ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1427هـ، 280/6.

²⁹ القرآن والمرأة: إعادة قراءة للنص القرآني من منظور نسوي، مرجع سابق، ص: 45.

وترى أسماء المرباط أن "الآية لا تؤسس لنظام تعددي، بل تضع قيداً على ممارسة كانت سائدة، وتربطها بشرط أخلاقي هو العدل"³⁰.

إنّ ربط التعدد بحالة اليتيمات فقط يُعدّ تضييقاً لدلالة النص، إذ تقرّر في أصول التفسير أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهو أصل منهجي متفق عليه عند جمهور العلماء³¹. فالآية وإن نزلت في سياق معيّن، فإن صياغتها جاءت عامة: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وهو خطاب لا يختصّ بحالة اليتيمات، بل يتجاوزها إلى عموم الرجال.

وقد نصّ محمد بن جرير الطبري على أن الآية إباحة عامة للتعدد مع التنبيه إلى شرط العدل، ولم يقصرها على سياق اليتامى³².

تُفسّر القراءة النسوية التعدد باعتباره حلاً لظلم اليتيمات، وهذا في حقيقته حكمة من الحكم، لا علة حصريّة للتشريع. والفرق بينهما جوهري في أصول الفقه؛ إذ العلة تدور معها الأحكام وجوداً وعدمًا، بينما الحكمة قد تتعدد ولا تنحصر³³.

فالتعدد في الفقه الإسلامي شرع لمقاصد متعددة، منها: حفظ النسل، إعفاف الرجل، معالجة اختلال التوازن العددي بين الجنسين، وغير ذلك، وليس مقصوراً على رعاية اليتيمات³⁴.

وتؤكد القراءة النسوية أن صيغة ﴿فَانكِحُوا﴾ لا تفيد الوجوب، بل الإذن المقيّد، مما يعني أن التعدد ليس مطلوباً لذاته، وإنما مرخّص فيه ضمن شروط³⁵.

وتُفهم عبارة ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ بوصفها تقنيناً لممارسة غير محدودة في الجاهلية، لا تأسيساً لقاعدة عامة³⁶.

³⁰ النساء والرجال في الإسلام: قراءة إصلاحية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 1، 2013، ص: 112.

³¹ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 2، 1974، 31/1.

³² محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، ط: 1، 2001، 126/8.

³³ أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1993، 286/1.

³⁴ يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة وهبة، ط: 5، 1994، ص: 182.

³⁵ المرجع نفسه، ص: 115.

³⁶ المرجع نفسه، ص: 118.

صحيح أن صيغة ﴿فَانكِحُوا﴾ لا تفيد الوجوب، ولكن تفسيرها على أنها مجرد "إذن استثنائي" فيه تجاوز، لأن جمهور الأصوليين يقررون أن الأمر قد يُصرف عن الوجوب إلى الإباحة أو الندب بقرينة، وهنا القرينة (ذكر العدد والتخير) تدل على إباحة أصلية منظّمة، لا على ترخيص استثنائي محدود³⁷.

وقد بيّن محمد الطاهر بن عاشور أن الآية جاءت لتنظيم التعدد وتقنيه بعد أن كان مطلقاً في الجاهلية، لا لتقييده بحالة واحدة أو إلغائه ضمناً³⁸.

ويمثل شرط العدل محور القراءة النسوية، إذ يُربط بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا...﴾ [النساء: 129]، لتستنتج هذه القراءة أن:

- العدل شرط لازم.
- لكنه متعذر التحقق عملياً، مما يؤدي إلى تضيق التعدد إلى حد التعطيل³⁹.
- غير أن هذا الفهم يتعارض مع التفريق القرآني بين نوعين من العدل:
- عدل مقدور عليه: في النفقة والمبيت، وهو شرط في الآية.
- عدل غير مقدور عليه: في الميل القلبي، وقد نفاه القرآن في قوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا...﴾ [النساء: 129]

وهذا التفريق يدل على أن التعدد ممكن بشرط العدل الظاهر، وليس مستحيلاً كما توحى به القراءة النسوية⁴⁰.

وقد ذهب فاطمة المرنيسي إلى أن التعدد "تحول في التطبيق التاريخي إلى أداة للهيمنة الذكورية، بعيداً عن مقاصده القرآنية"⁴¹.

وتنتهي القراءة النسوية إلى نتائج تركيبيّة، أهمها:

- التعدد حكم سياقي مرحلي.
- الأصل في الزواج هو الأحادية.

³⁷ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، دار القلم، ط: 8، 1978، ص: 101.

³⁸ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 227/4.

³⁹ القرآن والمرأة: إعادة قراءة للنص القرآني من منظور نسوي، مرجع سابق، ص: 90.

⁴⁰ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، 242/2.

⁴¹ الحرّيم السياسي: النبي والنساء، مرجع سابق، ص: 97.

• المقصد القرآني هو تحقيق العدل، لا تنظيم رغبات الرجل.

وبذلك تتحول الآية - في هذا الفهم - من إباحة مفتوحة إلى تقييد تدريجي لممارسة اجتماعية. يتّضح أن القراءة النسوية تُعيد توجيه دلالة النص وفق خلفية قيمية حديثة قائمة على المساواة المطلقة، مما يؤدي إلى إعادة تأويل النص بما يوافق المرجعية الخارجية، بدل استنباط الحكم من داخل المنظومة الشرعية. وقد حذر عدد من الباحثين من هذا المنهج الذي يُخضع النصوص لمعايير حداثة مسبقة.

المطلب الثالث: آية الميراث

تُعدّ آية الميراث - ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ - من أكثر الآيات حضوراً في الخطاب النسوي الإسلامي بعد آية القوامة وآية التعدد؛ لأنها تمسّ مسألة المساواة المالية والحقوقية بين الرجل والمرأة، وتُطرح عادةً بوصفها مثالاً على التوتر بين ظاهر الحكم الشرعي وبين قيم المساواة الحديثة. تنطلق القراءة النسوية من اعتبار أن النص القرآني تفاعل مع واقع تاريخي محدد، كان يتسم بحرمان المرأة من الإرث، فجاء التشريع القرآني ليحدث تحولاً نوعياً بمنحها حقاً مالياً مستقلاً⁴². ومن ثمّ، ترى هذه القراءة أن الآية لا تُفهم بمعزل عن هذا السياق الإصلاحي.

كما تؤكد بعض الباحثات أن التفاوت في الأنصبة مرتبط بوظيفة الرجل الاقتصادية في المجتمع القديم، حيث كان يتحمل النفقة الكاملة، مما يجعل نصيبه الأكبر متناسباً مع أعبائه⁴³. غير أن هذا التعليل - في نظرهن - يفقد جزءاً من مبرراته في المجتمعات الحديثة التي أصبحت فيها المرأة شريكة في الإنتاج والإنفاق. وفي هذا الإطار، تدعو أمينة ودود إلى إعادة قراءة النصوص القرآنية في ضوء مقاصدها الكلية، معتبرة أن العدل والمساواة القيمية بين الجنسين ينبغي أن تكون منطلقاً في الفهم⁴⁴. كما ترى أسماء برلاس أن كثيراً من التفسيرات التقليدية تأثرت ببُنى ثقافية أبوية، مما يستدعي تحرير النص من هذه القراءات⁴⁵.

وبناءً على ذلك، ترى بعض الاتجاهات النسوية أن قاعدة ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ ليست قاعدة مطلقة،

⁴² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، 2/255.

⁴³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 5/56.

⁴⁴ أمينة ودود، القرآن والمرأة: إعادة قراءة النص القرآني من منظور نسائي، مرجع سابق، ص: 87.

⁴⁵ أسماء برلاس، النساء المؤمنات في الإسلام، مرجع سابق، ص: 112.

بل هي تنظيم مرحلي قابل لإعادة النظر في ضوء تغير البنية الاجتماعية⁴⁶.

ويرى الاتجاه التفسيري والأصولي أن آية الميراث من النصوص القطعية التي لا تقبل التأويل الذي يُفضي إلى إلغاء مدلولها الظاهر، لأنها جاءت في سياق تفصيلي دقيق يحدد الأنصبة بشكل صريح⁴⁷.

كما يؤكد المفسرون أن التفاوت في هذه الآية ليس قاعدة عامة في جميع صور الإرث، إذ توجد حالات متعددة:

- ترث فيها المرأة مثل الرجل.
- أو أكثر منه.
- أو ترث ولا يرث نظيرها من الرجال⁴⁸.

وقد بين محمد الطاهر بن عاشور أن نظام الميراث في الإسلام يقوم على مبدأ التوازن بين الحقوق والواجبات، وأن زيادة نصيب الرجل في بعض الحالات يقابلها التزامه بالنفقة والتكاليف المالية⁴⁹. كما يرى الفقهاء أن العدالة في التشريع الإسلامي لا تعني المساواة الحسابية المطلقة، بل تعني الإنصاف وفق طبيعة الأدوار والتكاليف⁵⁰.

خلاصة عامة:

في خاتمة هذا البحث، يتضح أن القراءة النسوية للنص القرآني تمثل منعطفًا مهمًا في مسار الدراسات القرآنية المعاصرة، إذ أعادت طرح إشكالية العلاقة بين النص والتفسير، وكشفت بوضوح أن كثيرًا من الأحكام والتصورات المرتبطة بالمرأة لم تكن نتاج النص في ذاته، بقدر ما كانت ثمرة لقراءات تاريخية تأثرت بسياقاتها الاجتماعية والثقافية. ومن ثم، فإن القيمة الأساسية لهذا الاتجاه تكمن في إثارته لوعي نقدي جديد، يدعو إلى التمييز بين قداسة الوحي ونسبية الفهم البشري، ويحث على إعادة النظر في المسلّمات التفسيرية التي استقرت عبر القرون.

غير أن هذا المكسب المعرفي لا ينبغي أن يحجب ما يعتري بعض تطبيقات القراءة النسوية من اختلالات منهجية، خاصة عندما تنزع إلى إسقاط تصورات جاهزة على النص، أو حين تتعامل مع الآيات القرآنية بمنطق

⁴⁶ المرجع نفسه، ص: 130.

⁴⁷ الشاطي، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، 15/3.

⁴⁸ وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط: 4، 1997، 7700/10.

⁴⁹ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 252/4.

⁵⁰ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، مرجع سابق، ص: 101.

انتقائي يغلب النتائج المسبقة على مقتضيات الدلالة والسياق. كما أن استدعاء بعض المفاهيم الوافدة من الفكر الغربي، دون تمحيص كافٍ أو تكييف منهجي مع الخصوصية الإسلامية، قد يفضي إلى نوع من التوتر بين مرجعية النص وثقافة التأويل، وهو ما يطرح سؤالاً عميقاً حول حدود الاجتهاد وإمكاناته.

وعليه، فإن المقاربة العلمية الرصينة تقتضي تجاوز منطق المفاضلة الحادة بين القبول المطلق والرفض المطلق لهذه القراءة، والتوجّه بدل ذلك نحو بناء رؤية تركيبية تستفيد من حسّها النقدي، دون أن تتخلّى عن الضوابط الأصولية والمنهجية التي أرساها علم التفسير. فالنص القرآني، بما يتّسم به من غنى دلالي ومرونة تأويلية، يتيح إمكانات واسعة للفهم المتجدّد، شريطة أن يتمّ ذلك في إطار يحفظ توازن العلاقة بين الثابت والمتغيّر، وبين النصّ وسياقه، وبين المقاصد الشرعية والواقع الإنساني.

كما يُستفاد من هذا البحث أنّ تجديد النظر في قضايا المرأة في القرآن لا ينبغي أن يُختزل في إعادة تأويل بعض الآيات الجزئية، بل يتطلّب استحضار الرؤية الكلية للنصّ، القائمة على مبادئ العدل، والتكريم، والاستخلاف، والتكامل بين الجنسين. فهذه القيم تمثّل الأرضية المشتركة التي يمكن أن تلتقي عندها مختلف الاجتهادات، وتُبنى عليها قراءة معاصرة متوازنة، تُنصف المرأة دون أن تُفرغ النصّ من دلالاته، وتستجيب لمقتضيات العصر دون أن تقطع مع أصوله.

وفي الأفق المستقبلي، يظلّ تطوير هذا الحقل المعرفي رهيناً بتعميق البحث في أدواته المنهجية، وتعزيز الحوار بين مختلف الاتجاهات التفسيرية، بما يسمح بإنتاج معرفة علمية أكثر نضجاً واتزاناً. ومن شأن هذا المسار أن يُسهم في بلورة قراءة قرآنية معاصرة، قادرة على استيعاب التحوّلات الاجتماعية، وفي الوقت ذاته محافظة على أصالة المرجعية الإسلامية، بما يحقق الغاية الكبرى للنصّ القرآني في هداية الإنسان وإقامة العدل وصيانة الكرامة الإنسانية.

المصادر والمراجع المعتمدة

- أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1993م.
- أسماء المرابط، النساء والرجال في القرآن: أي مساواة؟، دار الساقى، بيروت، ط: 1، 2012م.
- أمينة ودود، القرآن والمرأة: إعادة قراءة النصّ القرآني من منظور نسوي، ترجمة محمد البوكيلي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط: 1، 2006م.
- بول ريكور، نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،

- ط: 1، 2003م.
- جاك دريدا، في علم الكتابة (الجراماتولوجيا)، ترجمة أنور مغيث، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: 1، 2005م.
 - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 2، 1974م.
 - طه عبد الرحمن، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 2، 2006م.
 - طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 1، 2000م.
 - عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 5، 2005م.
 - عبد الله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 3، 1993م.
 - عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الشروق، القاهرة، ط: 2، 2002م.
 - عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، دار القلم، ط: 8، 1978م.
 - فاطمة المرنيسي، الحريم السياسي: النبي والنساء، دار الحصاد، دمشق، ط: 3، 1991م.
 - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 3، 1420هـ.
 - كارين أرمسترونغ، تاريخ الله: بحث في تاريخ العقيدة، ترجمة فاضل جتكر، دار سطور، بغداد، ط: 1، 2013م.
 - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط: 4، 1984م.
 - محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط: 2، 1996م.
 - محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، دار الطليعة، بيروت، ط: 2، 1998م.
 - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
 - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، ط: 1، 2001م.
 - نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف: قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 1،

1999م.

- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 5،

2000م.

- نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، ط: 2، 1994م.
- هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، ط: 1، 2007م.

- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، ط: 4، 1997م.

- يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة وهبة، ط: 5، 1994م.

مداخل التربية الإسلامية دوافع ومحفزات للجدّ في التعلم

د. إبراهيم عمي / الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة طنجة تطوان الحسيمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد؛ فإن من أولويات الإسلام التي استهلّ بها الوحي، وحثّت عليها كثير من نصوصه، طلب العلم، والاجتهاد في تحصيله، والاستزادة من جمعه وادخاره، وبذل كل غال ونفيس في سبيله؛ إذ به تستنير العقول، وتشرق القلوب، وتزكو النفوس، وتسمو الأخلاق، وتنهض الهمم، وتتقدم الأمم.

ومن ثم فقد حظي العلم بعناية كبيرة عند المسلمين في مختلف الفنون، حيث كتبوا في فضله، ومبادئه، وآدابه، وشروط طلبه وتعلّمه، كما أعطوا مكانة وتشريفاً، وقدرًا لأهله والساشرين على بذله وتعليمه، تطبيقاً لما دعت إليه النصوص الشرعية في هذا الباب.

إلا أنه مع مرور الأزمان، وتغير أحوال الإنسان بسبب المدّ الاستعماري، والغزو الفكري، وهيمنة الوسائل التكنولوجية، ضعفت الهمم، وفترت العزائم، وتغيرت المفاهيم والقيم.

وأمام هذه الوضعية العويصة فإن التربية الإسلامية جاءت بخطة وبرامج غطّت جميع المستويات التعليمية بمداخل ودروس تجلي فضل العلم وثمرته، والجد في طلبه؛ وذلك أن الموضوع هام حيث يتعلق ببناء الإنسان، وإنقاذ الشباب من مآفات الضياع، ومصايد الشيطان، والفتن والإدمان، والتخفيف على الأسر من عبء التكاليف المادية، والخلافات الاجتماعية، والمتابعات القضائية، وإصلاح شريحة اجتماعية وتنويرها وتزويدها بالعلم لتسهم في تنمية الوطن وتوفير تكوين أطره النافعة.

وقبل الشروع في معالجة الموضوع لا بد من إجابة عن التساؤلات والإشكالات الواردة وهي كالآتي:

- ما هي مستندات ومنطلقات التربية الإسلامية في معالجتها لظاهرة الهدر المدرسي والعزوف عن طلب العلم؟
 - كيف برمجت التربية الإسلامية دروسها التي تحثّ على طلب العلم وبيان فضله في الطور الإعدادي؟
 - ما هي المداخل والدروس التي دعت إلى طلب العلم وإظهار مزيته في الطور الثانوي التأهيلي؟
- وقبل التطرق إلى معالجة المحاور لا بد من الإشارة إلى ما كتب في الموضوع من الدراسات والبحوث التي تحث على طلب العلم، والصبر على تحصيله، فمن ذلك:

- جامع بيان العلم وفضله، للحافظ يوسف بن عبد البر (ت: 463هـ).

- التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ت: 676هـ).

- صفحات من صبر العلماء للشيخ عبد الفتاح أبو غدة.
- حلية طالب العلم للشيخ ابن عثيمين.
- صدور مذكرات مفادها تسهيل الولوج للمدرسة ومتابعة الدراسة من وزارة الوطنية.

المحور الأول: مستندات ومنطلقات التربية الإسلامية في معالجتها لظاهرة الهدر المدرسي والعزوف عن

طلب العلم

تستند مادة التربية الإسلامية على عدة ركائز ومرجعيات في معالجتها لمشكلة الخمول والعزوف عن التعلم من ذلك:

القرآن الكريم: جعل القرآن الكريم طلب العلم والقراءة الربانية أولويا من أولوياته، ومستهدفاً لسوره وآياته، وأحكامه وتوجيهاته، قال تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق) [العلق: 1-2].

ذلك أن مما يميز الدرس التربوي الإسلامي هو الاشتغال بالنصوص وعلى النصوص القرآنية والحديثية بما تمثله من قدسية مرجعية، وأهمية منهجية في البناء والتحليل، والتي تتطلب استحضار آداب وأخلاقيات التعامل معها، والضوابط المنهجية والعلمية لتصريف قضاياها، - ومنها قضية العلم والتعلم - فضلا عن كون التربية الإسلامية تنهل من مجالات علوم شرعية متنوعة تشكل مرجعا خصبا للقيم الأخلاقية النبيلة، ومصدرا من مصادر المعرفة الإسلامية¹.

ومن النصوص القرآنية الداعية إلى التعلم قوله تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) [العنكبوت: 43]، وقوله سبحانه (وقل رب زدني علما) [طه: 111]، وقوله سبحانه: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [الزمر: 9]، وقوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) [المجادلة: 11].

السنة النبوية: تضمنت كتب السنة النبوية أحاديث عدة في الحث على طلب العلم وبيان فضله وثمرته، وشرف أهله ومزاياه ومن تلك المزايا:

أنه طريق إلى الجنة: أخرج الإمام مسلم في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»².

عموم النفع والانتفاع: ففي الصحيح أيضا عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إنّ مثل ما

¹ أحمد العبودي، تدريسية مادة التربية الإسلامية من التخطيط إلى التقويم، دار القرويين للنشر والتوزيع، ط: 1، سنة، 2022م، ص: 11.

² صحيح مسلم، كتاب، الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثّل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء، فأنبئت الكلاً، والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماء، ولا تُنبث كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»³.

نيل الرضى والأجر من الله: فقد ذكر لرسول الله صلى الله عليه و سلم رجلان أحدهما عابد، والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «فضلُ العالمِ على العابدِ، كفضلي على أدناكم، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وملائكتهُ، و أهلَ السمواتِ والأرضِ، حتى النملةُ في جحرِها، وحتى الحوتُ، ليُصلُّونَ على معلِّمِ الناسِ الخيرِ»⁴.

استمرار العمل بعد الموت: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ ينتفعُ به، وولدٍ صالحٍ يدعو له».

السيرة النبوية: السيرة النبوية لها أهمية بالغة في التكوين العلمي والتربوي لما تشتمل عليه من نصوص شرعية، وأحداث تاريخية، وأحكام فقهية، وأخلاق نبوية، ومعجم لغوي متين.

ولذلك أدرجتها التوجيهات التربوية في مقرر السنة الثانية باكالوريا من مسلك العلوم الإنسانية، وتوخت من ذلك تطوير مهارات المتعلمين، وصقل مواهبهم، وتوسيع مداركهم، واصطلحت على ذلك بدراسة المؤلفات (السيرة النبوية دروس وعبر) للدكتور مصطفى السباعي.

إلا أن الغرض من تحديد الكتاب المقرر غير مقصود لذاته، فلا بدّ من التحكم فيه ولو إجمالاً، حتى يكون للدروس والعبر الاستفادة من السيرة النبوية العطرة معنى. كما أن الترتيب الكرونولوجي لأحداث السيرة ييسر على المتعلمين فهم الحدث السيري، ويسهم في استيعاب الدروس والعبر⁵.

وبعد تعيين المقرر رسمت خطوات منهجية لدراسة الكتاب وكل ما يتصل به ويعين على فهمه وذلك من

³ صحيح مسلم، كتاب، الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم.

⁴ الجامع الصحيح، كتاب، العلم، باب فضل العلم على العبادة.

⁵ التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التربية الإسلامية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي الصادرة عن وزارة التربية الوطنية في نونبر 2007، ص: 42 بتصرف.

خلال ما يلي:

- تحديد مجال الكتاب
- التعريف بالكتاب وصاحبه وظروف تأليفه
- تحديد مهام المتعلم
- دراسة المؤلف وتحليله
- دراسة منهج المؤلف وأسلوبه العلمي
- فتح المجال للتقويم والنقد
- الاستعانة بالوسائل التعليمية والدعامات البيداغوجية.⁶

وهذه الأسس الثلاثة هي التي سماها بعض المفكرين بعناصر التربية للجماعة الأولى من المسلمين:

كتاب الله، وسنة رسوله، وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم.

فأما كتاب الله وسنة رسوله فهما حاضران أبدا. وأما وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بشخصه فهو العنصر الذي لم يتكرر في أي جيل آخر، ولكن لدينا سيرة مفصلة لحياته صلى الله عليه وسلم تجعل كأنه حي بين ظهرانيها. بل إنه لفرط عظمته صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يكون مجرد شخصية تاريخية عاشت دورها التاريخي، ثم أصبحت مجرد ذكرى أو مجرد تاريخ. وإنما هو بحيويته الفارقة يعايش كل جيل من أجيال البشرية معايشة كاملة بقدر ما يتجه ذلك الجيل إلى شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم ويستوحي سيرته الحية الزاهرة.⁷

المحور الثاني: برامج التربية الإسلامية الحائثة على طلب العلم في الطور الإعدادي

لقد عرفت مناهج مادة التربية الإسلامية في الآونة الأخيرة تغييرات متنوعة على مستوى الدروس المقررة وطرق ومناهج تدريسها، وذلك استجابة للخطاب الملكي الصادر في 26 ربيع الثاني 1437 هجرية الموافق لـ: 6 فبراير 2016م بمدينة العيون، ومقاومة للتحديات المعاصرة التي تغزو أفكار الشباب، وتشكك في هويتهم وعقيدتهم، فكان لا بد من تغيير المناهج لمسايرة الأحداث، والتسلح بالمعارف المناسبة والمتكاملة فيما بينها من مختلف المواد المحصنة للعقول، والمكونة للشخصية المغربية المسلمة السوية. وهذا ما نص عليه المنهاج في غاياته ومقصده من الإصلاح: "إن الأهداف والمرامي المتوخاة من الإصلاح، ومن مراجعة المناهج والمتمثلة في: الإسهام في تكوين

⁶ المصدر نفسه ص: 43 بتصرف.

⁷ قطب محمد، منهج التربية الإسلامية، نشر دار الشروق، 1417هـ/ 1997م، 2/ 17-18 بتصرف.

الشخصية المغربية المستقلة والمتوازنة والمنفتحة، والمستوعبة لكل الإنتاجات"⁸.

ومع كل تلك التغييرات فإن المنهاج راعى في الإصلاح المرحلة التعليمية للمتعلمين ومستواهم النفسي والعقلي والعمرى؛ لأن "التربية الإسلامية مادة دراسية تروم تلبية حاجات المتعلم الدينية التي يطلبها منه الشارع حسب سنه وزمانه ونموه العقلي والنفسي والسياق الاجتماعي. ويدل هذا المفهوم على تنشئة الفرد وبناء شخصيته بأبعادها المختلفة الروحية والبدنية وإعدادها إعدادا شاملا ومتكاملا"⁹.

ومن الدروس المقررة في الطور الإعدادي والهادفة إلى ترسيخ قيم العلم والتعلم ما يلي:

العبادة غاية الخلق: إذا كانت العبادة هي الغاية من وجود الإنسان في هذه الحياة، فمن الواجب عليه أن يتعلم أحكامها، ويتقن أداءها، ويتلذذ بمعانيها؛ لأنها ضروريات في الدين، وجاء بتشريعاتها جميع الأنبياء والمرسلين. ذلك أن جميع الأنبياء جاؤوا بعبادة الله، وكانت هي طليعة دعواتهم، وأساس شرائعهم، ثم إن مكانتها في الإسلام لا تكاد تخفى على مسلم حتى إن العلماء إذا أرادوا أن يمثلوا لما هو معلوم من الدين بالضرورة قالوا: كوجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج.

والدخول إلى العبادة من باب العلم بما يجعلها سالمة من الأخطاء، ومظنونة القبول عند الله، وليس فيها مشقة ولا تكلف، كما يجعل المتعبد يتذوق طعمها وينشط في ممارستها؛ لأن معناها دال على خضوع وانقياد في غير سخط ولا إكراه، فهي رغبة قبل أن تكون رهبة¹⁰.

الإتقان عبادة وعملا: إن مفهوم العبادة في الإسلام واسع، ليس قاصرا على أداء الشعائر داخل المساجد، أو في مناسبات دينية محدودة، أو في أوقات مخصوصة، أو حالات معينة، بل هو شامل لكل تصرفات الإنسان الدينية والدنيوية، التعبدية والعادية، ومن ثم فكلما أتقن الصانع في صناعته، أو الأستاذ في درسه، أو التاجر في تجارته، أو الطبيب في عيادته إلا وكان مأجورا على إتقان عمله وتجويد خدمته، وكسب رزقا طيبا. فقد جاء في الأثر: (خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح) في عمله بأن أتقنه وتجنب الغش. وسبب ذلك أن المومن بالدين عامة وبعقيدة الإسلام خاصة، لا يساق إلى العمل الدنيوي سوق القطعان ولا يدفعه إليه قهر حكومي أو ضغط خارجي، وإنما يندفع المومن إلى العمل بحافز من نفسه، وباعث من ذاته، وذلك الباعث الذاتي هو الإيمان بالله وبرسالة السماء،

⁸ منهاج التربية الإسلامية بالسلك الثانوي سنة، ص: 2-3 بتصرف.

⁹ منهاج التربية الإسلامية بالسلك الثانوي سنة، ص: 7 بتصرف.

¹⁰ الأنصاري فريد، جمالية الدين، نشر دار السلام جمهورية مصر العربية، ط: 10، سنة 1444هـ / 2023م.

ومهمته في عمارة الأرض والسيادة على الكون.

وهو مع ذلك كله لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل، بل يهيمه أن يجوده ويتقنه ويبدل جهده لإحسانه وإحكامه، لشعوره العميق، واعتقاده الجازم أن الله يرقبه في عمله، ويراه في مصنعه، أو مزرعته أو في أي حال من أحواله، وأن الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كتب الإحسان على كل شيء"¹¹ وقد فسّر صلى الله عليه وسلم هذا الإحسان في جانب العبادة فقال: (الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)¹².

هذا هو شعور المومن في كل عمل من الأعمال - لا في العبادة وحدها - أن يؤدي العمل كأنه يرى الله، فإن لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه، وشعار المومن دائما في أدائه لعمله "إني أرضي ربي"¹³.

ومنطلق هذه الأحوال والمشاعر، والتصرفات كلها هو المعرفة بالله، والعلم بشرع الله، والخبرة بمجال العمل.

الطهارة وأنواعها: الطهارة كلمة جامعة في المصطلح الفقهي، فهي تشمل: الغسل، والوضوء، والتيمم، وإزالة النجاسات¹⁴. كما أنها تعد شرطاً للدخول في الصلاة ومناجاة رب العالمين. قال ابن أبي زيد: "المصلي يناجي ربه فعليه أن يتأهب لذلك بالوضوء"¹⁵، ثم إن الطهارة لا تحصل إلا بمعرفة أحكامها المجملة والمفصلة ومن أبرزها:

- معرفة شروط وجوبها، ومعرفة أنواعها ومعرفة فرائضها، ومعرفة سننها.¹⁶

وهذا كله يقتضي من كل مكلف الاهتمام به، والتعلم والتفقه فيه. ثم إدراك أن الطهارة لم يجعلها الإسلام وسيلة لأداء الصلاة، وإبراء الذمة من تبعات الفرائض، وبعد ذلك بقطع الصلة بها ولا يبقى لها أي أثر على المكلف. بل جعل لها أبعاداً تتصل بيوم البعث وتشهد للعبد المصلي، وتميزه عن غيره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

¹¹ صحيح مسلم، كتاب الصيد والذباح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة.

¹² صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله.

¹³ القرضاوي يوسف، الإيمان والحياة، طبع ونشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 19، سنة 1422 هـ/2001م، ص: 254-255-256 بتصرف.

¹⁴ أبو الفضل القاضي عياض، الإعلام بمحدود قواعد الإسلام تحقيق: محمد صديق المنشاوي، نشر دار الفضيلة، بدون تاريخ للطبع، ص: 87.

¹⁵ ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة في الفقه المالكي، طبع ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة 1428 هـ/2007م، ص: 24.

¹⁶ ابن جزي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق عبد الكريم الفضيلي، طبع ونشر المكتبة العصرية، بيروت، سنة 1426 هـ/2005م، ص: 43-54 بتصرف.

«إِنَّ أُمِّي تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»¹⁷.

والطهارة سلاح يتسلح به المومن طيلة حياته، حيث تدور الفصول من حر إلى قر، فيبقى الوضوء سرا من أسرار الجمال الذي ينسج نوره آثار معركة الحياة، من سهام إبليس ورشقاته¹⁸.

النظر والتفكير سبيل المعرفة: الله سبحانه بث في جميع خلقه آيات دالة عليه، تعرف الناس برهم، وبقدرته، وملكوته وملكوته لمن ينظر ويعتبر، ويتدبر ويتفكر، ذلك أن معرفة الله هي أساس المعارف، ومنطلق دروبها وشعبها ومن أسباب اكتسابها. ولذا نجد نصوص الوحي تدعو إلى النظر والتفكير في مجال الكون الفسيح، قصد الحصول على العلم اليقيني النافع.

قال تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [الغاشية: 17-20]. ونظر المسلم إلى الكون ليس كنظر غيره، وتفكيره أيضا ليس كتفكير غيره، فقد كان الفكر الإغريقي فكرا تجريديا، يرى أن المادة خسيصة، وأن المعنويات هي في الاستعلاء على المادة. أما الفكر الإسلامي المأخوذ من القرآن فهو فكر علمي وعملي، يحترم المادة ويعلي من شأنها، بل يرى أن خالق المادة يقسم بها، وما أقسم بها إلا لأنه أودع في الكون أسرار وأسرار عظمتها¹⁹.

التعامل الإيجابي مع وسائل التواصل الحديثة: إن إدراج هذا الدرس في المقرر الدراسي للسنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي يعد من الرأي السديد، والعمل الحميد، ذلك أنه يعد هذه الوسيلة نعمة ويحسس المتعلمين بخطورتها إذا استعملت بطرق غير مرشدة، وفي الوقت نفسه يقدم توجيهات لحسن استعمالها واستغلالها فيما يعود بالنفع ومن تلك التوجيهات:

- النية الخالصة من خلال القصد إلى فعل الخير

- الصدق والأمانة والتثبت في تلقي الخبر

- الحرص على الكلمة الطيبة

- التحلي بخصلة الحياء²⁰.

¹⁷ السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الطهارة، باب استحباب إمرار اليد على العضد.

¹⁸ الأنصاري فريد، قناديل الصلاة مشاهدات في منازل الجمال، طبع ونشر دار الكلمة، ط: 1، سنة 1422هـ/2002م، ص: 22.

¹⁹ الغزالي محمد، كيف نتعامل مع القرآن، طبع ونشر دار الوفاء، ط: 1، سنة 1412هـ/1992م، ص: 30 بتصرف.

²⁰ في رحاب التربية الإسلامية للسنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، ط: 2018، ص: 58 بتصرف.

الصلاة أحكامها ومقاصدها: الصلاة لها شروط وجوب، وشروط صحة، وفرائض، وسنن وفضائل²¹. كما أنها تشتمل على أنواع وهي مجملة في خمسة: فرض عين، وفرض كفاية، وسنة، وفضيلة، ونافلة²². ومن وراء تلك الأحكام المجملة والمفصلة مقاصد تعبدية، وتربوية، واجتماعية، وصحية وغيرها؛ لأنه من غير المقبول عقلا وشرعا أن تكون تلك العبادات التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركاناً في الإيمان به طقوساً مبهمه من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة وحركات لا معنى لها. بل هي تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحى بأخلاق صحيحة، وأن يظل متمسكاً بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف²³. ومن ذلك استمراره في طلب العلم وتحصيله والتفقه في أحكام دينه.

سورة النجم وبعض معانيها: هذه السورة الكريمة لها أغراض في مضامين آياتها، ومدلول كلماتها ومن تلك الأغراض:

تحقيق أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن الله تعالى وأنه منزّه عما ادعوه. وإثبات أن القرآن وحي من عند الله بواسطة جبريل. وتقريب صفة نزول جبريل بالوحي في حالين زيادةً في تقرير أنه وحي من الله واقع لا محالة. وإبطال إلهية أصنام المشركين. وإبطال قولهم في اللات والعزى ومناة بنات الله وأنها أوهام لا حقائق لها وتنظير قولهم فيها بقولهم في الملائكة أنهم إناث.

وذكر جزاء المعرضين والمهتدين وتحذيرهم من القول في هذه الأمور بالظن دون حجة. غير أن المقطع الأول في السورة يستهدف بيان حقيقة الوحي وطبيعته، ويصف مشهدين من مشاهدته ويثبت صحته وواقعته في ظل هذين المشهدين، ويؤكد تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام تلقي رؤية وتمكن ودقة، وإطلاعه على آيات ربه الكبرى²⁴.

الوحي تعريفه وصوره: مما هو معلوم عند علماء التفسير وعلوم القرآن أن الوحي افتتح بقوله سبحانه وتعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ..)

²¹ اللقاني، الفصول في أركان الإسلام، ص: 101.

²² ابن جزي، القوانين الفقهية، مصدر سابق، ص: 67.

²³ الغزالي محمد، خلق المسلم، طبع ونشر دار اقرأ، مكتبة الثقافة، بدون تاريخ للطبع، ص: 7.

²⁴ قطب السيد، في ظلال القرآن، طبع ونشر دار الشروق، ط: 32، سنة 1423هـ/2003م، 6/ 3405.

[العلق: 1-4]، فهذا الاستهلال يشير إلى أن القراءة وطلب العلم هي من أولويات الإسلام، ولو لم تكن كذلك لما كان للخطاب بها معنى، ولا للأمر بها فائدة، فالقراءة ميزة وكرامة من الله خاطب الله بها نبيه وأُمته معه لتحي حياة سعيدة مستنيرة بالعلم، ومتصلة بالسماء. ومن ثم فإن تلك اللحظة التي نزل فيها الوحي تعد بغير مبالغة هي أعظم لحظة مرت بهذه الأرض في تاريخها الطويل، بسبب حادث عظيم وهو أن الله جل جلاله، العظيم الجبار القهار المتكبر، مالك الملك كله، قد تكرم في عليائه فالتفت إلى هذه الخليفة المسماة بالإنسان، القابعة في ركن من أركان الكون لا يكاد يرى اسمه الأرض. وكرم هذه الخليفة باختيار واحد منها ليكون ملقاً نوره الإلهي، ومستودع حكمته، ومهبط كلماته، وممثل قدره الذي يريده سبحانه بهذه الخليفة.

فذاك الحادث إذن هو تكريم للإنسان برسول معلم رحيم مذكّر ومنقذ من الجهل والضلال. قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الجمعة: 2].

فالعلم هو الطاقة الهائلة التي يمد بها الإنسان حياته، ويوسع كيانه، فلا ينحصر في ذات نفسه، ولا ينحصر في واقعه الضيق القريب، ولا ينحصر في جيله الذي يعيش فيه، بل لا ينحصر في محيط الأرض، وإنما يشمل هذا كله ويزيد عليه.

كما أن العلم هو المنحة الربانية العجيبة التي منحها الله للإنسان، وكرمه بها وفضله، وهي إحدى معجزات الخلق. ومن هنا كان الإسلام حرياً أن يحتفل به ويعظمه، وهو الذي يحتفل بطاقات الحياة كلها، وهو الذي يوجه القلوب لكل منحة منحها الله، وكل آية من آيات الله.

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حرياً أن يحث على العلم ويرفع منزلته، وهو الذي نزل عليه الوحي فعلمه²⁵. ولذا قال عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»²⁶.

المسجد نواة المجتمع الإسلامي: عنوان هذا الدرس جاء ضمن مدخل الاقتداء من مقرر السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، وكان اختياره في نظري اختياراً موفقاً؛ لأنه يحمل في مدلوله معان منها:

- ربط الناشئة ببيوت الله التي يتلى فيها كتاب الله ويذكر فيها اسمه.

²⁵ قطب محمد، قبسات من الرسول صلى الله عليه وسلم، نشر دار الشروق، بدون ذكر تاريخ للطبع، ص: 34-35 بتصرف.

²⁶ السنن لابن ماجه، كتاب الإيمان فضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

- الاقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام في اهتمامه بالمسجد عند تأسيس دولة الإسلام وإرساء قواعدها.
 - بيان أهمية المسجد في المجتمع الإسلامي عموماً والمجتمع المغربي خصوصاً.
 - بيان أدوار ووظائف المسجد المتجلية في موطن العبادة، ومكان للتعارف وتقوية أواصره وطلب العلم²⁷.
- فهو أول مؤسسة بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه تخرج العظماء، وشاع نور الحضارة الإسلامية في الشرق والغرب.

ثم توارثت الأجيال تلك السنة الحميدة في بناء المساجد والمحافظة على أدوارها المتنوعة، حيث كانت المساجد والجامع تؤدي أدواراً علمية مختلفة، فقد كانت تتخذ بجوارها محاضر لتعليم الصغار أبجديات القراءة والكتابة، وتربيتهم على مبادئ الإسلام السمحة.

كما كانت المساجد مركزاً لمحو الأمية وتعليم الكبار، وقد بلغ أثر المساجد في ذلك أثراً عظيماً، إذ كان يتعذر أن يوجد فلاح أندلسي لا يعرف القراءة والكتابة، في حين كان ملوك أوروبا لا يقدرون أن يكتبوا أسماءهم في توقيعاتهم²⁸.

المحور الثالث: مداخل ودروس التربية الإسلامية الداعية إلى طلب العلم وإظهار مزيته في الطور الثانوي

التأهيلي

لم تكتف مناهج التربية الإسلامية وبرامجها بما سبق الحديث عنه من بعض الدروس الحاملة في طياتها ومضامينها الدعوة إلى طلب العلم، والتحلي به، والتفاني في تحصيله، بل جددت الدعوة أيضاً، وكررت بعض العناوين المتقدمة في الطور الإعدادي، قصد بسط معانيها واستيعابها، وبعث الرغبة في النشء من أجل تحصيلها في الطور الثانوي.

ومن تلك الدروس ما يلي:

علم الله المطلق: هذا العنوان فيه إشارة تحفيزية للمتعلم خاصة عندما يدرك المفارقة البعيدة بين علم البشر المحدود والنسبي، وبين علم الله المحيط الواسع المطلق، علم أحاط بالغيب والشهادة، والسر والعلانية، والظاهر والباطن، والدنيا والآخرة. فهو سبحانه علم كل شيء قبل كونه فجري على قدره²⁹. كما أن علمه سبحانه يفارق علم الخلق

²⁷ في رحاب التربية الإسلامية للسنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، ط: 2018، ص: 46 بتصرف.

²⁸ دندش عصمت، دراسات أندلسية في الاجتماع والسياسة، نشر دار الغرب الإسلامي ط: 1، سنة 2009م، ص: 45.

²⁹ ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة في الفقه المالكي، طبع ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة 1428هـ/2007م، ص: 19.

من وجوه:

- علم الله مطلق، وعلم الإنسان قليل محدود.
- علم الله أزلي، وعلم الإنسان حادث ومسبوق بجهل.
- علم الله شامل، وعلم الإنسان قاصر.
- علم الله ذاتي قديم، وعلم الإنسان مكتسب³⁰.

وأمام هذه العظمة والجلال في علم الله يقف كل عالم ويسلم الأمر لله ويستخدم عقله ووسعته فيما يمكنه البحث فيه وشعاره مع كل ذلك: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) [الإسراء: 85]. فهو سبحانه ما أعطى خلقه من العلم إلا قليلاً بالنسبة إلا علمه جل وعلا. لأن ما أعطيه الخلق من العلم بالنسبة إلى علم الخالق قليل جداً³¹. إلا أنه ليس في هذا حجر على العقل البشري أن يعمل. ولكن فيه توجيهها لهذا العقل أن يعمل في حدوده وفي مجاله الذي يدركه. فلا جدوى من الخبط في التيه، ومن إنفاق الطاقة فيما لا يملك العقل إدراكه لأنه لا يملك وسائل إدراكه³².

رحلة سيدنا موسى لطلب العلم: جرت العادة في طلب وتحصيل العلم أن تشد إليه الرحال، وتتحمل فيه المشاق والأهوال، وتفارق فيه الأوطان؛ لأن العلم عزيز، وغال، وثمين، فلا بد أن تنفق فيه النفائس من الأعمار والطاقات. ومعلوم أن قصص الأنبياء في القرآن الكريم فيها عبر وعظات لمن يفقه مغزاها، ويعي معناها. ومن القصص القرآني قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام المذكورة في: (سورة الكهف)، وهي قصة حافلة بالمعاني الإيمانية، والآداب التربوية، والضوابط التعليمية.

ولأهميتها فقد ذكرها الإمام البخاري في الصحيح عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عِبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ لَهُ الْخُوتُ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ إِذَا فَقَدْتَ الْخُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْخُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ

³⁰ في رحاب التربية الإسلامية، الجدوع المشتركة للتعليم الثانوي التأهيلي، طبع ونشر مكتبة السلام الجديدة، سنة 2016م، ص: 112 بتصرف.

³¹ الشنقيطي محمد الأمين بن محمد بن المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 1415هـ - 1995م، 3/ 183.

³² قطب السيد، في ظلال القرآن، 4/ 2249.

الْحُوتِ، وَمَا أُنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَدْكُرَهُ»³³.

كما أن الخطيب البغدادي ذكرها في محاور كتابه: "الرحلة في طلب الحديث" وذلك لما فيها من المحفزات والآداب التي يجب توفرها في طالب العلم.

نماذج للتأسي سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعزة الإسلام: هذا الدرس أدرج في مكان مناسب من حيث المدخل التعليمي، وهو مدخل: الاقتداء، ولا شك أن عظماءنا في تاريخ الإسلام هم قدوتنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هم قدوة في الثبات على الحق، والصبر، والشجاعة، والتضحية، والعدل، وطلب العلم، وسيدنا عمر هو نموذج برز في هذا الباب، فقد روى الإمام الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بيننا أنا نائمٌ بِقَدَحٍ لَبَنٍ، فشربْتُ حتى إني لأرى الرِّيَّ يخرج في أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم»³⁴.

وحقا فقد كان رضي الله عنه رجلا وافر الحظ في ثقافة زمانه، وإنه كان أدبيا مؤرخا فقيها، مشاركا في سائر الفنون، مدربا على الرياضة البدنية، خطيبا مطبوعا على الكلام، فليس أرحح من نصيبه في ثقافة زمانه نصيب³⁵.
النظر والتفكير سبيل العلم والإيمان: لم يخلق الله الإنسان ولا الأكوان عبثا، وإنما الخلق كله دال على الله، وهاد إلى الله، وفي كل شيء سر من أسرار الله، وآية تدل على وجود الله، يهتدي إليها من نظر بعمق، وتفكر بحق. بل إن خلق الإنسان العجيب دال على الله، ومن هذه الحقيقة التي لا مرية فيها فإن أول دليل على وجود الله ليس شيئا خارجا عن كيان الإنسان، بل إنه الفطرة التي فطر الناس عليها. إنه ذلك الشعور الطبيعي البصير الغامر، بأن فوق الكائنات المحدودة المتناهية، كائنا غير محدود ولامتناه، يهيمن على كل شيء³⁶.

العبادة في الإسلام فريضة، والتفكير أيضا فريضة قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَالِكُمْ وَمَا يَفْقَهُوا مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي نَذِيرُ لَكُمْ بَيِّنَاتٍ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [سبأ: 46]. وبناء على هذا المعنى كتب الأديب عباس محمود العقاد كتابا عنوانه بـ: "التفكير فريضة إسلامية"، فالإنسان مطالب بها حتى يميز بين الحسن والقبيح، والتفكير أيضا وسيلة لطلب العلم والمعرفة.

الإيمان والفلسفة: الإيمان الحق هو الذي يشتمل على:

³³ صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الحُضِر مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

³⁴ الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب، الرؤيا، باب في رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

³⁵ العقاد محمود عباس، عبقرية عمر، بدون ذكر لدار النشر ولا سنة الطبع، ص: 192.

³⁶ القرضاوي يوسف، وجود الله، نشر دار المعرفة بدون تاريخ للطبع، ص: 18.

العقيدة الثابتة التي لا يخالطها شك. وعلى العمل الذي يصدق العقيدة وهو ثمرتها.

والعمل أنواع: عمل القلب، مثل الخوف والإنابة، وعمل اللسان مثل نطق الشهادتين، وعمل الجوارح مثل: الصلاة والزكاة والصوم، والجهاد وطلب العلم.³⁷

فالتفكير هو أن يستبصر المرء في نظره ويعلم يقينا أنه لا توجد ذرة في الارض ولا في السماء تستمد وجودها من ذاتها، حتى يتصور استغناؤها بنفسها، بل على العكس، هذا الوجود المفاض عليها يتلاشى ويضمحل إذا شاء مفوضه أن يحرمها منه، مثلما يتقلص الظل إذا ذهب ما يليقه.³⁸

والمتعلم عندما يدعم إيمانه بالفكر ينتفع بما يجده من نتاج العقل وثمار الحكمة، مؤيدا لما معه من حق خالص جاء به الوحي، فيلتقي العقل والنقل، ويلتقي نور الفطرة السليمة بنور الوحي الصادق.³⁹

الخصائص العامة للشريعة الإسلامية: المسلم حريّ به أن يعرف دينه ومكانته بين الشرائع، ومميزته التي خصها الله بها، وادخرها لهذه الأمة وحدها، وشرعها على يده وبواسطة خير خلقه وخاتم رسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن ثم فإنه يفخر ويحق له أن يفخر بميزة الكمال، والتمام والرضى، قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: 4].

إن الإسلام هو المنهج أو المذهب أو النظام الوحيد في العالم، الذي مصدره كلمات الله وحدها، غير محرفة ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر، وأغلاط البشر، وانحرافات البشر... وهو المنهج الفذ الذي سلم مصدره من تدخل البشر، وتحريف البشر.⁴⁰ إن هذه المزايا وغيرها دافع أساسي لكل مسلم ومتعلم أن يتعرفها جملة وتفصيلا، درسا وتحليلا، ومن خلال ذلك يتشبع بمعاني الإسلام، فلا تجرفه الشبهات والمشككات، ولا ينخدع بالدعوات.

الاجتهاد والتجديد: من خصائص الشريعة الإسلامية المرونة في دلالات نصوصها والشمول في أحكامها، ولذا فقد تتبع العلماء نصوص الوحي فوجدوا طائفة منها لها دلالة قطعية، وأخرى لها دلالة ظنية، وهي مجال مفتوح للاجتهاد وتعدد الرأي. يقول الشيخ يوسف القرضاوي في هذا المعنى: "أحكام الشريعة نجدها تنقسم إلى قسمين بارزين: - قسم يمثل الثبات والخلود - وقسم يمثل المرونة والتطور، والفقهاء الإسلامي بمختلف مدارسهم ومذاهبهم يسير في

³⁷ الزنداني عبد المجيد، الإيمان، نشر مكتبة التراث الإسلامي، ط: 3، سنة 1412هـ/1991م، ص: 15 بتصرف

³⁸ الغزالي محمد، عقيدة المسلم، نشر دار الدعوة، ط: 4، بدون تاريخ، ص: 36.

³⁹ القرضاوي يوسف، ثقافة الداعية، دون ذكر لدار النشر وسنة الطبع، ص: 110 بتصرف.

⁴⁰ القرضاوي يوسف، الخصائص العامة للإسلام، نشر دار المعرفة الدار البيضاء، بدون تاريخ للطبع، ص: 38-39 بتصرف.

نفس هذا المنحى ثابتاً على الأصول، ومرناً متطوراً في الفروع من خلال الاجتهاد في منطقة الفراغ التشريعي التي تركتها النصوص قصداً لاجتهاد أولي الأمر والرأي⁴¹.

إلا أن الاجتهاد عند علماء الإسلام غير مباح لكل شخص متصف بالمعرفة العامة، بل لا بد أن تتوفر فيه شروط مجملة أربعة:

- التكليف
- العدالة
- جودة الحفظ والفهم
- العلم بالأدلة الشرعية وملكتها.⁴²

لا يحصل الاجتهاد والتجديد في أي مجال إلا بالعلم، بل العلم من شروط المجتهد.

سيدنا علي رضي الله عنه وزينة العلم والقوة: قدّر الله في الأزل وسابق علمه أن يترى سيدنا علي في كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تضيء عليه أنوار النبوة، ويستقي من معينها، وينهل من فيض بحرها. ومن أجل ذلك فإن فضائل سيدنا علي رضي الله عنه كثيرة لا حصر لها، ومزاياه متعددة، ومناقبه ألفت فيها الكتب، وتعددت بها الروايات، فقد عرف بالفهم في الدين، والاجتهاد في الأحكام، والعلم بالقضاء، والفصاحة في اللسان.⁴³

كانت له خصائص فقه الإمامة والسياسة كغيره من الخلفاء الراشدين، لكنه تميز بخاصية أخرى من خواص الإمامة، وهي اتصاله بكل مذهب من مذاهب الفرق الإسلامية منذ وجدت في صدر الإسلام، فهو منشئ هذه الفرق أو قطبها الذي تدور عليه.

وقد اتصلت الحلقات بينه وبين علماء الكلام والتوحيد، كما اتصلت الحلقات بينه وبين علماء الفقه والشريعة، وعلماء الأدب والبلاغة، فهو أستاذ هؤلاء جميعاً بالسند الموصول⁴⁴.

ضوابط فهم النص الشرعي: إن لفهم النص الشرعي شروطاً وضوابط من أهمها:

- التمكن من اللغة وعلومها، نحواً وصرفاً، وبلاغة، فإن اللغة بمفرداتها ونحوها وصرفها لازمة لسلامة اللسان،

⁴¹ المصدر نفسه، ص: 240-241، بتصرف.

⁴² ابن جزري محمد بن أحمد، تقريب الوصول إلى علم الأصول، طبع ونشر دار الإمام ابن عرفة، بدون تاريخ للطبع، ص: 131.

⁴³ القادري أبو بكر، جولات في رحاب النبوة، دون ذكر لدار النشر، سنة 1415هـ/1994م، ص: 93 بتصرف.

⁴⁴ العقاد محمود عباس، عبقرية الإمام علي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة 1386هـ/1967م، ص: 188-189 بتصرف.

وصحة الأداء فضلا عن حسن أثرها في السامع.⁴⁵

- أن يكون عالماً بما اشتملت عليه مجاميع السنة التي صنفها أهل الفن كالأهيات الست
- أن يكون عارفاً بمسائل الإجماع حتى لا يفتي بخلاف ما وقع الإجماع عليه
- أن يكون عالماً بعلم أصول الفقه لاشتماله على نفس الحاجة إليه
- أن يكون عارفاً بالناسخ والمنسوخ⁴⁶، ويضاف إلى ما سبق ذكره:
- أن يكون ملماً بمقاصد الشريعة
- أن يكون له فقه بالواقع.

سورة الكهف وترك الجدال: منهج الإسلام هو طلب العلم في كل حين ومن أي شخص، مع الشعور بالافتقار في ذلك، والتواضع وترك الجدال، ولذلك نجد سورة الكهف أشارت إلى هذا المعنى في قوله تعالى: (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً) [الكهف: 23].

هذا هو منهج الإسلام في صيانة الطاقة العقلية أن تبدد في غير ما يفيد، وفي ألا يقفو المسلم ما ليس له به علم وثيق⁴⁷.

خاتمة

من خلال ما تقدم من المحاور وما تضمنته من النصوص يتبين بوضوح أن البرامج والمناهج الدراسية الجديدة قد راعت السياقات والتحويلات الدولية، وكذا التحديات الفكرية والتكنولوجية التي تواجه الشباب، ولذا فإنها قررت برامج ودروسا تسهم في دعم المتعلمين، وتوعيتهم وتحسيسهم بدور العلم ومركزته وأهميته في الحياة. مع أخذ الحيلة والحذر من الإدمان على وسائل التواصل الحديثة، والعمل على استغلالها فيما ينفع ويسهم في بناء شخصية مسلمة محصنة، متشبثة بقيمها ودينها وهويتها.

ومن أجل تحقيق ذلك كله والنهوض بمهم الشباب نحو العلم والمعرفة، لابد من العمل بما يلي:

- التمثل بخطاب الوحي الداعي إلى طلب العلم، والزيادة منه مع وضعه في إطار أولويات الحياة.
- العودة إلى تفعيل دور المسجد وأنشطته العلمية والتربوية، وتوسيعها لتشمل فئات الشباب المنقطع عن

⁴⁵ القرضاوي يوسف، ثقافة الداعية، ص: 98 بتصرف.

⁴⁶ الشوكاني محمد بن علي، إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م، 3/ 349-350 بتصرف.

⁴⁷ قطب السيد، في ظلال القرآن، 4/ 2265.

الدراسة.

- الاقتداء بأعلامنا البارزة في تاريخ الإسلام خاصة في مجال العلم.
 - الاعتبار بأمجاد الأمة وإرثها الحضاري والعلمي.
 - التنافس المحمود مع النظراء والأقران في ميدان العلم والتعلم.
 - الاقتداء بالشباب الناجح في العلم.
 - تفعيل دور الأسرة في التحفيز والتتبع للأبناء.
 - إنشاء مكتبات ورقية ورقمية في المؤسسات التعليمية، والمساجد، وتنظيم برامجها للاستفادة منها.
- هذا ما أردت كتابته وبيانه في هذا العرض المتواضع، فأرجو من الله النفع والقبول، والسداد والتوفيق، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1415هـ - 1995م.
- الإعلام بمحدود قواعد الإسلام، لأبي الفضل القاضي عياض، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، نشر دار الفضيلة بدون تاريخ للطبع.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: 5، سنة 1424هـ/2003م.
- الإيمان والحياة، للدكتور يوسف القرضاوي، طبع ونشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 19، سنة 1422هـ/2001م.
- الإيمان، لعبد المجيد الزنداني، نشر مكتبة التراث الإسلامي، ط: 3، سنة 1412هـ/1991م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، نشر دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، سنة 1997م.
- تدريسية مادة التربية الإسلامية من التخطيط إلى التقويم، أحمد العبودي، دار القرويين للنشر والتوزيع، ط: 1، سنة 2022م.

- تقريب الوصول إلى علم الأصول، لابن جزى محمد بن أحمد، طبع ونشر دار الإمام ابن عرفة، بدون تاريخ للطبع.
- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التربية الإسلامية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي الصادرة عن وزارة التربية الوطنية في نونبر 2007م.
- التوحيد والإصلاح الرؤية الدعوية، طبع ونشر طوب بريس، ط: 1، سنة 1424هـ/2003م.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين عبد الرؤوف المناوي، نشر مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط: 3، سنة 1408هـ - 1988م.
- ثقافة الداعية، للدكتور يوسف القرضاوي، بدون ذكر لدار النشر وسنة الطبع.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد ابن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، سنة 1422هـ.
- جمالية الدين، للدكتور فريد الأنصاري، نشر دار السلام جمهورية مصر العربية، ط: 10، سنة 1444هـ/2023م.
- جولات في رحاب النبوة، لأبي بكر القادري دون ذكر لدار النشر، سنة 1445هـ/1994م.
- الخصائص العامة للإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي، نشر دار المعرفة الدار البيضاء، بدون تاريخ للطبع.
- دراسات أندلسية في الاجتماع والسياسة، لعصمت دندش، نشر دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة 2009م.
- الرسالة في الفقه المالكي، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، طبع ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة 1428هـ/2007م.
- سنن أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، نشر مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى 1344هـ.
- سنن أبي عبد الله محمد ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
- سنن محمد أبي عيسى الترمذي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بدون تاريخ للطبع.
- عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة 1386هـ/1967م.

- عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، بدون ذكر لدار النشر ولا سنة الطبع.
- عقيدة المسلم، محمد الغزالي، نشر دار الدعوة، ط: 4، بدون تاريخ.
- الفصول في أركان الإسلام، محمد ناصر الدين اللقاني، دراسة وتحقيق مصطفى عكلي، نشر مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث التابع للرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، الرباط، ط: 1، سنة 1431هـ/2010م.
- في رحاب التربية الإسلامية للسنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، طبعة 2018م.
- في رحاب التربية الإسلامية، الجذوع المشتركة للتعليم الثانوي التأهيلي، طبع ونشر مكتبة السلام الجديدة، سنة 2016م.
- في ظلال القرآن، للسيد قطب، طبع ونشر دار الشروق، ط: 32، سنة 1423هـ/2003م.
- قبسات من الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد قطب، نشر دار الشروق بدون ذكر تاريخ للطبع.
- قناديل الصلاة مشاهدات في منازل الجمال، للدكتور فريد الأنصاري، طبع ونشر دار الكلمة، ط: 1، سنة 1422هـ/2002م.
- كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، طبع ونشر دار الوفاء، ط: 1، سنة 1412هـ/1992م.
- منهاج التربية الإسلامية بالسلك الثانوي سنة 2016.
- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، نشر دار الشروق، طبعة 1417هـ/1997م.

مفهوم الترتيل القرآني وأهمية اعتماد منهجه في تحقيق كفايات القراءة القرآنية لمدرسي مادة التربية الإسلامية بالمدارس العليا لتكوين الأساتذة بالمغرب

الدكتور عادل الوادي

مختبر العلوم الدينية والاجتماعية وقضايا المجتمع، كلية الآداب فاس سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.

ملخص البحث:

لطالما اهتمت البحوث في علوم تدريس التربية الإسلامية بالمسائل المتعلقة بتجديد الآليات وإعادة النظر في المناهج وما تعلق بذلك من أساليب التدريس وتأهيل المدرسين، وكذا تعديل المقررات الدراسية، مع اعتماد ما استجد من نظريات ومقاربات، إن على المستوى المعرفي، أو المستوى التربوي البيداغوجي، أو على مستوى الممارسة التعليمية الديدانكتيكية، ولعل من أبرز التحديات التي ما انفك يواجهها تعليم قراءة القرآن ومدارسته، إضافة إلى ضعف اللسان وعدم التمكن من علوم اللغة: من نحو وصرف وبلاغة، وضبط ما بينها من تكامل معرفي، مشكلة ضعف اعتماد الترتيل ومهاراته على اختلاف في ذلك بين الجهات والمؤسسات، خاصة مع عدم تركيز بعض برامج تكوين المدرسين على كفايات الترتيل، وما ارتبط بذلك من مهارات ودكاء متعدد. فكيف يمكن إذن الاستفادة من مفهوم الترتيل القرآني والعمل بمقتضاه في الميدان التعليمي وفق منهج علمي مضبوط، خاصة في القراءة والدرس القرآني بمادة التربية الإسلامية بالأسلاك التعليمية الثلاثة؛ وذلك من أجل بناء راسخ للإنسان المعلم المتعلم، المتعلق بالوحي تلاوة وتدبراً، ترتيباً وتنسيقاً، استقامةً واستدامةً، جلالاً وجمالاً، علماً وعملاً، خلقاً وكمالاً.

الكلمات المفتاحية: الترتيل القرآني، المصطلح، القراءة القرآنية، التربية الإسلامية.

ABSTRACT

Research in the science of teaching Islamic education has been preoccupied with renewing mechanisms, reconsidering curricula and related teaching methods, qualifying teachers, amending academic curricula, and adopting new theories and approaches, whether at the cognitive level, the educational pedagogical level, or the level of didactic educational practice.

Perhaps one of the most prominent challenges faced by teaching reading and studying the Qur'an, in addition to the weakness of the tongue; Lack of mastery of language sciences: grammar, morphology, and rhetoric, and

controlling the cognitive integration between them, is the problem of weak reliance on recitation and its skills, despite differences between countries and regions, especially with some teacher training programs not focusing on recitation competencies and multiple intelligences How, then, can we benefit from the Quranic recitation skills and work according to it according to a precise scientific approach in the educational field, particularly in terms of Quranic reading and study in Islamic education, with the three educational cycles of the lines to build human being linked to revelation in order, coordination, integrity, majesty and beauty?.

Keywords: “Quranic recitation”, term, Quranic reading, Islamic education.

تقديم:

لا تخفى أهمية العناية بالكفايات القرآنية، دراسةً واستيعاباً وإعمالاً؛ للتمكن من الآليات الراسخة، وبناء صروح المناهج العلمية والتربوية الشامخة، الممكنة من مفاتيح العلوم، الحافظة من الزيغ في الأنظار والمناهج والفهوم، ولبنة تلك الكفايات ما ارتبط بالقرآن الكريم تلاوةً وفهماً وإعمالاً، دراسةً وتدريباً، كل ذلك يكتنزه منهج "الترتيل" بمفهومه القرآني الذي أتى أكله عندما اشتغل به الجيل الأول، فرعوه حق رعايته، وآتوه حقه ومستحقه.

تمكن ممارسة الترتيل بالمداومة عليه، وكثرة الاشتغال به في أنشطة علمية منضبطة، من إرساء مبادئ استعمال الصوت البشري عند المتعلمين؛ وذلك من خلال الاشتغال على قواعده في نصوصها، والتمكن منها في موضع التطبيق عبر أنشطة متنوعة، تنحو من السهل البسيط في تدرج نحو الممتنع المركب، وتعرف من القواعد وصيغ الأداء، انطلاقاً من المحيط المحلي الداني القريب، نحو ذلك الأقصى المختلف البعيد، اطلاعاً على غنى القراءات بالمأثور، واستفادة من تنوع الصيغ وما ميزها من صنعة وحبور؛ فذلك سبيل لترسيخ بناء الذات وتركيتها، عبر داوم الاستمداد من الوحي والترقي في قراءته وترتيبه؛ حتى تلاوته حق التلاوة.

إن اعتماد الترتيل كمدخل من مداخل تدريس القراءة القرآنية في مدارس التكوين، بشروطه العملية وقواعده العلمية: المعرفية منها والتربوية والنفسية؛ من شأنه تنمية القدرات الصوتية والسمعية عند المعلمين ومتعلميهم، وذلك في إطار تربية ذوقهم الجمالي.

يعتبر الترتيل القرآني رواء علوم عديدة، ومنطلق التأمل في المعاني، وتحديد النظر في المناهج والمباني، وكل إصلاح للإنسان لا يمكنه أن يقوم دون تحديد النظر العلمي في التعليم والتعلم عامة، وتعلم الترتيل القرآني خاصة، فما كان عبثاً أو من باب الصدف أن يؤكد القرآن الكريم في أول تنزله على أهمية التعلم وما يتعلق به من قراءة وترتيل، فارتبط بذلك مصطلح الترتيل بقراءة القرآن الكريم، إذ التصق بها منذ نشأته، بل به كان قوامها ومنها استمد استقامته. ولعل تحديد النظر في مناهج التدريس عمومًا، وفي تدريس التربية الإسلامية بالخصوص؛ يقتضي تحديد النظر في طرق تعليم القراءة الفعالة. ولا تخفى أهمية فهم مصطلح الترتيل القرآني، والعمل بمقتضاه في الميدان التعليمي في فتح مغاليق الاهتداء، وتقوم أساليب الاقتداء؛ حتى تتبصر المناهج، وتبلغ الرؤى فتهتدي بنور الله الباهج.

من هنا تتضح جدوى البحث في كفايات الترتيل القرآني، وكيف يمكنه أن يسعف تملك المنهج الترتيلي في تجويد درس التربية الإسلامية، وخاصة ما تعلق بالقراءة القرآنية وما ارتبط بها من فهم النصوص الشرعية واستيعابها واستعمالها. فما مفهوم الترتيل في اللغة والاصطلاح؟ وما خصوصيات هذا المصطلح في الاستعمال القرآني؟ وكيف يمكن الاستفادة من منهج الترتيل في برامج تكوين الأساتذة عامة وأساتذة التربية الإسلامية خاصة؟

المحور الأول: الترتيل في المعاجم اللغوية والاصطلاحية

المطلب الأول: في المعاجم اللغوية: المأخذ والمدار اللغوي

تنبثق استعمالات مادة (رتل: الرأ والتاء واللام) في اللغة، من الاستعمال الحسي: رَتَلَ الفم: إذا حسن نبت الأسنان فيه، وتناسق تراصفها وانتظم، قال الخليل: "الرتل: تنسيق الشيء، وَثَغَرُ رَتْلٌ: حَسَنُ الْمُتَنَصِّدِ"⁽¹⁾، وقال صاحب الجوهرة: "الرَّتْلُ هو بياض الأسنان وكثرة مائها، وثغر رتل، وأورد الجوهري في الصحاح: "وثغر رَتْلٌ أيضاً، إذا كان مستوي النبات"⁽²⁾، قال ابن القطاع: "رَتْلٌ وَرَتْلٌ الثَّغَرُ رَتْلًا حَسَنٌ تَرَاصُفُهُ والكلام كذلك"⁽³⁾. وقال أبو دؤاد الإيادي يصف ثغر امرأة: "وَمُبَدَّدٌ رَتْلٌ كَأَنَّ *** نَ النَّحْلَ عَسَلَ فِيهِ بَارِدٌ"⁽⁴⁾.

وترتبط بالمأخذ اللغوي المعاني الآتية:

-
- (1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 2003م، ج: 8، ص: 113.
- (2) الجوهري إسماعيل أبو النصر بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 4، 1987م، ج: 3، ص: 1233.
- (3) ابن القطاع الصقلي، كتاب الأفعال، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1983م، ج: 2، ص: 44.
- (4) أبو دؤاد الإيادي، ديوان أبي دؤاد الإيادي، تحقيق: أنوار محمود الصالحي وآخرون، دار العصماء، دمشق، ط: 1، 2010م، ص: 306.

- الانتظام والاتساق⁽⁵⁾.

- برودة الماء⁽⁶⁾، حسن تأليف الكلام⁽⁷⁾.

- التمهّل في الكلام وإيجازه وحسن رصفه وإلقائه⁽⁸⁾.

المدار اللغوي للمادة أي أصلها في المعاجم اللغوية، يستنبط مما أشار إليه حسن جبل في المعنى المحوري لمادة (رتل)، قال: "المعنى المحوري انتظام أفراد النابت من شيء في تواليها (مع مسافات بينها) متساوية كالأسنان المقلّجة"⁽⁹⁾. وإلى هذا الأصل أشار معجم الشارقة التاريخي للغة العربية في ذكره المعاني الكلية: "الجزر: (رتل)، المعاني الكلية: 1- الاستواء والتنسيق 2- حسن القراءة"⁽¹⁰⁾.

يتضح جلياً إذن أن أصل مادة (رتل) أي مدارها اللغوي واحد، لا يخرج عن معنى: استواء النابت المادي والمعنوي وحسن انتظامه وتناسقه، ومن ذلك حسن القراءة.

المطلب الثاني: في المعاجم الاصطلاحية

لما كان الترتيل وثيق الصلة بأصوله اللغوية، اختلفت حدوده الاصطلاحية باختلاف الحقول الدلالية والمراحل الزمنية للمعاجم؛ فمنهم من قصره على بعض معانيه، ومنهم من بسطه إلى عموم دلالاته، تفرّيعاً وتقسيمًا وبيانًا. لذلك عُني هذا المطلب باستعراض أبرز تلك التعريفات، مع تقييد ما يلوح فيها من دقائق وملاحظات.

1- المفردات للراغب الأصفهاني (ت 502هـ)

⁽⁵⁾ ينظر: الفراهيدي، العين، ج: 8، ص: 113. ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 1، 1987م، ج: 5، ص: 372. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 4، 1987م، ج: 3، ص: 1232. الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم، تحقيق: حسن بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1999م، ج: 5، ص: 3212.

⁽⁶⁾ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج: 9، ص: 475.

⁽⁷⁾ ابن القوطية، كتاب الأفعال، تحقيق: علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 2، 1993م، ص: 256.

⁽⁸⁾ الشيباني أبو عمرو إسحاق بن مزار، كتاب الجيم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974م، ج: 1، ص: 289.

⁽⁹⁾ جبل محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 1، 2010م، ج: 2، ص: 752.

⁽¹⁰⁾ مجمع اللغة العربية بالشارقة، المعجم التاريخي للغة العربية الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مادة (رتل). <https://www.almojam.org>

قال الراغب: "الرَّتَلُ: اتَّساق الشيء وانتظامه على استقامة، يقال: رجل رَتَلُ الأسنان، والترتيلُ: إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة"⁽¹¹⁾.

يمتاز تعريف الراغب بجمعه بين الأصل الحسي والمعنى الأدائي؛ إذ أبرز معنى الاتساق والاستقامة، وربط الترتيل بسهولة النطق وانسياب الأداء، مما يوافق أصل المادة اللغوي. ويُؤخذ على تعريف الراغب أنه ركّز على جانب الاستقامة والسهولة في الترتيل، ولم يُبرز معنى التؤدة والتبيين وإحكام الأداء، وهي معانٍ أصيلة في الاستعمال القرآني للترتيل.

2- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت 606هـ)

جاء في هذا المعجم: "فِي صِفَةِ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرَتِّلُ آيَةً آيَةً تَرْتِيلُ الْقِرَاءَةِ: التَّأْنِي فِيهَا وَالتَّمَهُلُ وَتَبْيِينَ الْحُرُوفِ وَالْحَرَكَاتِ، تَشْبِيهًا بِالتَّعْرِ الْمُرْتَلِّ، وَهُوَ الْمَشَبَّهُ بِنُورِ الْأَقْحُوَانِ. يُقَالُ رَتَّلَ الْقِرَاءَةَ وَتَرَتَّلَ فِيهَا."⁽¹²⁾

- عرف ابن الأثير ترتيل القراءة: التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات. وقوله: (تبيين الحروف والحركات) هو تفصيل لمعنى إرسال الكلام باستقامة، فاستقامة الحروف والحركات أساس استقامة الإرسال، كما أنه ذكر المأخذ اللغوي للمادة في إشارة إلى معاني حسن الاتساق والانتظام.

- يؤخذ على هذا التعريف أنه غلب الجانب الأدائي الصوتي للترتيل، من تأنٍّ وتبيين للحروف، دون إبراز للبعد التدبري والمعنوي.

3- التعريفات للجرجاني (ت 816هـ)

عرف الجرجاني الترتيل قال: "الترتيل: رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف، وقيل: هو خفض الصوت والتحزين بالقراءة."⁽¹³⁾

يلاحظ أن الجرجاني:

⁽¹¹⁾ الأصفهاني الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الشامية، بيروت، ط: 1، 1412هـ، ص: 341.

⁽¹²⁾ ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م، ج: 2، ص: 194.

⁽¹³⁾ الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1983م، ص: 55.

- عرف الترتيل باعتباره رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف. فذكر الرعاية والحفظ وهما بمعنى، وذلك تدقيق منه في عملية خروج الصوت بالقراءة، مع التمكن من إخراج الحروف من مخارجها والتزام الوقوف.

- لم يشر إلى حركات الحروف ورعاية الابتداء، وإن كان ذكره مسألة حفظ الوقوف، من جهة يتضمن ضبط حركات الوقف بالسكون أو ببعض الحركة، وفيه دليل إشارة على لزوم حفظ الابتداء كذلك.

- ذكر خفض الصوت والتحزين بالقراءة، وفي ذلك إشارة إلى طرق الأداء الصوتي والإلقاء، بما يتناسب مع المعاني والانتقال بينها. يؤخذ على تعريف الجرجاني تركيزه على الجانب الأدائي (المخارج والوقوف) والجانب الوجداني الصوتي (التحزين)، مع إغفاله الركن الأهم وهو "التدبر" وفهم المعاني. كما أن ربط الترتيل بخفض الصوت والتحزين يُعد تقييداً للمصطلح؛ فالترتيل صفة للقراءة المتأنية الصحيحة مع حسن توظيف طبقة الصوت ونبرته وصيغته المقامية، مما يجعل التعريف قاصراً عن شمول الغاية الروحية والذهنية من الترتيل.

4 - الكليات للكفوي (ت 1094هـ)

قال الكفوي: "والتَّحْقِيقُ فِي الْقِرَاءَةِ: يَكُونُ لِلرِّيَاضَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّمْرِينِ وَأَمَّا التَّرْتِيلُ فَإِنَّهُ لِلتَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالاسْتِنْبَاطِ، فَكُلُّ تَحْقِيقٍ تَرْتِيلٌ وَلَا عَكْسٌ"⁽¹⁴⁾.

يلاحظ الآتي:

- بنى الكفويّ تفريقه على ثنائية "المبنى والمعنى"؛ فجعل التحقيق رياضةً للسان لضبط الحروف، والترتيل سياحةً للعقل لاستنباط المعاني، جاعلاً من الأول سلماً للوصول إلى الثاني.

بيد أن هذا الفصل المتكلف يغفل عن التداخل العضوي بين المرتبتين؛ فالترتيل والتحقيق يشتركان في جوهر الأداء وإن تباعدت الغايات، كما أن في هذا التفريق إعراضاً عن "الأصول اللغوية" التي تدمج بين جودة اللفظ وفهم المعنى دون تجزئة، مما يجعله تعريفاً يميل إلى الفلسفة التعليمية أكثر من الانضباط للمعجم اللغوي المأثور.

المحور الثاني: الترتيل في القرآن الكريم

المطلب الأول: ورود مادة (رتل) في القرآن الكريم

(14) الكفوي أيوب بن موسى الحسيني القريني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 297.

جاءت مادة (رتل) في القرآن الكريم كالآتي:

الجدول 01: مادة الترتيل (رتل) في سور القرآن الكريم⁽¹⁵⁾

السور التي وردت فيها مادة (رتل)	عددتها	عدد الورود في كل سورة	المجموع
الفرقان - المزمل	02	02	04

الجدول 02: ورود الترتيل ومشتقاته في سور القرآن الكريم

الاشتقاق	عددتها	عدد الورود لكل مشتق	المجموع
ترتيلاً	01	02	02
رتلناه	01	01	01
رتل	01	01	01
المجموع	03	—	04

من خلال الجدولين يمكن القول إن:

- الترتيل في القرآن الكريم اقتصر على سورتين وبنفس حجم الورود: مرتين لكل واحدة، وبصيغة فعلية وأخرى مصدرية لكل منها. فسورة الفرقان احتوت صيغتين: (رتلناه-ترتيلاً)، وكذلك سورة المزمل: (رتل-ترتيلاً)، وذلك مناسب لاسم كل سورة ومقصودها، فمقصود تعظيم القرآن في سورة الفرقان ناسبه اقتران الترتيل بضمير العظمة واستعمال المصدر المنصوب على المفعول المطلق أفاد معنى التعظيم مع تحقيق صفة الترتيل، حيث بين المصدر نوع الترتيل. أما سورة المزمل فناسب ذلك الترغيب في قيام الليل، وكذا الدعوة إلى قيم الصبر والصفح، إذ استعمال فعل الأمر: (رتل) وهو أمر بقراءة القرآن بمهل وتبيين؛ حتى يرسخ الحفظ ويستقيم الفهم والتدبر والعمل، ثم جاءت (ترتيلاً) تأكيداً على أمر التبيين والإحسان في القراءة.

— يلاحظ كذلك الأصل المكي لمفهوم الترتيل، حيث إن سورتي الورود مكيتان؛ وهذا يؤكد أن أمر الترتيل قد حسم فيه في المرحلة المكية؛ وفي ذلك دلالة على أهمية ما بينى عليه الترتيل من الفهم والعمل. كما يتبين من معطيات الورود التوازن بين الصيغ الفعلية والصيغ الاسمية، مع غلبة صيغة مصطلح الترتيل: (ترتيلاً)، حيث وردت

(15) تم اعتماد ما ورد في كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. عبد الباقي محمد فؤاد، المعجم المفهرس، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 1، 1945م، ص: 358-361.

مرتين، بينما ورد الفعل في صيغتين بين الماضي والأمر، مرة لكل صيغة؛ وفي هذا دلالة على ثبات دلالة الاسم على مفهومه، مع أهمية ارتباط الترتيل بالزمن.

المطلب الثاني: نتائج الورد مادة (رتل) في القرآن الكريم

كل المعطيات السابقة تبين الامتداد المحدود لمادة الترتيل (رتل) عبر سور القرآن الكريم، وتحلي اقتصار حجم الورد على ما نزل من القرآن في مكة؛ مما يدل على خصوصية ارتباط مفهوم الترتيل بسياقات ما نزل من القرآن في مكة، وبسياقات سورتي الورد بوجه أخص. ويمكن من خلال ما سبق استخلاص النتائج الآتية:

أولاً: الترتيل مصطلح ارتبط بالمرحلة المكية

تعتبر المرحلة المكية مرحلة التأسيس واكتمال البناء لمصطلح الترتيل، ويدل على ذلك تحديد ذكر مادة (رتل) مرتين في كل آية من آيات الورد. ولعل تكافؤ الصيغ الاسمية الدالة على الثبات والاستقرار مع الصيغ الفعلية الدالة على التحقق والطلب؛ مرده إلى أن هذه المرحلة احتضنت تأسيس المفهوم الجديد للترتيل، وعينت ببيان أصله وماهيته، وحقيقته الشرعية، وكذا مقاصده، والدعوة إلى التزامه في قراءة القرآن، حيث اقترن الترتيل في وروده بالقرآن لا بغيره. كما قد يفسر اقتصار الترتيل على السور المكية بارتباط الترتيل بالأمر والطلب وهو أسلوب يناسب المرحلة المكية في قوة عباراته وفي تأكيده على المعاني بذكر اللفظ مرتين أو ذكر اللفظ ومشتقه، ومن جهة الموضوع لا تخفى أهمية ترتيل القرآن في بيان معانيه، فذلك أساس أمر الدعوة وتبليغ أمر الله وحسن تلقيه، والالتزام بالاستقامة أخذاً وسلوكاً وتبليغاً.

ثانياً: بواكير ما نزل من مصطلح الترتيل

الناظر في القرآن الكريم يلاحظ أن من أول ما نزل من مادة الترتيل (رتل) كان في سورة المزمل، وذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 3]، والترتيل يعني الاتساق والانتظام والاستقامة كما هو مقرر في اللغة، وهو في الكلام إذا حسن تأليفه فأبان عن دلالاته، وهو هنا يشير إلى ضرورة الحفاظ على تناسق القرآن الكريم؛ بقراءته بتمهل في نطق الحروف بياناً وتبييناً⁽¹⁶⁾؛ حتى تخرج واضحة مسموعة، فيرسخ الحفظ في المباني ويحصل التدبر في المعاني، قال الرازي في تفسيره لهذه الآية: "وَأَعْلَمُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَهُ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ أَمَرَهُ بِتَرْتِيلِ الْقُرْآنِ

(16) قال مقاتل بن سليمان: { وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا }، يقول: تَرَسَّلَ به تَرَسُّلاً، على هينتك رويداً، يعني - عز وجل -: بَيَّنَّه تَبَيُّناً" تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمد شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط: 1، 1423هـ، ج: 4، ص: 475.

حَتَّى يَتَمَكَّنَ الْخَاطِرُ مِنَ التَّأَمُّلِ فِي حَقَائِقِ تِلْكَ الْآيَاتِ وَدَقَائِقِهَا، فَعِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ يَسْتَشْعِرُ عَظَمَتَهُ وَجَلَالَتَهُ، وَعِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْوَعْدِ وَالْوَعْدِ يَحْصُلُ الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ، وَحِينَئِذٍ يَسْتَبِيرُ الْقَلْبُ بِنُورِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَالْإِسْرَاعُ فِي الْقِرَاءَةِ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى الْمَعَانِي، لِأَنَّ النَّفْسَ تَبْتَهِجُ بِذِكْرِ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَمِنْ ابْتِهَاجِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ ذِكْرُهُ، وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا لَمْ يَمُزَّ عَلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، فَظَهَرَ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ التَّرْتِيلِ إِنَّمَا هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ وَكَمَا الْمَعْرِفَةُ". (17)، وقد رغبت الآية في القراءة السليمة من كل نقص وخسوف، المتمهلة مع تبيان الحروف والوقوف، الموصلة إلى التأمل والتذكر والتركية بجني القطوف. ويمكن القول إن ميلاد مصطلح الترتيل كان في هذه الآية؛ اعتباراً بفعل الأمر بالترتيل الوارد فيها: (رَتِّلْ)، حيث جاء متبوعاً بالصيغة الاسمية (ترتيلاً) مفعولاً مطلقاً؛ تأكيداً للفعل وتحقيقاً لصفة ونوع الترتيل المطلوب، حيث أفاد التنكير في الاسم معاني التبجيل والتعظيم، كما اقترن الترتيل هنا بلفظ القرآن اسماً ظاهراً، حيث سبقه الفعل ولحقه الاسم؛ وفي ذلك تأكيد على محورية هذه الآية في الدلالة على مصطلح الترتيل.

انتقل الوحي من الأمر بالترتيل إلى ذكر ما خص به الله تعالى القرآن الكريم من تنزيله مرتلاً، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32]، أي مفرقاً في الزمن ولم ينزل جملة واحدة مثل الرسائل السماوية السابقة كالطوراة والإنجيل والزبور، والترتيل هنا يفيد الترسل والتثبيت، "وقوله: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ يقول: وشيئاً بعد شيء علمناكه حتى تحفظته، والترتيل في القراءة: الترسل والتثبيت" (18)، وذكرت الآية في أولها حكمة لترتيل القرآن أي تنزيله مفرقاً وهي تثبيت قلب الرسول، وفي ذلك امتنان عليه وإشارة إلى وجوب التثبيت عند قراءة القرآن والحرص على ترتيله، "والترتيل يجوز أن يكون حالة لنزول القرآن، أي نزلناه مفرقاً منسقاً في ألفاظه ومعانيه غير متراكم، فهو مفرق في الزمان....، ويجوز أن يراد بـ (رتلناه) أمرنا بترتيله، أي: بقراءته مرتلاً، أي بتمهل بأن لا يعجل في قراءته بأن تبين جميع الحروف والحركات بمهل" (19)، والأمر بالترتيل المفهوم من الآية بدلالة الإشارة هنا أمر بتعظيم القرآن الكريم والعناية به، متعلق بما ذكر

(17) الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 3، 1420هـ، ج: 30، ص: 683.

(18) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ج: 19، ص: 266.

(19) ابن عاشور محمد الطاهر التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م، ج: 20، ص: 19.

من معاني (رتلناه) من ترسيل وتفريق وتفصيل وتفسير وتبيين⁽²⁰⁾، ويؤكد هذا التعظيم والإجلال استعمال ضمير الرفع (نا) المتصل بالفعل: (رتل).

ما ورد من مصطلح الترتيل في القرآن الكريم، جاء مؤسساً لمنطلق هام من منطلقات الدعوة، ومثبتاً لأصل من أصولها، والمتمثل في التذكير بالعناية الإلهية بالقرآن الكريم المعجزة العظيمة، والأمر بترتيبه حرصاً على تعظيمه وحسن تبليغه؛ لذلك دعت الآيتان موضع ورود إلى ترتيب القرآن؛ لما فيه من خير تبليغ الدعوة، والانتفاع بالوحي في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: تعريف مصطلح الترتيل القرآني

1- تعريف مصطلح الترتيل في القرآن

انطلاقاً مما سبق ومما دلّ عليه مصطلح الترتيل من معان جزئية، وبعد رصد وتبعية ورود مادة (رتل) في القرآن الكريم، يمكن استخلاص ما لزم مصطلح (الترتيل) في موارده من معنى كلي، ومنه تعريف مصطلح الترتيل في القرآن الكريم كالآتي:

الترتيل الحسن والاتساق والانتظام في القرآن الكريم والبيان التبيين في تلاوته بإحسانها؛ تعظيماً لكلام الله عز وجل، وتيسيراً للحفظ والفهم والتبليغ والعمل، وذلك بالانضباط إلى علوم القراءة والتجويد والصوت وما تعلق بها من مناهج، عناية بالمعاني عند نطق الحروف والألفاظ، وطلباً للتدبر والتفكير والاستنباط.

2- تحليل التعريف وعناصره

أ- الترتيل الحسن والاتساق والانتظام في القرآن الكريم والبيان التبيين في تلاوته بإحسانها؛ تعظيماً لكلام الله عز وجل وتيسيراً للحفظ والفهم والتبليغ والعمل

الترتيل الحسن والاتساق والانتظام، كما دل على ذلك المدار اللغوي لمادة (رتل)، إذ هي تدور على معاني الاستواء المادي والمعنوي وحسن الانتظام والتناسق في الشيء، ومنه حسن القراءة والدقة فيها على أحسن وجه، قال المصطفوي: "الأصل الواحد في هذه المادة هو حسن التنسيق والتنضيد....، ورتل الكلام: إذا أحسن تأليفه وتنسيقه

(20) "وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا" فيه خمسة تأويلات: أحدها: ورتلناه ترسيلاً، شيئاً بعد شيء، قاله ابن عباس. الثاني: وفرقناه تفريقاً، قاله إبراهيم. الثالث: وفصلناه تفصيلاً، قاله السدي. الرابع: وفسرناه تفسيراً، قاله ابن زيد. الخامس: وبيّناه تبييناً، قاله قتادة. "المأوردي أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج: 4، ص: 144.

وأبانه ونظمه...، والرتل من كل شيء الطيب منه. ورتل القرآن: بينه وتأثق (اختار الظرافة والدقة) في قراءته وترسل فيه ليكون حسن التناسق...، والرتل: قلنا إنه حسن النسق، أي تتابع بين أمور على أحسن وجه وأحسن نظام⁽²¹⁾. وهو ما سماه حسن جبل الانتظام في توالي أفراد الشيء، قال: " (رتل): المعنى المحوري انتظام أفراد النابت من شيء في تواليها⁽²²⁾. وقد بيت آيات الترتيل أن الترتيل يعني الاتساق والانتظام والاستقامة في الكلام إذا حسن تأليفه فأبان عن دلالاته، حيث الإشارة إلى ضرورة الحفاظ على تناسق القرآن الكريم؛ بقراءته بتمهل في نطق الحروف بياناً وتبييناً، قال تعالى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْفُرْقَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 3]، حتى تخرج واضحة مسموعة، وقد ذكر الله تعالى بترتيله للقرآن تعظيماً له، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32]، والترتيل هنا إشارة إلى تعظيم القرآن الكريم ولزوم دوام العناية به: ترسيلاً وتفصيلاً وتفسيراً وبياناً وتبييناً.

لا ريب أن الترتيل مقصده تمكين القارئ والمستمع من الاستماع السليم، الممكن من الفهم والحفظ، ومنه إلى التفكير والتدبر؛ ثم العمل والتبليغ، قال الكفوي: "وأما الترتيل فَإِنَّهُ للتدبر والتفكير والاستنباط"⁽²³⁾. وإلى هذه الحكمة من ترتيل القرآن الكريم، حيث الحرص على الإجلال والتعظيم والتوقير والتكريم لكتاب الله تعالى، حتى يتحقق التدبر والخشوع والأدب والخضوع عند تلاوة القرآن امثالاً لهدي الرحيم الرحمن، "قَالَ الْعُلَمَاءُ وَالتَّرْتِيلُ مُسْتَحَبٌّ لِلتَّدْبِيرِ وَلِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِجْلَالِ وَالتَّوْقِيرِ وَأَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي الْقَلْبِ وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ التَّرْتِيلُ لِلْأَعْجَمِيِّ الَّذِي لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ"⁽²⁴⁾.

ب- الترتيل انضباط إلى علوم القراءة والتجويد والصوت، وما تعلق بها من مناط، عناية بالمعاني عند نطق الحروف والألفاظ، وطلباً للتدبر والتفكير والاستنباط.

ورد في المعاجم أن من معاني الترتيل: الاتساق والانتظام والاستقامة، قال الراغب: "الرتل: اتساق الشيء وانتظامه على استقامة...، والترتيل: إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة"⁽²⁵⁾.

(21) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 3، ج: 4، ص: 51.

(22) جبل حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل، ج: 3، ص: 1282.

(23) الكليات، الكفوي، ص: 297.

(24) النووي أبو زكريا محيي الدين، المجموع شرح المذهب، مطبعة التضامن الأخوي، القاهرة، 1347هـ، ج: 2، ص: 165.

(25) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص: 341.

تقتضي الاستقامة في نطق كلام الله تعالى الالتزام بقواعد نطق الحروف وتجويدها حتى لا يلتبس بعضها ببعض فيتغير المعنى، والاستقامة لا تكون إلا بمراعاة قواعد التجويد المعتمدة في قراءة من القراءات المتواترة دون خلط بينها إلا بما تقتضيه القواعد وتسمح به.

لا تخفى أهمية استعمال الصوت البشري والتمكن من توظيف إمكانياته، والإلمام بما يحكم قواعد الصيغ اللحنية القرآنية وما يحكمها من طبوع ومقامات صوتية وطرق استخدامها والانتقال بينها، بما يخدم المعاني ويعبر عن المضامين المختلفة، ويحسن في نطق المباني دون إفراط مزل أو تفريط محل. وقد أشار الجرجاني إلى أهمية ذلك في تعريفه للترتيل: " الترتيل: رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف، وقيل: هو خفض الصوت والتخزين بالقراءة." (26).

المحور الثالث: الترتيل في الدرس القرآني بمادة التربية الإسلامية

المطلب الأول: كفايات الترتيل في الدرس القرآني بمادة التربية الإسلامية

لطالما اهتم البحث في علم تدريس التربية الإسلامية، بتجديد الآليات وإعادة النظر في المناهج وما تعلق بها من أساليب التدريس، وتأهيل المدرسين، وتعديل المقررات الدراسية، واعتماد ما استجد من نظريات ومقاربات، إن على المستوى المعرفي، أو المستوى التربوي البيداغوجي، أو مستوى الممارسة التعليمية الديدانكتيكية، ولعل من أبرز التحديات التي يواجهها تعليم قراءة القرآن ومدارسته، إضافة إلى ضعف اللسان، وعدم التمكن من علوم اللغة: من نحو وصرف وبلاغة، وضبط ما بينها من تكامل معرفي، مشكلة ضعف اعتماد الترتيل ومهاراته على اختلاف في ذلك بين الدول والمناطق، خاصة مع عدم تركيز بعض برامج تكوين المدرسين على كفايات الترتيل والذكاءات المتعددة⁽²⁷⁾، ومنها اللغوي والنغمي، مما أحدث لدى المدرسين ومعهم المتعلمين عقبة كاداء وجب اقتحامها؛ لإشباع

(26) الجرجاني، كتاب التعريفات، ص: 55.

(27) يمكن الإشارة هنا إلى نظرية الذكاءات المتعددة (the theory of multiple intelligences) التي جاء بها عالم النفس هاورد غاردنر، والتي تقول بتعدد الذكاءات: اللغوي، المنطقي، الموسيقي النغمي، الجسمي العضلي، ذكاء معرفة الذات، ذكاء معرفة الآخر، ذكاء معرفة الطبيعة، ذكاء التعليم. The Theory of Multiple Intelligences Davis, K., Christodoulou, J., Seider, S., & Gardner, H. In R.J. Sternberg & S.B. Kaufman (Eds.), Cambridge Handbook of Intelligence (pp. 485–503). Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press 19 Pages Posted: 9 Jun 2017.

حاجات المتعلمين في اكتشاف جمال الكتاب المسطور، المرشد إلى التمتع بحسن الكتاب المنظور⁽²⁸⁾، كل ذلك حفاظاً على الفطرة، وتهذيباً للذوق، وشحذاً للذكاء، وتطويراً للقدرات الصوتية، في علاقاتها بما هو لغوي وما هو جسمي وما هو منطقي، وفي تفاعلها مع الآخر ومع الطبيعة، وفي سعي منضبط إلى التعلم والتعليم، بحسن الترتيل وتزيين⁽²⁹⁾ الصوت؛ تحقيقاً لنفع المتعلمين ومتعتهم، فما أدري من عدم آليات بناء المنهج الترتيلي لدى المتعلمين، وافتقر إلى كفاياته وجهل غاياته ومراميه، بما يعتري جهده من فوادر بنائه، ونواقض غزله.

إن الحديث عن القراءة عامة هو حديث عن اللغة والعناية بها، فالأمر ينطلق من حيث إنها أصوات تعبر عن أغراض معينة؛ لذلك وجب أن تكون العناية فائقة بالمستوى الصوتي في اللغة، خاصة في مراحل التعليم الأولى، حيث وجب أن يضبط المدرس مهارات ترتيل الكلام والقراءة، ويسعى إلى إنبات تلك المهارات في الذاكرة السمعية للمتعلم تربيةً على الحسن والجمال⁽³⁰⁾، ثم يؤسس الاشتغال عليها تنظيمًا وتنسيقًا؛ حتى تخرج وتظهر في استقامتها البارقة، ونضارتها الشارقة. ويمكن إجمالاً رصد مستويات الاشتغال على الكفايات العرضانية⁽³¹⁾ للترتيل كالآتي:

(28) "ومن آيات الله تعالى ما أودعه في خلقه من جمال الصنعة تناسقاً في الأحجام والألوان، وتناسباً في الأصوات والنغمات، ونظماً في العبارات والكلم، تقع على ذلك الجمال الأبهصار، وتصغي له الأسماع، وتستقبله الأحاسيس والمشاعر فتتفاعل معه تفاعلاً تصدر منه بتعابير من الصور والأصوات ونظم الكلم، فيبرز ذلك الجمال من مكانه التي أكرمته الله فيها ليكون تعابير يتناقلها الناس بينهم وينفعلون بها انفعالاً يكون فيه غذاء للأرواح في موازاة غداء الأبدان، وذلك هو الفن، إذ الفن في أجلى تعاريفه هو التعبير عن الجمال." النجار عبد المجيد، ترقية الإيمان مقصداً للفن، الفنون في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، لندن، عدد: 2، سنة: 2019م، ص: 25-54.

(29) قال ابن الأثير في النهاية: "قال الشافعي: معناه تحسين القراءة وتزيينها، ويشهد له الحديث: (زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ)، وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء" ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج: 3، ص: 391.

(30) "تسهم التربية الجمالية في تكوين المبادئ الفكرية والوجدانية، الموضوعية والذاتية، لعلاقة الإنسان بكل ما يمتلك من قيمة جمالية، كما أنها تسهم في مواجهة الثقافة غير الإنسانية؛ لأن تصاعد الصراعات والنزاعات ليس إلا نتيجة لهذه الثقافة والمبالغة في النظرة المادية للعالم والوجود، والعلاقات الاقتصادية القائمة على الفردية وتحقيق الأرباح على حساب الجوانب الروحية، واحترام خصوصيات الإنسان والمجتمع، كل هذا أسهم في توسيع التطور المشوه للإنسان والأشياء؛ لذا فإننا اليوم بحاجة إلى التربية الجمالية لمناهضة الاستلاب بأشكاله وبواعثه، وبحاجة إلى وعي جمالي عام، وقيم جمالية أصيلة، تنسجم مع حاجتنا الإنسانية، وحاجات الواقع المتجدد، لنحيا حياة حرة كريمة، ونؤسس أعمالاً إبداعية لها ملامحها الخاصة؛ ملامحها الإنسانية" لطيفة برهم وغريب يوسف، أهمية العمل وضرورة الفن، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد: 29، العدد: 2، سنة: 2007م، ص: 59-68.

(31) يتحدث التربويون هنا عن الكفايات العرضانية: وهي تلك الكفايات المكتسبة من تقاطع العلوم والمواد التعليمية المختلفة. ينظر: محمد الخوش، من الكفايات نحو المهارات الحياتية: التيارات الأربعة لإدماج المقاربة بالكفايات في الأنظمة التعليمية، Soft Skills & Didactique des Langues, 2022 – revues.imist.ma.

- الضبط النظري التطبيقي لمخارج الحروف السبعة عشر: (عند من اعتبر الجوف مخرجاً)⁽³²⁾، ومخارجها الخاصة الخمسة: الجوف والحلق واللسان والشفتان والخيشوم؛ تقوياً لعيوب النطق والخلط بين الأصوات.
- تمييز الحروف في نطقها اعتباراً بصفاتها⁽³³⁾ تبعاً لحركاتها وموقعها، مع ضبط الصفات على مستوى التعريف والتطبيق، ثم المقابلة بين تلك التي لها ضد، والعناية بما ليس له ضد.
- التمرين ورياضة الفك على الانتقال بين الحروف ذات الصفات المتضادة كالاستعلاء والاستفال، خاصة عند تناوبها في الكلمة الواحدة. مع الوقوف على الأخطاء الشائعة في نطق بعض الكلمات.
- الاهتمام بقواعد الوقف والابتداء وأنواعها، مع الحرص على اعتماد التدريس بالنماذج؛ لبيان تعلق المعنى بالوقف والابتداء.
- اعتماد الترتيل في المستوى الصوتي⁽³⁴⁾، الذي عليه تبني المستويات اللسانية الأخرى، من الصرفي والتركيبى والمعجمي والدلالي.
- معرفة أقسام الصوت البشري، وأنواع المجموعات الصوتية، وامتدادات كل نوع من الأصوات البشرية، مع اعتماد تمارين الإحماء الصوتي، والعناية بالطبقات الصوتية وظواهر تبدل المدى الصوتي والانحدار الطبقي لدى الذكور البالغين خاصة⁽³⁵⁾.

⁽³²⁾ كما عند سيبويه الذي قسّم الأصوات خمسة عشر قسمًا، يشترك كل منها في مخرج واحد. فالباء والميم والواو مثلاً في مخرج الشفتين، والهمزة والهاء في مخرج حلقي واحد كذلك. واشتراك الأصوات في مخرج واحد يتطلب أساساً آخر للتفريق بينها في مخرجها الواحد، وهنا تبرز أهمية الصفات الحروف.

⁽³³⁾ "والخلط بين هذه الأصوات يأتي من وجه الشبه بين كل هذه الأصوات من ناحية قرب مخارجها، فمخارجها تنحصر بين أول اللسان وطرف الثنايا العليا وأصولها، وهذه الأصوات تشترك في ظواهر لغوية وتفتقر في صفات صوتية متباينة" برهم لطفية وغريب يوسف، فن الإلقاء، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ص: 99.

⁽³⁴⁾ علم الصوتيات يبني على دعامتين رئيسيتين هما:

- معطيات علم الأصوات، أي: مجموعة الملاحظات المسجلة التي تقرر أن اللغة المدروسة تشتمل على عدد معين من الأصوات لكلٍ منهما وصفه العضوي والسمعي.

- طائفة من المقابلات بين الأصوات من حيث المخارج والصفات والوظائف، وهذه المقابلات هي جهات الاختلاف بين كل صوت وكل صوت آخر، إما من حيث المخرج فقط، أو الصفة فقط، أو هما معاً، وتسمى "القيم الخلافية". تمام حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، بيروت، ط: 5، 2006م، ص: 67.

⁽³⁵⁾ ما يعرف بظاهرة استغلاظ الصوت (la mue): وهو تحول الصوت البشري نحو الانحدار عند فترة البلوغ، ويظهر هذا التحول جلياً عند الذكور، حيث تتحول طبقة الصوت من الارتفاع إلى الانخفاض بعد مرحلة انتقالية مضطربة.

- الاهتمام بثقافة إنبات وحماية الصوت البشري، وكذا أنواع الأصوات وخصائص الصوت: من شدة ومدة وارتفاع وانخفاض وطابع، والاطلاع على المقاييس الفيزيائية⁽³⁶⁾ لكل خاصية.
- تعلم طرق ومهارات الإلقاء، والضبط السمعي لنماذج المقامات الصوتية الرئيسة، ولبعض فروعها إن أمكن، مع الوعي بطرق استعمالها والإلمام ببعض أنواع الزخارف والتلوينات الصوتية، وكيفية توظيفها خدمة لمعاني النصوص، خاصة منها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
- الإلمام بالرواية القرآنية المعتمدة في البلد⁽³⁷⁾، واعتمادها كأساس في الاستماع، يتبين به تدريجياً الفروق بين بعض القراءات المشهورة.

المطلب الثاني: آليات تنزيل مفهوم الترتيل القرآني واعتماده في مناهج تدريس التربية الإسلامية

يرتكز الترتيل في معانيه على الجانب الصوتي في القرآن الكريم، حيث الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم يستوجب بداية الاهتمام بدقة اختيار الحروف وما تحمل من خصائص وصفات، في توزيعها وتركيبها، بما يخدم معاني ودلالات المصطلحات في سياق الآيات القرآنية، فالأصوات تختلف تبعاً للسياقات، تتباين بين مشاهد الفرح والسرور والتنعيم، ومواقف الشدة والغضب والعذاب والجحيم. والترتيل بذلك يراعي بناء هذه المعجزة الصوتية القرآنية الخالدة، ويسعى إلى كشف وإظهار المعاني وتوظيف الصوت البشري بإمكاناته للتعبير عنها، وتبليغها للمتعلّم؛ حملاً له على التفكير والتدبر. وفي هذا الجانب لا بد من إعادة النظر في برامج التكوين الأساس والتكوين المستمر للأطر التربوية، وذلك بتجويد التكوين كمدخل رئيس للإصلاح، يضع في صلب اهتمامه الانتقال بمادة التربية الإسلامية لخدمة الكفايات النوعية والعرضانية معاً، ومن ذلك ضرورة العناية بتعميق اكتساب المهارات والمعارف المتعلقة بالتخصص، خاصة منها تلك المتعلقة بقراءة القرآن وترتيله، وما يرتبط بذلك من استعمال الصوت البشري وتوظيفه.

لا يقتصر الترتيل في معناه على الجانب الصوتي الأدائي، فمعنى الترتيل المتعلق بالتنسيق والانسجام بين الآيات القرآنية رغم نزولها مفرقة بحسب الوقائع، يرشد إلى التعرف على منهج تنزيل للقرآن وتوظيفه بما يناسب واقع

⁽³⁶⁾ تذكر في هذا الباب إسهامات قيثاغورس ونيوتن وابن سينا والرازي وابن الهيثم، ينظر: الدوهجي وسيم شكيب، الفيزياء والموسيقى وجهان لعملة واحدة، مجلة العربي الجديد، العدد: 685، سنة: 2015م.

⁽³⁷⁾ يعتمد المغاربة في قراءة القرآن وتعليمه وتفسيره على رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق على مذهب الداني، وعلى هذا كان الضبط والرسم في طبع المصاحف، مع اعتماد الوقف الهبطي.

الناس، عبر مفاهيم أودعها الخالق في كتابه وجب استبانتهما، إذ "بناء المفاهيم يقتضي التدقيق التحليلي، أي القدرة على فك الوحدة إلى عناصرها، والتمحيص في الجزئيات، فالتعامل يكون على قدر الوحدة المعنية. وهو عمل يتطلب مهارات تحليلية بالأساس، إذ يكون الباحث فيه كالخبير في معمل فحوص طبية أو حيوية يمسك المجهر لكي يفحص العينة: (اللفظ) الاصطلاح الذي منه يخرج المفهوم"⁽³⁸⁾.

إن الترتيل يروم بناء الإنسان والجماعة المستقيمة في سيرها إلى الخالق، ذلك البناء الذي ينطلق من التعليم والتعلم منذ مرحلة التعليم الأولي، حتى التعليم العالي، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال اتباع الترتيل القرآني وفق نظرة كلية منطلقها الصوت واللفظ والمفهوم، ومدارها السعي إلى الكشف عن النسق القرآني المتفرد، ومقصدها تنزيل الهدايات وفهمها المتجدد بما ينفع الناس في الحال والمآل، "فالتنزيل، كما يتضح في الآية: (32) من سورة الفرقان، كان ترتيباً بأمر الله، وهذا الترتيل كان يستبطن خطة تشريعية وتربوية وبنائية جليلة المعالم، معجزة الملامح"⁽³⁹⁾؛ لذا وجب الحرص على كشف معالم تلك الخطة المستبطنة، مما يستدعي إعادة النظر في مناهج البرامج التعليمية للأسلاك التعليمية الثلاثة، بإرساء تكوينات رصينة للأساتذة تروم تنزيلاً سليماً للترتيل يخدم الجانب النسقي في علاقته بالبناء الصوتي والمنهجي.

المطلب الثالث: قراءة في برنامج وحدة التجويد والقراءات المقررة بالمدارس العليا للأساتذة بالمغرب

مادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي

المتصفح لهذا البرنامج المفصل بالملف الوصفي⁽⁴⁰⁾، والمؤطر للتكوين الأساس لأساتذة مادة التربية الإسلامية بالثانوي بسلكيه، أول ما يمكن أن يلحظه هو دمج علم التجويد وعلم القراءات في مادة واحدة بالفصل الثاني، وهي الوحدة المتفردة التي تهتم بالقراءة القرآنية، وبالترتيل في شقه المتعلق بالتجويد والقراءات، ولا تخفى هنا أهمية وضرورة الفصل بين علم التجويد وعلم القراءات؛ لأن الحاجة شديدة لضبط قواعد التجويد نظرياً وتطبيقياً؛ حتى يتمكن منها الطالب الأستاذ من تجويد درسه القرآني، فيتمكن من كفايات الترتيل منهجاً وأداءً، فينفع بها مدرس

⁽³⁸⁾ أبو الفضل مني، نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي: بين المقدمات والمقومات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، سنة: 1996م، ص 114-116. وينظر البوشيخي الشاهد، دراسات مصطلحية، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، فاس، ط: 1، 2012م، ج: 1، ص: 64.

⁽³⁹⁾ عبادي أحمد، مفهوم الترتيل في القرآن الكريم: النظرية والمنهج، دار أبي رزاق، الرباط، ط: 1، 2007م، ص: 128-129.

⁽⁴⁰⁾ المدارس العليا للأساتذة بالمغرب، الملف الوصفي المعتمد لمسلك الإجازة في التربية، تخصص الثانوي التأهيلي الدراسات الإسلامية، دورة 2023.

الغد تلاميذه رجال المستقبل، إذ أثبت الاستقراء وكذا الممارسة التربوية الضعف العام لأساتذة التربية الإسلامية من جهة تمكنهم المعرفي والأدائي لقواعد التجويد في حدوده الدنيا أي برواية واحدة (في المغرب تعتمد رواية ورش عن نافع طريق الأزرق مذهب الداني)، وهذا يستثني فئة قليلة هي القلة المتمكنة.

يمكن بالمقابل إلحاق علم القراءات بوحدة علوم القرآن، أو تخصيصه بوحدة مستقلة تضم مباحث نظرية يستفيد منها الطلبة الأساتذة في إثراء معارفهم؛ وذلك لتعذر أعمال التطبيقات المتعلقة بالقراءات، مما يستوجب أساساً التمكن وضبط الأداء برواية واحدة، ثم الانتقال إلى الرواية التي تشاركها في المقرء مع الإمام بطرقها المعروفة، ثم الانتقال بعد ذلك إلى القراءات السبع ثم إلى العشر، وهذا متعذر، ولا حاجة للمتعلمين غير المتخصصين به. يتناول المحور الأول من هذه الوحدة قواعد التجويد وفق رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، وهو في الجملة برنامج تعليمي تقليدي يعتمد التدرج من الكليات إلى الجزئيات.

أولاً: التقييم العام

يمكن إبداء الملاحظ الآتية:

أ. من حيث البناء المنهجي

البرنامج منظم بترتيب منضبط، إذ يبدأ بالتعريف بعلم التجويد، ثم المخارج والصفات، ثم أبواب الأحكام (النون الساكنة، الميم، المدود...)، وهذا التدرج من الكلي إلى الجزئي مناسب تربوياً، غير أنه: يخلط أحياناً بين الجانب النظري والتطبيقي دون فصل واضح، كما أنه لا يبرز بوضوح التدرج المهاري (من التلقي إلى الإتقان).

ب. من حيث المحتوى العلمي

المضامين المذكورة تغطي الحد الأدنى من أبواب التجويد، خاصة ما تعلق بمباحث: مخارج الحروف وصفاتها، وأحكام النون الساكنة والتنوين، وأحكام الميم الساكنة، والمدود، والوقف والابتداء، وهذا يجعل البرنامج مناسباً للمبتدي أو المتوسط. لكن يلاحظ:

- غلبة الطابع المدرسي التلخيصي.

- ضعف الإشارة إلى الخلافات داخل رواية ورش (طرق الأداء).

- غياب التأصيل من المصادر (كالشاطبية وشروحها).

ج. من حيث الجانب التطبيقي

يشير البرنامج إلى (تطبيقات)، وهذا إيجابي، لكن لم يُحدّد نوع التطبيق (تلاوة فردية، تصحيح جماعي، تسجيلات)، كما أنه لا يظهر اعتمادًا واضحًا على المشافهة والتلقي، وهو أصل مكين في علم التجويد.

د. من حيث الارتباط برواية ورش

ورد بالعنوان الإشارة إلى اعتماد رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، لكن المحتوى المعروض عام في التجويد، ولا يبرز خصوصيات ورش بوضوح، كما لا يظهر التفصيل في اختيارات الأزرق (مثل الإمالة، النقل، مد البدل...)

ثانيًا: المباحث الناقصة في البرنامج

فيما يلي أهم المباحث التي يمكن إدراجها لإتمام البناء العلمي للبرنامج:

أ- مباحث أصول رواية ورش: أصول رواية ورش عن نافع بطريقي الرواية (الأزرق، الأصبهاني) مع بيان الفروق ومفهوم الطريق في القراءات.

ب- باب الإمالة والنقل

هنا تبرز ضرورة تمييز مواضع وأحكام وضوابط الإمالة الكبرى والصغرى عند ورش، واستيعاب أحكام النقل (نقل حركة الهمزة)، وهذا من أهم ما يميز ورش، وفي غيابه خلل كبير.

ج- باب الهمز عند ورش: تسهيل الهمز، إبداله، نقل حركته، أحكام الهمزتين من كلمتين ومن كلمة.

د- باب البدل: مد البدل وأوجهه عند ورش، والفرق بينه وبين بقية المدود.

هـ- التفصيل في المدود الخاصة بورش: مد اللين، مد التعظيم، مراتب المد عند الأزرق.

و- باب الرءات واللامات (بتوسع): تفخيم وترقيق الرء عند ورش، خصوصيات لام لفظ الجلالة.

ز- الوقف والابتداء (تأصيلًا): أنواع الوقف (تام، كاف، حسن، قبيح)، أثر الوقف على المعنى، تطبيقات قرآنية موجهة.

ح. الجانب التطبيقي المنهجي

في هذا الجانب لا مناص من إدراج نصوص قرآنية محددة للتطبيق، تعتمد التلقي بالمشافهة وبالمحاكاة الصوتية، مع اعتماد تقويم مرحلي عبارة عن اختبارات تلاوة.

ط- الجانب الصوتي (الفونتيكي)

في الجانب الصوتي يستحسن الربط بين علم التجويد وعلم الأصوات عبر اعتماد مجموعة من التمارين المتدرجة

التي تستهدف عمليات ضبط وتقويم مخارج الحروف وصفاتها، وأساليب توظيف الصيغ الأدائية بمراعاة للمعاني في سياقاتها.

ي- التوثيق العلمي: الإحالة إلى مصادر مثل: (الشاطبية/الدرر اللوامع/شروح الداني وابن الجزري)

ثالثاً: الخلاصة التقييمية

في الخلاصة يمكن القول إن نقاط قوة هذا البرنامج تكمن في ترتيب محاوره ترتيباً إجمالياً مقبولاً، مع تغطية لأساسيات التجويد والإشارة إلى ضرورة اعتماد التطبيقات، وتتجلى نقاط الضعف أساساً في ضعف إبراز خصوصيات رواية ورش، ويبرز ذلك في غياب مباحث أساسية كالإمالة والنقل والبدل، وأبرز النقص يتجلى في المنهج التطبيقي ومنهج التلقي، مع غياب التأصيل العلمي وعدم العناية باستعمال الصوت عند الطالب الأستاذ وتحسينه حتى يتمكن من حسن التبليغ.

ولترقية البرنامج إلى مستوى أحسن؛ لابد من إعادة بنائه وفق الأصول النظرية لرواية ورش مع التطبيق العملي بالتلقي، وإدراج مباحث ورش الخاصة بشكل مفصل، ولا تخفى هنا أهمية اعتماد التدرج المهاري (سماع/محاكاة/إتقان).

رابعاً: اقتراح تصميم أكاديمي لوحدة التجويد والأداء

يعد هذا البرنامج رحلة معرفية ومهارية متكاملة، تهدف إلى تمكين الطالب من "حق التلاوة" عبر تزويج فريد بين التأصيل النظري والإتقان التطبيقي. ينطلق البرنامج من ضبط المبادئ العامة لعلم التجويد، ليتعمق في خصوصيات مدرسة الإمام ورش من طريق الأزرق، مستقصياً أدق أحكام الهمز والمدود والإمالات، مع العناية الفائقة بمخارج الحروف وصفاتها والأداء الصوتي مراعاة لمنهج الترتيل القرآني.

ومن ميزات هذا البرنامج:

- الشمولية والخصوصية: إذ يغطي القواعد الكلية للرواية مع التركيز على الوقف الهبطي والخصوصيات المغربية الأصيلة.

- البعد الجمالي والصوتي: يتجاوز مجرد النطق الصحيح إلى رحاب الأداء النغمي المنضبط، بدمج المقامات الشرقية والطبوع المغربية لخدمة المعاني القرآنية.

- المنهجية الحديثة: يعتمد التدرج المهاري (سماعاً ومحاكاةً وإتقاناً)، مع ربط التراث التجويدي بعلوم الأصوات

الحديث.

-المرجعية الرصينة: يستند إلى أمّات المتون كالشاطبية والدرر اللوامع؛ لضمان تلقّي مسندٍ وصحيح.

-الغاية الأسمى: بناء ملكة قرائية راسخة ترتقي بترتيل الطالب من مجرد الأداء إلى مرتبة الإحسان، صوناً للسان عن اللحن، وتحقيقاً للخشوع في التلاوة.

أ-الهيكلة العامة للبرنامج: يقوم البرنامج على محورين كبيرين:

المحور الأول: التأصيل النظري: ويتضمن مدخلاً إلى علم التجويد وفرشاً لأصول رواية ورش عن نافع (طريق الأزرق)

المحور الثاني: يستهدف الإتقان التطبيقي تطبيق الأحكام على نصوص قرآنية، باعتماد التلقي والمشافهة وتقييم الأداء الصوتي.

ب- الوحدات الدراسية المفصلة

الوحدة 1: مدخل إلى علم التجويد

من أهداف هذه الوحدة: ضبط مفهوم التجويد وأهميته، والتمييز بين اللحن الجلي والخفي وترتكز مضامينها على ثلاثة محاور: تعريف التجويد لغة واصطلاحاً، بيان حكم تعلمه وتعليمه، ضبط مراتب القراءة (التحقيق، التدوير، الحذر).

وهنا يمكن اعتماد أنشطة تحليل نماذج تلاوة صحيحة وأخرى بها نقائص (مع السعي إلى تحديد أنواع العيوب بها)، وغير هذا من الأنشطة المتصلة بالاستماع والمحاكاة.

الوحدة 2: مخارج الحروف وصفاتها

من أهداف هذه الوحدة: إتقان مخارج الحروف عملياً، مع التمييز بين الصفات المتقابلة: (ذات الضد) والصفات المنفردة: أي (التي لا ضد لها)، وترتكز المضامين على ضبط المخارج العامة والخاصة، والصفات اللازمة والعارضة، والأنشطة هنا تستلزم تدريبات النطق فردية، كما يمكن الاستعانة بتسجيلات صوتية للتقييم والتقويم.

الوحدة 3: أحكام النون الساكنة والتنوين والميم

ترتكز الأهداف في هذه الوحدة على تطبيق أحكام الإظهار والإدغام والقلب والإخفاء، وأهم المضامين هنا: النون الساكنة والتنوين، الميم الساكنة، ويمكن اعتماد أنشطة متنوعة كاستخراج الأحكام من آيات محددة، والبحث

عن أمثلة من الآيات ومن اللغة يقترحها الطلاب، وتتم مناقشتها وتحليلها.

الوحدة 4: المدود

من الأهداف هنا التمييز بين أنواع المدود وضبط مقاديرها، وتتوزع المضامين على دراسة المد الطبيعي والفرعي، والمد المتصل والمنفصل ومد البدل (مع خصوصية ورش)، أما الأنشطة فيمكن اعتماد تدريبات على مراتب المد عند ورش بحسب المراتب الرئيسة المعروفة في قراءة القرآن.

الوحدة 5: الهمز وأحكامه عند ورش

من أهداف هذه الوحدة إتقان معالجة الهمز وفق طريق الأزرق، وتشمل المضامين: تسهيل الهمز وإبداله ونقل حركته، وتعدد هما الأنشطة: إذ يمكن اختيار تطبيقات من سور متعددة، منها ما يخص كل حكم على حدة، ومنها تلك التي تستوعب أكثر من حكم للتمييز بين الحالات العامة والخاصة.

الوحدة 6: الإمالة والنقل (خصوصيات ورش)

تتجلى أهداف الوحدة السادسة في ضبط الإمالة الكبرى والصغرى، مع فهم ظاهرة النقل، ويمكن في جانب المضامين اعتماد مجموعة من المباحث: تعريف الإمالة وأنواعها، ورصد مواضعها في القرآن، تعريف النقل وضوابطه، وفي جانب الأنشطة يستحسن اعتماد قراءات تطبيقية مع المقارنة بين الفتح والإمالة.

الوحدة 7: الرءاء واللامات.

من الأهداف هذه الوحدة إتقان التفخيم والترقيق وهذا باب تزل فيه الأصوات ويختلط على كثير من المفوهين، وتتعدد الصعوبات وتجتمع في بعض السور كسورة (ق)، وتتوزع المضامين بين أحكام الرءاء وأحكام اللامات ومنها ما يخص لام لفظ الجلالة، ويفترض في الأنشطة هنا التنوع بحسب الحاجات مع اعتماد تدريبات سمعية وتمييزية.

الوحدة 8: الوقف والابتداء

لا تخفى أهمية هذا المبحث ومركزيته في علم التجويد وفن الترتيل، والأهداف هنا لا تخرج عن إحسان اختيار الابتداء الرصين والوقف المناسب مع استجلاء أثر ذلك في المعنى، والمضامين هنا يمكن اختصارها في المعارف المتعلقة بأنواع الوقف وقواعد الابتداء ومميزات الوقف الهبطي وتوجيه مشكلاته. أما بالنسبة للأنشطة فالخيارات متعددة: تبدأ بالتطبيقات المتنوعة، لتغوص في التحليل الدلالي لاستعمالات الوقف عند القراءة في الآيات.

الوحدة 9: أصول رواية ورش

يهدف الدرس هنا إلى تمكين المتعلم من فهم البناء النظري لرواية ورش، واستيعاب مفهوم القراءات والروايات والطرق، مع التعرف إلى طريق الأزرق وخصائصه، وإدراك أوجه وحدة الأصول في الرواية من خلال مقارنة موجزة ببعض الروايات الأخرى. وتتمحور المضامين حول تعريف المصطلحات الأساسية، وبيان خصائص طريق الأزرق، وإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين الروايات في إطار التنوع القرائي المنضبط. أما الأنشطة المعتمدة فتشمل قراءة نماذج تطبيقية، وتحليل بعض الظواهر الأدائية، وإنجاز مقارنات مختصرة بين الأوجه القرائية، بما يُنمّي لدى الطلاب ملكة التذوق القرائي والفهم المنهجي لأصول الرواية.

الوحدة 10: التطبيق الشامل: التلقي والإتقان

تعنى هذه الوحدة التطبيقية الشاملة بترسيخ التلقي الصحيح، وتحقيق الإتقان الأدائي لدى الطلاب، وذلك من خلال تنمية الملكة القرآنية وصقل مهارات الأداء والتصحيح.

وتتضمن مضامينها تلاوة أجزاء مختارة تمكن من استحضار القواعد المختلفة والأصول المدروسة، مع العناية بتصويب الأخطاء وتقويم الأداء وفق أصول الرواية المعتمدة. أما أنشطتها فتقوم على العروض الفردية والتقويم المرحلي؛ قصد متابعة تطور الطالب، وقياس مدى تمكنه من جودة الترتيل وحسن التلقي، بما يحقق الانسجام بين الجانب النظري والتطبيقي العملي في مسار التكوين والإتقان.

الوحدة 11: مدخل إلى الصيغ الصوتية

تركز الوحدة الحادية عشرة: مدخل إلى الصيغ الصوتية على المزاجية بين الأداء القرآني الرصين والجمالية الصوتية، من خلال استعراض المقامات الشرقية (كالبيات والحجاز)، والطبوع المغربية الأصيلة (كرمل الماية والرصد). وتهدف هذه الوحدة إلى تعليم القارئ كيفية توظيف هذه الصيغ الصوتية كأدوات لخدمة المعاني القرآنية وتعميق تدبر الآيات ومفاتيحها: المصطلحات القرآنية، مع الالتزام التام بضوابط الترتيل وقواعد التجويد. ويتم ذلك عبر منهجية تطبيقية تستلهم الأداء من مشاهير القراء المتقنين؛ لضمان تحقيق التوازن بين جمال الإبداع الصوتي وجلال النص القرآني.

ثالثاً: منهجية التدريس

ترتكز العملية التعليمية في هذا البرنامج على استراتيجية التدرج المهاري التي تبدأ بالسماع الواعي، تليها المحاكاة الدقيقة، ثم الأداء الذاتي وصولاً إلى مرحلة الإتقان. ويتحقق ذلك عبر تنوع بيداغوجي فعال يدمج بين التعلم

التعاوني وروح المنافسة في المسابقات، مع استثمار التعلم بالخطأ كأداة للتصويب والمحاكاة الصوتية لضبط المخارج. ويواكب هذا المسار نظام تقويم متكامل يشمل الجانب التشخيصي لتحديد المستويات، والتكويني لتوجيه التعلم، والإجمالي لقياس المخرجات النهائية.

رابعاً: المراجع المعتمدة

يستند البرنامج إلى أصول المرجعية القرائية والتحقيق التجويدي، وفي مقدمتها منظومتا الشاطبية والدرر اللوامع، إضافة إلى المراجع الثرية العمدة مثل كتاب "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري، وكتاب "التمهيد في علم التجويد"، مما يضمن تأصيل المادة العلمية وربطها بمتون القراءات المعتمدة.

خامساً: مقترحات أكاديمية تطويرية

لإضفاء صبغة أكاديمية رصينة على البرنامج، يُقترح تدعيمه بمدخل مصطلحي يعنى بالتحليل الدلالي لمصطلحات التجويد، مع تخصيص دراسة تطبيقية على سورة معينة (كسورة يوسف أو الكهف) تهدف إلى ربط قواعد التجويد بعلم الأصوات الحديث (Phonetics)، كما تبرز الأهمية البالغة لترسيم مادة التجويد كوحدة أساس في جميع الفصول الدراسية؛ لضمان الارتقاء المستمر بمستوى الترتيل وتمكين الطالب من ناصية هذا العلم نظرياً وتطبيقاً، مع فتح مسارات التكوين عن بعد وتفعيل أنشطة النوادي خاصة نادي التجويد والقراءات.

خاتمة

خلصت هذه الدراسة الموسومة بـ "مفهوم الترتيل القرآني وأهمية اعتماد منهجه في تحقيق كفايات القراءة القرآنية لمدرسي مادة التربية الإسلامية" إلى بلورة رؤية منهجية تربط في الترتيل بين علم التجويد وعلم الدلالة وعلم الأداء الحديث. وقد تكلل البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات التي نوجزها فيما يلي:

أولاً: نتائج البحث

تأصيل المفهوم: أثبتت الدراسة أن "الترتيل" ليس مجرد تحسين للصوت، بل هو منهجية متكاملة تجمع بين تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، وكذا اكتشاف المنهج القرآني ورسوخه في تشييد المباني بما يوافق المعاني، وهو الركيزة الأساسية لبناء "الملكة القرائية" لدى المدرس.

الارتباط الوظيفي: كشفت الدراسة عن وجود علاقة طردية بين تمكن المدرس من قواعد الترتيل وقدرته على نقل الكفايات القرائية للمتعلمين بصورة سليمة، مما يجعل من مادة التجويد أداة تعليمية لا غنى عنها.

التفرد المؤسساتي: سجل البحث باعتزاز الدور الريادي الذي تضطلع به المدارس العليا للأساتذة بالمغرب؛ إذ ظلت هذه المؤسسات وفية لعمقها الهوياتي والأكاديمي عبر ترسيم وحدة التجويد كمادة أساسية ضمن مسالك تكوين مدرسي التربية الإسلامية، بخلاف بعض المؤسسات الجامعية الأخرى التي غفلت عن أهمية هذا المكون فألغته أو ما فتئت تدججه هامش عروضها في التكوين العلمي.

تكامل التكوين: أظهرت النتائج أن نجاعة التكوين بالمدارس العليا للأساتذة سببه عدم الاقتصار على عنايتها بالجانب النظري، بل عمدته الامتداد في التطبيقات والعمل الميداني مع تبني الأنشطة الموازية (مسابقات التجويد والحفظ...) كرافد أساس يدعم التكوين الرسمي، ويزكي روح التنافس الشريف والإتقان المهني.

ثانيًا: التوصيات

بناءً على ما تقدم، يوصي الباحث بالآتي:

-تعميم النموذج: دعوة المؤسسات الجامعية ذات الصلة إلى الاقتداء بتجربة المدارس العليا للأساتذة في إدراج التجويد في برامجها مع تخصيصه بوحدة مستقلة ومستمرة.

-التحديث المنهجي: ضرورة الانفتاح على علوم الأصوات الحديثة؛ لتعزيز الدرس التجويدي وتطوير تقنيات المحاكاة الصوتية لدى الأساتذة المتدربين.

-مأسسة الأنشطة: تحويل مسابقات التجويد من أنشطة موسمية إلى نواذ قرآنية قارة داخل المؤسسات التكوينية، متاحة لجميع الطبة الأساتذة؛ تسهم في صقل المواهب وإعداد "المدرس القارئ".

-الربط المصطلحي: تكثيف الدراسات المصطلحية التي تبحث في مفاهيم التجويد والترتيل لضمان دقة الاستعمال الأكاديمي لدى الباحثين والمدرسين.

ختامًا إن العناية بالترتيل القرآني في مراكز التكوين هي عناية بجوهر مادة التربية الإسلامية، وضمانة لجيل من المدرسين القادرين على ترسيخ قيم النص القرآني بأداء متقن وجمالية تأخذ بالألباب، سواء بالأنشطة الصفية أو بأنشطة الحياة المدرسية، الممتدة إلى أنشطة الحياة بالمجتمع المغربي المتعلق بجلال القرآن وجماله.

إن الاهتمام بالترتيل والإبحار في قاموسه المحيط، فهمًا وتفهمًا، تعليمًا وتعلّمًا، امتاعًا واستمتاعًا؛ يلزم كل مبحر أن يكون حتمًا لنفسه على المكاره أثيل، جماعًا بين صلب المراس والصبر الجميل، متقنًا لفنون التلقي والقراءة والتلاوة والترتيل؛ حتى يتحصل التدبر والتفكير والاستنباط، وتبتدى آثاره في الجوانب الثلاثة: الأدائي، والدلالي،

والتعليمي التربوي. فلا شك أن ذلك قمين بالارتقاء بالمنظومة التعليمية برمتها، ومن ثم النهوض بالأمة لاسترجع مكانتها بما تقتضيه خيريتها ووسطيتها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.
2. الأصفهاني الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الشامية، بيروت، ط: 1، 1412هـ.
3. البوشيخي الشاهد، دراسات مصطلحية، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، فاس، ط: 1، 2012م.
4. تمام حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، بيروت، ط: 5، 2006م.
5. جبل محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: 1، 2010م.
6. الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1983م.
7. الجوهري إسماعيل أبو النصر بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1987م.
8. الحميري نشوان بن سعيد، شمس العلوم، تحقيق: حسن بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1999م.
9. أبو دؤاد الإيادي، ديوان أبي دؤاد الإيادي، تحقيق: أنوار محمود الصالحي وآخرون، دار العصماء، دمشق، ط: 1، 2010م.
10. ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 1، 1987م.
11. الدوهجي وسيم شكيب، الفيزياء والموسيقى وجهان لعملة واحدة، مجلة العربي الجديد، العدد: 685، سنة: 2015م.
12. الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 3، 1420هـ.
13. الشيباني أبو عمرو إسحاق بن مزار، كتاب الجيم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974م.
14. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

15. ابن عاشور محمد الطاهر التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.
16. عبادي أحمد، مفهوم الترتيل في القرآن الكريم: النظرية والمنهج، دار أبي رفاق، الرباط، ط: 1، 2007م.
17. عبد الباقي محمد فؤاد، المعجم المفهرس، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 1، 1945م.
18. الفراهيدي الخليل، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 2003م.
19. أبو الفضل مني، نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي: بين المقدمات والمقومات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، سنة: 1996م، ص 114-116.
20. ابن القطّاع الصقلي، كتاب الأفعال، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1983م.
21. ابن القوطية، كتاب الأفعال، تحقيق: علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 2، 1993م.
22. الكفوي أيوب بن موسى الحسيني القرمي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
23. لطيفة برهم وغريب يوسف، أهمية العمل وضرورة الفن، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد: 29، عدد: 2، سنة: 2007م، ص: 59-68.
24. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
25. مجمع اللغة العربية بالشارقة، المعجم التاريخي للغة العربية الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مادة (رتل).
[/https://www.almojam.org](https://www.almojam.org)
26. المدارس العليا للأساتذة بالمغرب، الملف الوصفي المعتمد لمسلك الإجازة في التربية، تخصص الثانوي التأهيلي الدراسات الإسلامية، دورة 2023.
27. المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 3.
28. مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط: 1، 1423هـ.
29. النجار عبد المجيد، ترقية الإيمان مقصداً للفنّ، الفنون في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية، لندن، عدد: 2، سنة: 2019م، ص: 25-54.
30. النووي أبو زكريا محيي الدين، المجموع شرح المذهب، مطبعة التضامن الأخوي، القاهرة، 1347هـ.

REFERENCES

- Davis, K., Christodoulou, J., Seider, S., & Gardner, H. In R.J. Sternberg & S.B. Kaufman (Eds.), The Theory of Multiple Intelligences Cambridge Handbook

of Intelligence (pp. 485-503). Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press19 Pages Posted: 9 Jun 2017.

- revues.imist.ma, Soft Skills & Didactique des Langues, 2022 - revues.imist.ma.

إشكالية رقمنة المواد التطبيقية في التعليم العالي: قراءة في تجربة الكارطوغرافيا.

محمد باحو / باحث دكتوراه / جامعة محمد الخامس / الرباط / المغرب

نادية مشوري/أستاذة بكلية الآداب والعلوم الانسانية/ جامعة محمد الخامس / الرباط / المغرب

عبد العزيز باحو/أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة /كلية علوم التربية/جامعة محمد الخامس/الرباط/ المغرب

The problem of digitizing applied materials in higher education:

A reading of the cartography experience.

mohamed_bahou@um5.ac.ma

معرف ORCID : 1706-3647-0005-0009

مستخلص:

في ظل التحول الرقمي الذي يشهده التعليم العالي بالمغرب، تواجه المواد ذات الطبيعة التطبيقية وعلى رأسها الكارطوغرافيا تحدياً مزدوجاً؛ فبينما تسهل الرقمنة عملية الإنتاج، إلا أنها قد تخل بضوابط السيميولوجيا الخرائطية ومنهجية التمثيل الكارطوغرافي. تكمن المعضلة في كيفية تطويع الأدوات الرقمية لخدمة الرسالة الكارطوغرافية دون المساس بالقواعد الكارطوغرافيا، والشروط النشر المعتمدة، مما يطرح تساؤلاً جوهرياً حول مدى قدرة الرقمنة على استيعاب خصوصية المادة التطبيقية في البحوث الجامعية والأوراق العلمية.

الكلمات مفتاح: الرقمنة - التعليم العالي - المواد التطبيقية - الكارطوغرافيا - السيميولوجيا الخرائطية.

Abstract:

In light of the digital transformation underway in Moroccan higher education, applied disciplines, particularly cartography, face a dual challenge. While digitization facilitates production, it may also compromise the principles of cartographic semiotics and cartographic representation methodology. The dilemma lies in adapting digital tools to serve the cartographic message without violating established cartographic rules and publication requirements. This raises a fundamental question about the extent to which digitization can accommodate the specific nature of applied subjects in university research and scholarly papers.

Key words:

Digitalization - Higher Education - Applied Subjects - Cartography - Cartographic Semiotics.

المهدف من الدراسة: تسليط الضوء على الاختلالات التي تشوب التمثيل الكارطوغرافي في البحوث الأكاديمية والأوراق العلمية.

المنهجية: سنعتمد في هذه الورقة البحثية على المنهج وصفي استقرائي تحليلي فالمنهج الوصفي نقطة البداية حيث يتولى مهمة الجمع والرصد، حيث يصف الظاهرة كما هي على أرض الواقع ويجمع البيانات و الأرقام والخصائص بدقة، أما المنهج التحليلي فيأخذ البيانات التي جمعها المنهج الوصفي ويقوم بتفكيكها إلى عناصرها الأولية، أما المنهج الاستقرائي نستعين به للوصول إلى قواعد العامة لتوظيفها كقوانين يمكن تطبيقها على حالات مشابهة.

الفرضيات:

- هناك خلل في الأداة الرقمية ذاتها وفي طريقة توظيفها داخل الممارسة التعليمية.
- البرمجيات الجاهزة لا تحاكي "الذكاء الكارطوغرافي" الذي يتطلب حساً جغرافياً نقدياً.
- هناك حاجة ماسة لإعادة الاعتبار للغة الخرائط كعلم اتصال بصري في ظل عصر الرقمنة.

أسئلة البحث:

- ما هي أبرز المعوقات التقنية في التمثيل الكارطوغرافي؟
 - هل الرقمنة بديل للعمل اليدوي في المجال الكارطوغرافي؟
 - هل تحترم الرقمنة قواعد التمثيل الكارطوغرافي؟
- السياق:** تزايد التوجه نحو الرقمنة في التعليم العالي، وصعوبة نقل المواد ذات الطبيعة التطبيقية (كالكارطوغرافيا) من الفضاء الواقعي إلى الرقمي.

المتغيرات: المتغير المستقل: أدوات الرقمنة برامج مساندة الخرائط بالحاسوب باعتبارها مجموعة من البرمجيات والأدوات الرقمية المتخصصة في إنشاء وإخراج الخرائط الجغرافية بدقة علمية و شكل جمالي باستخدام الحاسوب، بهدف تحويل البيانات المكانية والإحصائية الخام إلى منتج بصري (خريطة)، والاستشعار عن بعد" يسعى للحصول على معلومات وبيانات حول ظواهر أو أجسام على سطح الأرض، من خلال النقاط وتحليل الأشعة الكهرومغناطيسية المنعكسة أو المنبعثة من تلك الأجسام بواسطة مستشعرات خاصة محملة على منصات جوية

مثل الطائرات أو فضائية أو الأقمار الصناعية ، المتغير التابع المستخدم للبرامج الإستشعار عن بعد وبرامج مساندة الخرائط بالحاسوب ومستوى تمكنها و من قواعد الكارطوغرافيا).

المساهمة الدراسة: تقدم الدراسة إطاراً لفهم كيفية مواءمة الأدوات التقنية مع المتطلبات المهنية لعمل الخرائط.

مجتمع الدراسة: الأوراق البحثية للدراسات العليا لتخصص الجغرافيا والجيولوجيا والعلوم الطبيعية.

العينة: الخرائط الجغرافية والجيولوجية والعلوم الطبيعية.

الدراسات السابقة:

تناولت الخريطة الجغرافية بالدراسة والتحليل، إلا أن البحث في تقويم الخرائط استناداً إلى قواعد السيميولوجيا والتمثيل الكارطوغرافي. ويمكن استعراض أبرز الدراسات التي قاربت الموضوع على النحو التالي.:

-دراسة (فريق عمل "محمد الشريف، وجدي جرادات، عبد الفتاح الحلواني، ليانا التميمي" 2018) تعمل الدراسة على تطوير أداة تقنية (Easy Color) تعمل كجسر لمساعدة مرضى عمى الألوان على التعايش مع حالتهم وتجاوز عائق عدم التمييز بين الألوان في حياتهم اليومية .

-دراسة (غيوم تويو، 2017) ركزت الدراسة على "أتمتة إنشاء خرائط عالية الجودة"، أي أتمتة استخدام أساليب تعميم متعددة، غير مصممة للعمل معاً، وتطبيقها على أجزاء مختلفة من الخريطة المراد تعميمها. فعلى سبيل المثال، تُعمم المناطق الحضرية باستخدام الأسلوب الأكثر كفاءة لهذا النوع من المناطق، والمناطق الريفية باستخدام أسلوب آخر، والمناطق الجبلية باستخدام أسلوب ثالث، مع مراعاة تأثيرات الحواف في هذه المناطق التي قد تتداخل.

-دراسة (كاثرين دومينغيس، 2010) تناول دراسة مختبر COGIT التابع للمعهد الجغرافي الوطني الفرنسي (IGN) تحديات تصميم الخرائط بواسطة الخبراء، مقترحة نموذجاً يدمج المعرفة الخرائطية مع تفضيلات المستخدم. يهدف هذا النموذج إلى تحسين جودة الخرائط المخصصة من خلال استخراج المعرفة عبر تقنيات معالجة اللغات الطبيعية (NLP) وتطبيقها في تصميم خرائط تلتزم بالمعايير العلمية.

قدمت هذه الدراسة بـ (IGN) الفرنسي نقلة نوعية في "شخصنة الخرائط" مع الحفاظ على قيمتها العلمية، وخرجت بنموذج تفضيلات المستخدم، ببناء نموذج يوازن بين رغبة المستخدم غير المتخصص وبين القواعد الصارمة لعلم الكارطوغرافيا، كما تم توظيف الذكاء الاصطناعي (NLP) باستخدام تقنيات معالجة اللغات

الطبيعية لاستخراج المعرفة الخرائطية الضمنية وتحويلها إلى قواعد رقمية مطابقة الخرائط المخصصة (Tailored Maps) لرفع جودة الخرائط المنتجة بناءً على الطلب دون الإخلال بالمعايير العلمية القياسية.

-دراسة (إليزابيث تشيسنو، 2007) انصبت هذه الدراسة على ابتكار نموذج آلي ونظام تجريبي يُسمى **ARiCo**، وهو نظام قادر على رصد التباينات اللونية غير المتناسقة بشكل آلي، والعمل على التصحيح التدريجي (Iterative Correction) تعمل على تعديل الألوان تلقائياً خطوة بخطوة حتى الوصول إلى التباين الأمثل لرفع الوضوح الإدراكي و تحسين قدرة العين البشرية على قراءة الخريطة وفهم أبعاد الخطر بسرعة ودقة.

توضح هذه الدراسات مجتمعة كيف تحول تصميم الخرائط من عملية بصرية يدوية إلى عملية رقمية ذكية، بدأ الأمر بتلقائية الألوان وتحسين الرؤية البصرية (تشيسنو، 2007). ثم تطور إلى أتمتة القواعد المعرفية ودمج لغة المستخدم (دومينغيس، 2010). ووصل إلى الأتمتة المكانية المتعددة حسب تضاريس الخريطة وبيئتها (تويا، 2017).

الفجوة البحثية

تستهدف هذه الدراسة إبراز العلاقة التفاعلية بين متغير الرقمنة و متغير التطبيق الآلي الكارطوغرافيا في سياق التعليم العالي، وتكمن الباحث من قواعد الكارطوغرافية لتوظيفها في الوسائل الرقمية والبرامج الحديثة.

مقدمة

تعد مادة الكارطوغرافيا من المواد التطبيقية في التعليم العالي التي تعتمد في عدة تخصصات الهندسة المعمارية، الهندسة المدنية، الجيولوجيا، الجغرافيا، مساحة الأراضي، الزراعة.....، وإنشاء التصاميم والخرائط، غير أن تجسيد هذه الرموز يخضع لعدة قواعد متوافق عليها في علم الترميز، لكن مع الرقمنة و شيوع برامج المخصصة للتمثيل الكارطوغرافي حول البرامج من أدوات إلى متحكم في اللغة الكارطوغرافيا بعيدا عن المعايير أو القوانين مما يطرح إشكالية توصيل الرسالة البصرية للخريطة باستعمال الرموز الكارطوغرافية بشكل دقيق ومتقن.

المحور الأول القواعد الكارطوغرافيا في التمثيل الكارطوغرافي

تعتبر الكارطوغرافيا علما وفنا وتقنية وفي نفس الوقت وقت، علما لأن قواعدها رياضية خاصة فيما يتعلق بتحديد شكل وأبعاد الارض وتمثيل سطحها الشبه اهليلجي على سطح مستوي، وفن لأنها تقدم ما تعبر عنه بأشكال جمالية لجذب قدرات البصرية للقارئ، والتقنية لأنها تستلزم استعمال أدوات وتقنيات.

1. تعاريف

-**الرقمنة (Digitalization):** تحويل المعلومات والبيانات التقليدية إلى صيغة رقمية يفهمها الحاسوب أما في الجغرافيا فتعني تحويل الخرائط الورقية والبيانات الإحصائية المكتوبة إلى ملفات رقمية وقواعد بيانات بحد: تسهيل تخزين البيانات، وتعديلها، ومشاركتها بسرعة عالية.

-**المواد التطبيقية (Applied Materials):** هي المعارف والأدوات العلمية التي تستخدم لحل مشكلات واقعية ملموسة، في الجغرافيا تشمل الأدوات العملية مثل صور الاستشعار عن بعد، والتحليل الإحصائي، وبرامج نظم المعلومات الجغرافية (GIS). بهدف إنجاز مجموعة من الخرائط لتهيئة المجال، وإدارة الأزمات، والتخطيط العمراني.

-**مفهوم الذكاء الكارتوغرافي (Cartographique Intelligence):** القدرة المتقدمة على تصميم، وتحليل، وقراءة الخرائط لإنتاج معرفة دقيقة تدعم اتخاذ القرار. بشكل يدمج بين الفن العلمي في رسم الخرائط وبين التقنيات الذكية (مثل الذكاء الاصطناعي) لتوقع الظواهر الجغرافية وتفسيرها.

-**تعريف الكارطوغرافيا:** بكونها وسيلة تعبيرية تستعمل مجموعة من القواعد البصرية والبيانية لتمثيل الأرض أو جزء منها بشكل هندسي وبياني عن طريق تصوير وإخراج الخرائط.

-**الكارطوغرافيا الموضوعاتية:** هي جزء من التمثيل الكارطوغرافي فهي تمكن من إنجاز الصور البيانية التي تترجم العلاقات المجالية لأحد أو عدة مواضيع، فالكارطوغرافيا الموضوعاتية هي أداة لإنتاج الخرائط الموضوعاتية وتعتمد على التعبير بالرموز أي على اللغة البصرية.

2. أسس التعبير الكارطوغرافي

الرموز الكارطوغرافيا: هي أسس التعبير الكارطوغرافي، والتي بواسطتها يتم تصوير المعطيات والمعلومات، وتشكل هذه الرموز بقعا، لكن لكي تكون هذه البقع مرئية يجب أن تكون قادرة على عكس ضوء مختلف عن ضوء السطح الذي وضعت عليه، فهي تشكيل المتغيرات البصرية.

3. أنواع الرموز في التمثيل الكارطوغرافي

أ. الرموز النقطية

تمثل الرموز النقطية ظواهر المستقلة والمركزة في المجال وتعتمد على ثلاثة أنواع من الأشكال، منها التجريدية مثل الدوائر-المثلثات-المربعات-المستطيلات-المعين...، وهناك أشكال تصويرية والتي يتم فيها تجسيد الظاهرة المراد إظهارها في السطح المستعمل مثل استعمال كأس للدلالة على وجود مقهى، الأشكال الإيحائية مثل الرموز المستعملة في علامة التشوير الطرقي عن مرور قطيع من الحيوانات، وهناك الأشكال المركبة وهي التي تتضمن أكثر من شكل واحد مثل وضع علامة زائد داخل دائرة، وأخيرا الأشكال المركبة وهي التي تشمل أشكال مركبة تضم شكلين وأكثر.



نموذج للرموز الكارطوغرافيا التجريدية



نموذج للرموز الكارطوغرافيا التصويرية

ب. الرموز الخطية

تمثل الرموز الخطية ظواهر ممتدة في المكان والزمان إما بشكل خطي مستمر أو غير مستمر مثل الطرقات والمجاري المائية....

توظف عدة متغيرات في تمثيل الرموز الخطية، لكن أفضلها الشكل، اللون، الحجم، لكي يتم التمييز فيما بينها.



نموذج للرموز الكارطوغرافيا الخطية

ت. الرموز المساحية

تمثل الرموز المساحية ظواهر تحتل مساحة متجانسة في المجال الذي تستوطنه ويتم التعبير عنها بواسطة الألوان أو الهاشورات والحبكات¹



الألوان



الحبكات



الهاشورات

نموذج للرموز الكارطوغرافيا المساحية

4. المتغيرات البصرية في التمثيل الكارطوغرافي

المتغيرات البصرية: هي الوسائل البينائية التي تمكن من التمييز بين المعطيات الممثلة، عدد المتغيرات البصرية هي ستة متغيرات: الشكل-التوجيه-اللون-الحجم-القيمة-الحدة، لكن قبل اختيار الرموز الكارطوغرافية في التمثيل الكارطوغرافي لا بد من تحديد نوع المعلومات أو المعطيات المراد تمثيلها.

5. أنواع المعلومات والمعطيات في التمثيل الكارطوغرافي

يمكن تصنيف المعلومات والمعطيات في التمثيل الكارطوغرافي إلى النوعية والكمية، التي تنقسم بدورها إلى معطيات نوعية اسمية وأخرى ترتيبية، أما المعطيات الكمية فنميز بين النسبية والمطلقة.

5.1. المعطيات نوعية الاسمية

هي كل المعطيات التي يخضع التمييز بينها على أساس الأسماء بحيث لا يكون الترتيب فيها أي معنى مثلاً لدينا موضوع يتعلق باستعماله البنائيات يمكن لهذه الأخيرة أن تكون سكنية أو تجاري أو صناعية أو إدارية.

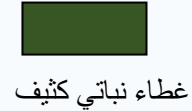
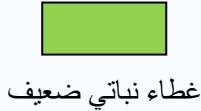


نموذج لتمثيل المعطيات نوعية الترتيبية بالرموز الكارطوغرافية

¹ هيلوش محمد "مبادئ الخرائط" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة المولى إسماعيل مكناس المغرب 2014 صفحة 24 بتصرف.

5.2. المعطيات نوعية الترتيبية

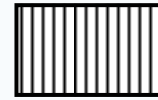
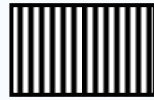
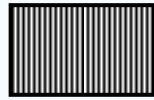
هي كل المعطيات التي يمكن التمييز بينها على أساس الأسماء لكن مع خضوعها لترتيب منطق، مثلاً تربة غنية-تربة متوسطة-تربة ضعيفة...



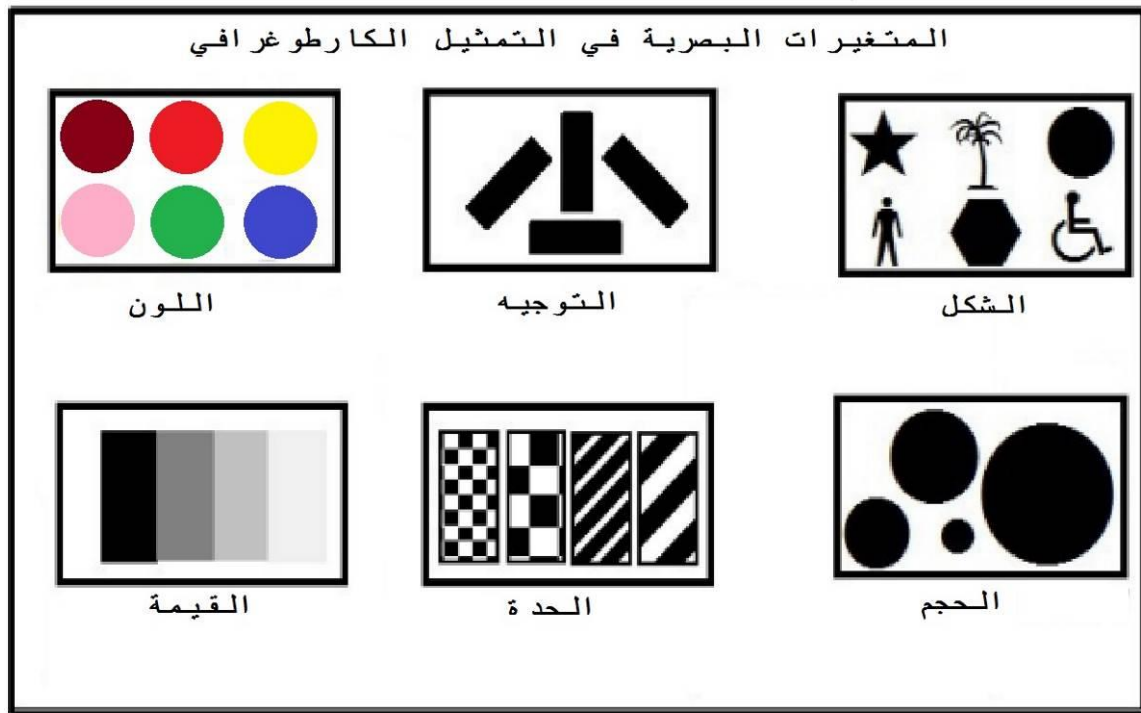
نموذج لتمثيل المعطيات نوعية الترتيبية بالرموز الكارطوغرافية

5.3. المعطيات الكمية النسبية

هي كل المعطيات التي يمكن التعبير عنها على أساس فئات من الأرقام، مثلاً الفئة العمرية بين [0-15] سنة - [15-30] سنة - [30-45] سنة...



نموذج لتمثيل المعطيات الكمية النسبية بالرموز الكارطوغرافية

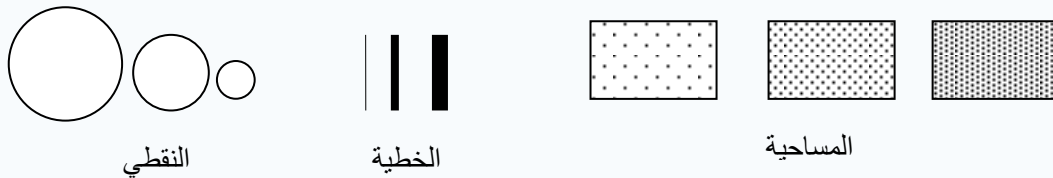


المصدر: محمد هيلوش مبادئ الخرائط منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة المولى إسماعيل مكناس مطبعة دار القلم الرباط المغرب 2014 صفحة 44.

5.4. المعطيات الكمية المطلقة هي كل المعطيات التي يمكن التعبير عنها بأرقام مطلقة، مثلاً الفئة

العمرية بين 10 سنوات - 10 طن - 30 هكتار - 45 كيلوغرام² ...

يخضع متغير الحجم لقاعدة الجذر المربع في عملية التمثيل الكارطوغرافي المساحي² والمكعب في الأحجام³



نموذج لتمثيل المعطيات الكمية المطلقة بالرموز الكارطوغرافية

المحور الثاني أبرز التحديات والاكراهات في التمثيل الكارطوغرافي

يواجه التمثيل الكارطوغرافي في الكتابات العلمية والأكاديمية عدة تحديات واكراهات منها ما يرتبط بالإنسان وأخرى تعزى إلى جوانب تقنية وتجارية.

² هيلوش محمد "مبادئ الخرائط" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة المولى إسماعيل مكناس المغرب 2014، صفحة 54

بتصرف.

1. الاكراهات والتحديات المرتبطة بالإنسان في التمثيل الكارطوغرافي

تعرف الإكراهات بكونها القيود التي يقف الإنسان عاجزا أمامها أو يكون مجال حظوظه في تجاوزها ضعيفا، ومنها القدرات البصرية مثلا عمى الألوان حيث نجد أشخاصا لديهم عدم القدرة على رؤية لون ما أو عدة ألوان، كما تختل القدرة على تمييز واستيعاب وإدراك الأشكال من شخص لآخر، في حين تعرف التحديات بكونها قيود ترتبط بثقافة المجتمعات البشرية التي تختلف من بلد لآخر وفي نفس البلد مما يشكل عائقا أمام استعمال الرموز الكارطوغرافيا وجعلها لغة عالمية موحدة.

2. عمى الألوان

حالة يصعب فيها على الشخص المقدرة على التمييز بين الألوان المختلفة وبين درجات نفس اللون، حيث مثلا نجد قدرة الإناث على تمييز الألوان أكثر من الذكور وهذا مرتبط بخصائص بيولوجية التي تميز بين الجنسين³

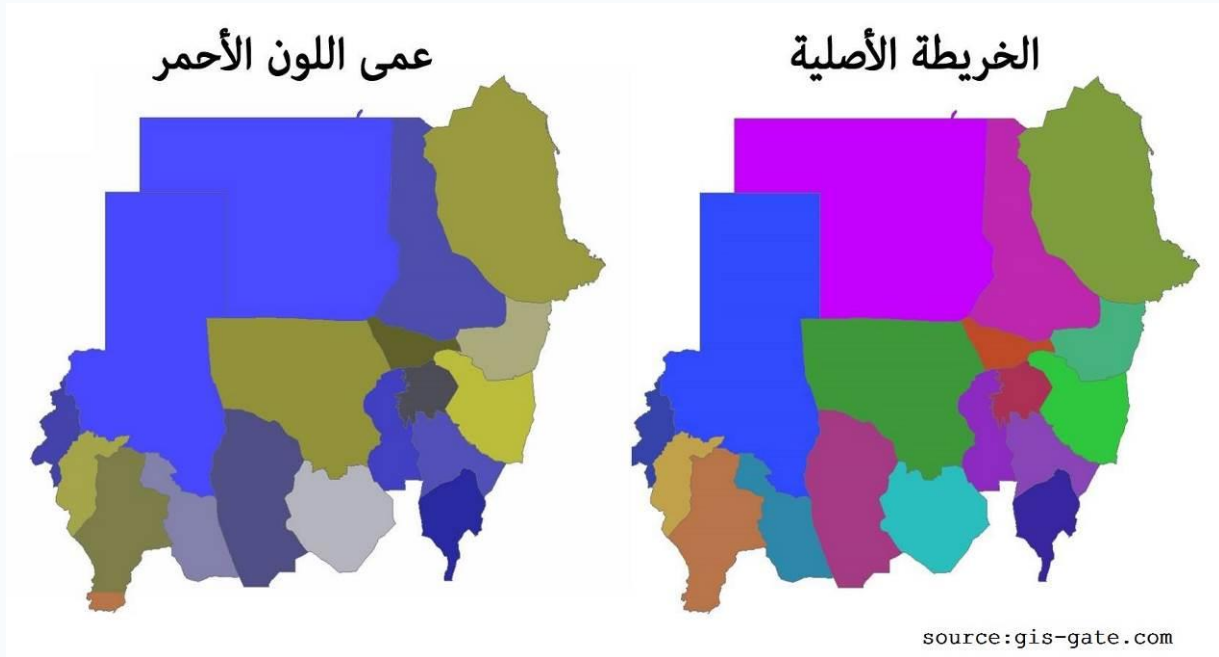
2.1. أنواع عمى الألوان

يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين من العمى هما الكلي والجزئي.

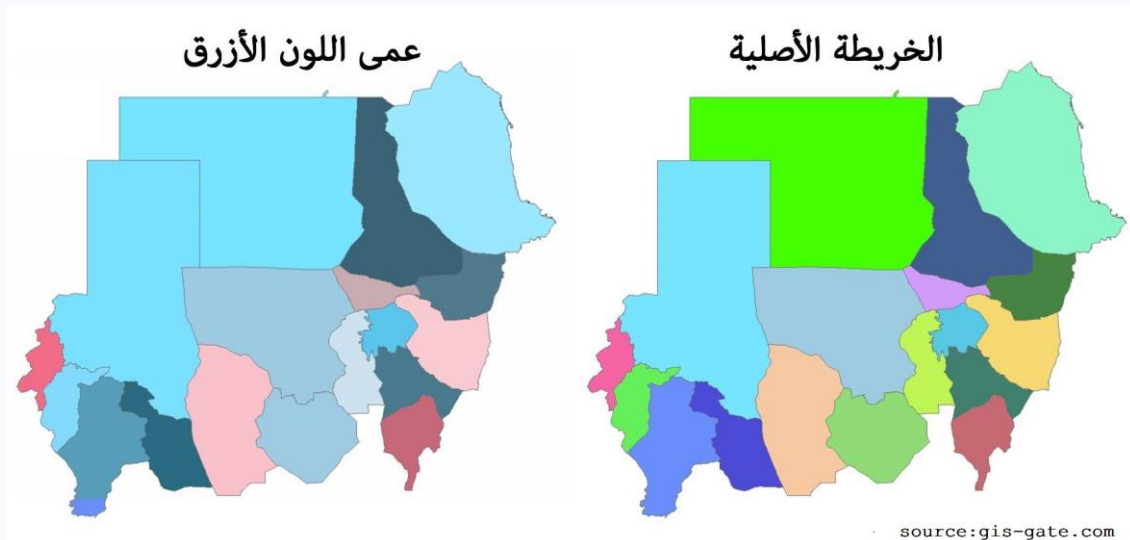
العمى الجزئي: يكون الشخص قادراً على رؤية الألوان ولكن يجد صعوبة في تمييز بعض الألوان التي تكون متشابهة،

العمى الكلي: لا يمكن للشخص رؤية الألوان تماماً يرى العالم بألوان محدودة وتظهر له العناصر بألوان مختلفة عن تلك التي يراها الأشخاص العاديون.

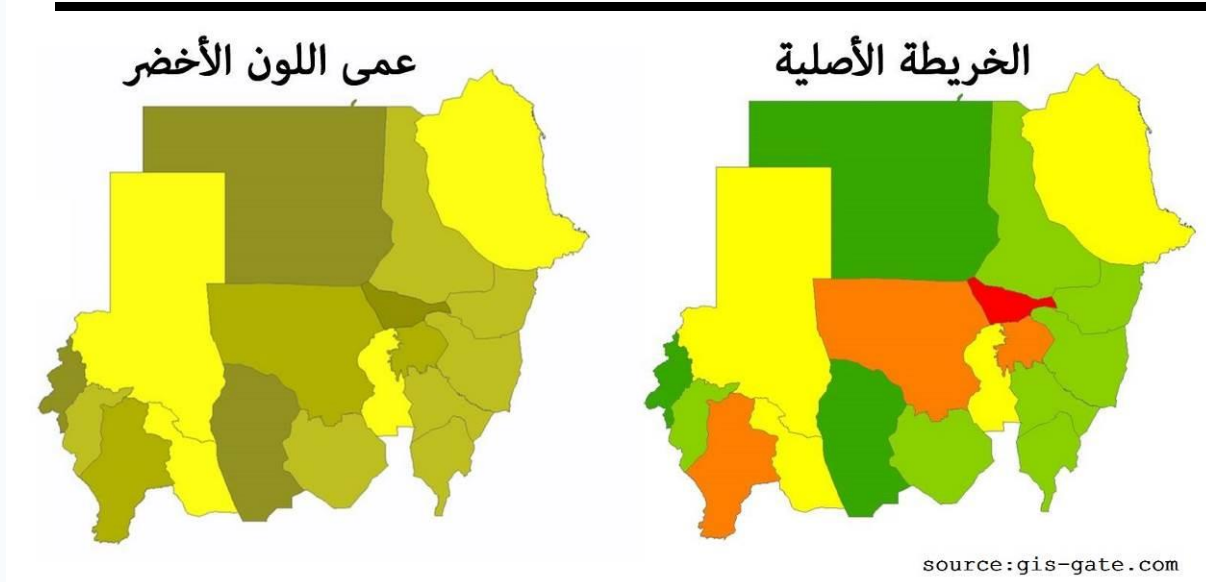
³ الودعاني سعيد "عمى الألوان" موقع alwadanclinic.com نشر يوم 2024/02/24 اطلع عليه يوم 2026/02/24 الساعة 7 صباحا .



الصورة رقم 1 توضح الفرق بين رؤية الشخص العادي والشخص المصاب بعمى اللون الأحمر



الصورة رقم 2 توضح الفرق بين رؤية الشخص العادي والشخص المصاب بعمى اللون الأزرق



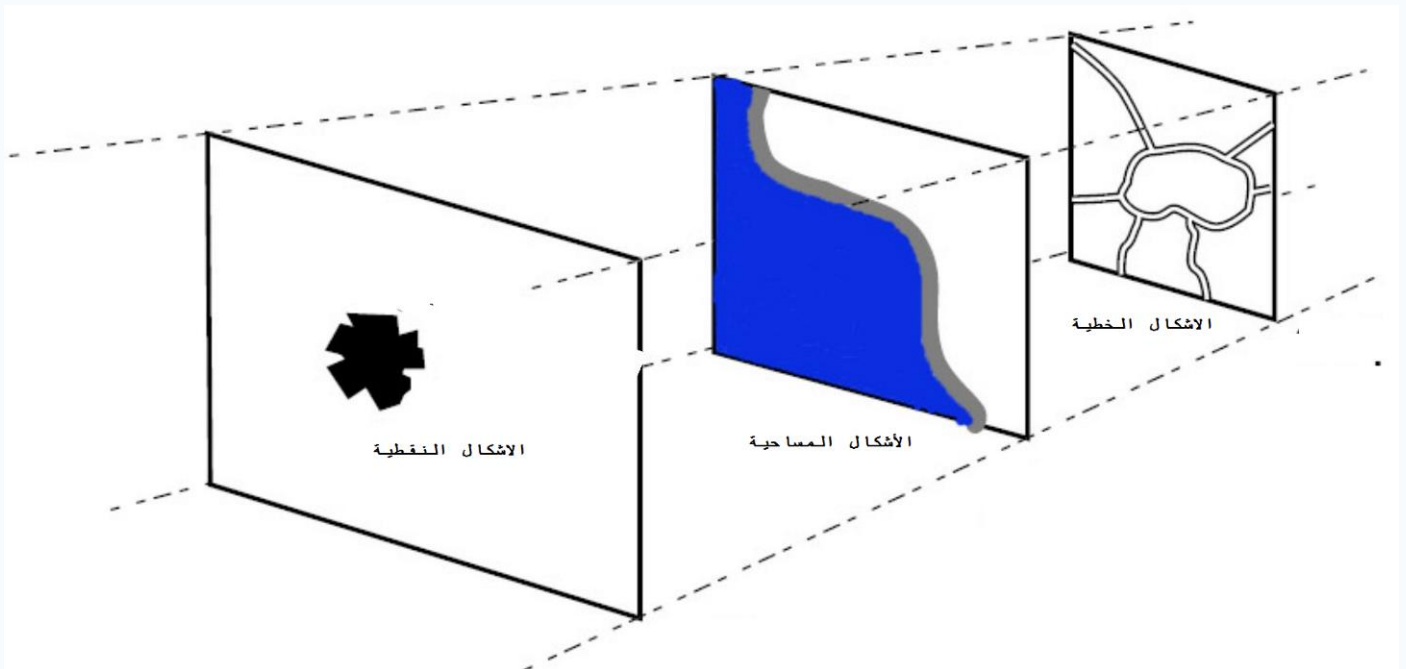
الصورة رقم 3 توضح الفرق بين رؤية الشخص العادي والشخص المصاب بعمى اللون الأخضر

يعبر عن الدم والخطر، أما اللون الأصفر يمثل رمز للقوة والرخاء والحظ، لكن اللون الأصفر يعبر عن الجفاف والقحط في المجال الزراعي، في حين نجد متغير الشكل في الرموز التصويرية كذلك هو الآخر مختلف الاستعمال حيث نجد مثلاً التعبير على المطعم في التمثيل الكارطوغرافي متباين حسب البلدان في الصين والدول الآسيوية يستعملون رمز العيدان مع اناء الحساء، في إيطاليا يستعملون الصحن والشوكة وفي المغرب يستعملون الطاجين.



4. القراءة البصرية

يطرح التمثيل الكارطوغرافي إشكالا مرتبطا بالقراءة البصرية للقارئ حيث إن القراءة اللوحات تبدأ بالأشكال ذات النقطية ثم المساحية ثم الخطية، كما أن الألوان الساخنة مثل الأسود والاحمر تكون أكثر إثارة

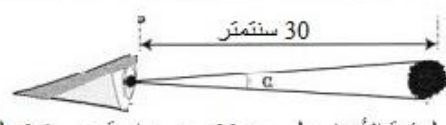
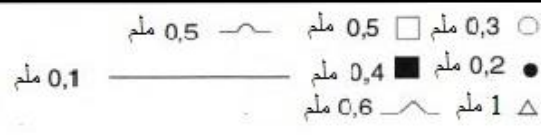
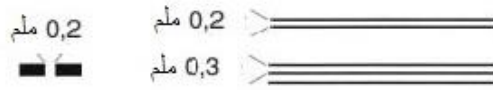
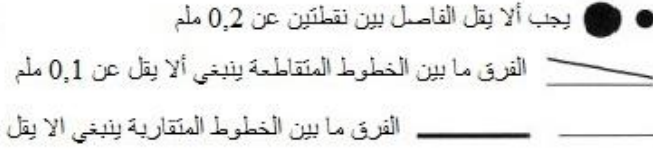


نموذج القراءة البصرية للرموز الكارطوغرافيا

المصدر: د. محمد صابري شعبة الجغرافيا كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة محمد الأول وجدة المغرب

للعين وتجلب الانتباه، كما أن الأشكال ذات الحجم الكبير تتم ملاحظتها قبل الأشكال ذات الحجم الكبير وهذا يؤثر على المعلومة المراد نقلها.

5. عتبات التمييز

العتبة	التمثيل الكارطوغرافي
حد تمييز البصر	 الحد الأدنى لرؤية الأشياء على بعد 30 سنتيمتر زاوية α هو 0,1 ملم
حد محاذاة البصر	 0,02 ملم
حد الإدراك	
حد الفصل	
حد التمييز	

source : Exemples de seuils de perception dans une carte, adaptés de (Cuenin 1972) » Guillaume Touya. Vers l'automatisation de la production de cartes. Informatique [es]. Université Paris Est, 2017. Page 12

الجدول رقم 1: عتبات التمييز والادراك للأشكال في التمثيل الكارطوغرافي

لكي تكون الرموز الكارطوغرافيا قادر على توصيل الرسالة ويتمكن القارئ من فهم الرموز بشكل صحيح، فينبغي أن يكون كل رمز معزولا عن غيره من الرموز، وأن تكون المسافة التي تفصل رمز عن رمز كافية وتسمح برؤيتها ومن ضمن المعايير والأبعاد التي تمكن من ذلك نذكر ما يلي:

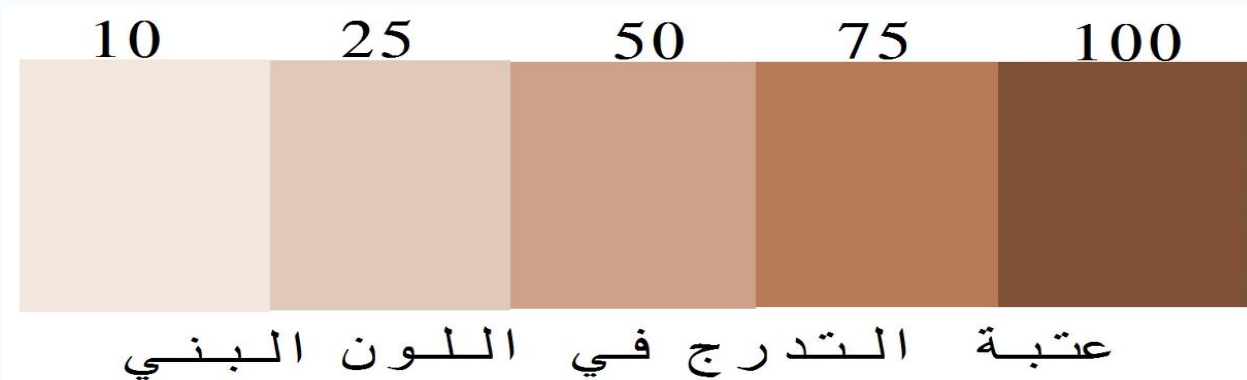
5.1. عتبات التمييز بين الألوان

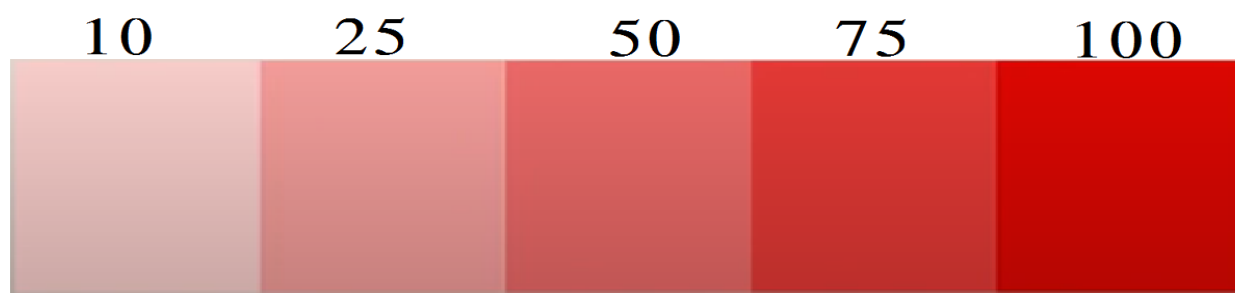
ذلك ان قدرة العين على تمييز الألوان دفعة واحدة لا تتجاوز 25 لونا ولا تقل عن 20 وهذا التفاوت يرتبط بعمى الألوان كما أسلفنا الذكر، كما أن التدرج في نفس اللون مقيد والجدول التالي يوضح الألوان وعدد العتبات الممكن التدرج فيها:

اللون	العتبات
الاحمر	5
الازرق	4-3
الاخضر	4-3
الاصفر	2
الرمادي	5
الوردي	2
البنفسجي	2
البنّي	5

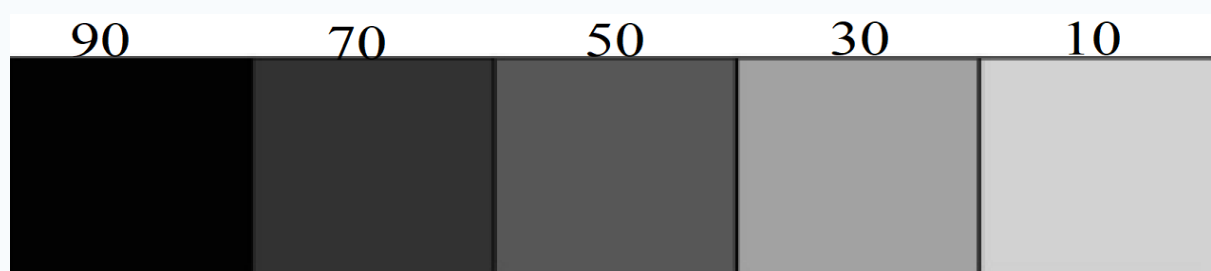
المصدر: محمد صابري جامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة

الجدول رقم 2: عتبات التدرج في اللون الواحد في التمثيل الكارطوغرافي

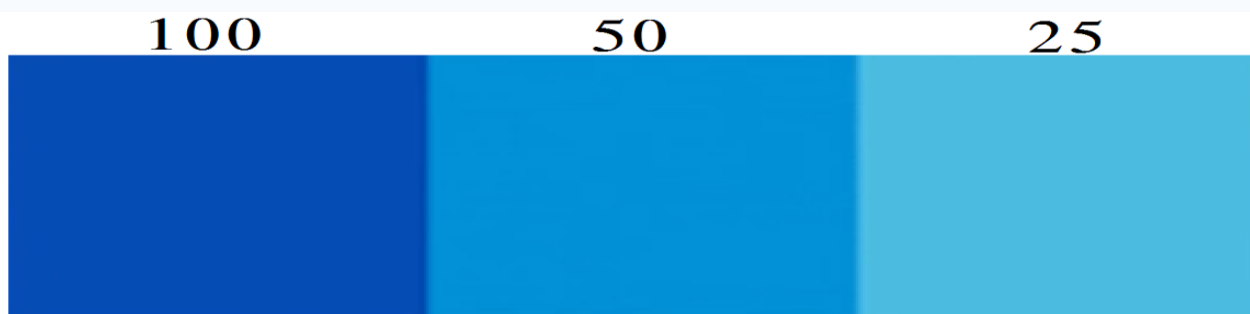




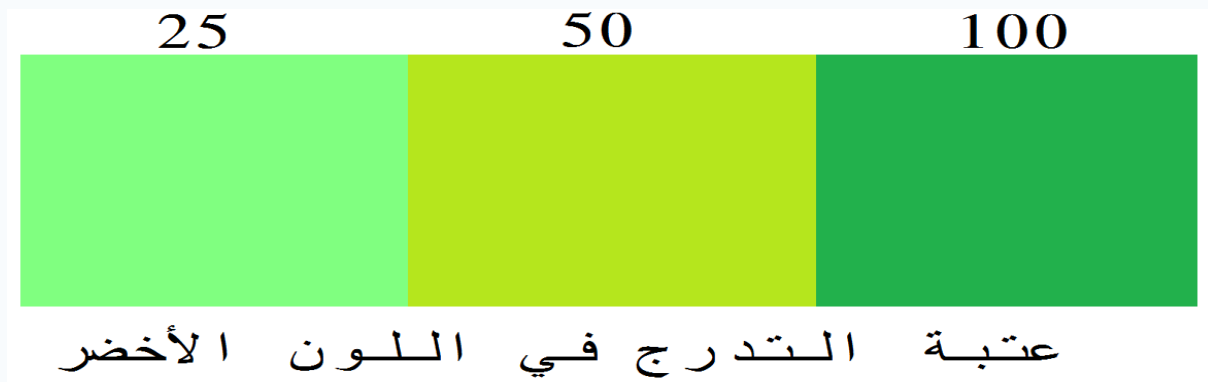
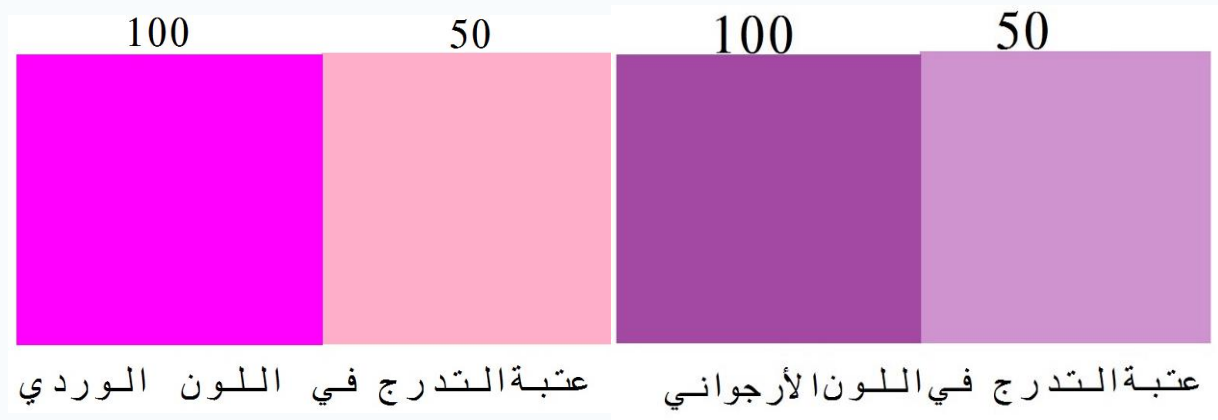
عتبة التدرج في اللون الأحمر



عتبة التدرج بين الأبيض والأسود



عتبة التدرج في اللون الأزرق



6. استعمالات الرموز الكارطوغرافيا

كمنتج موجه للجمهور، يجب أن تكون اللوحات التي تحمل الرموز الكارطوغرافيا، قابلة للتكيف مع قدرات القارئ من حيث العمر والمستوى الثقافي والعلمي والتخصص الأكاديمي.

6.1. استخدام اللون في المجال الزراعي

يرتبط استخدام الألوان في المجال الزراعي للرموز الكارطوغرافيا بالألوان في الطبيعة حيث يشير اللون الأخضر إلى الخصوبة والخضرة، بينما يمثل اللون الأصفر للأراضي المنخفضة وللقحولة، ويشير اللون البني الغامق إلى الأراضي المرتفعة، أما اللون الأزرق يستعمل للتعبير على وجود المياه ويشير الخط المتصل على الاستمرار في الظاهرة في الزمان، بينما يشير الخط المتقطع إلى ظواهر غير مستمر في الزمان.

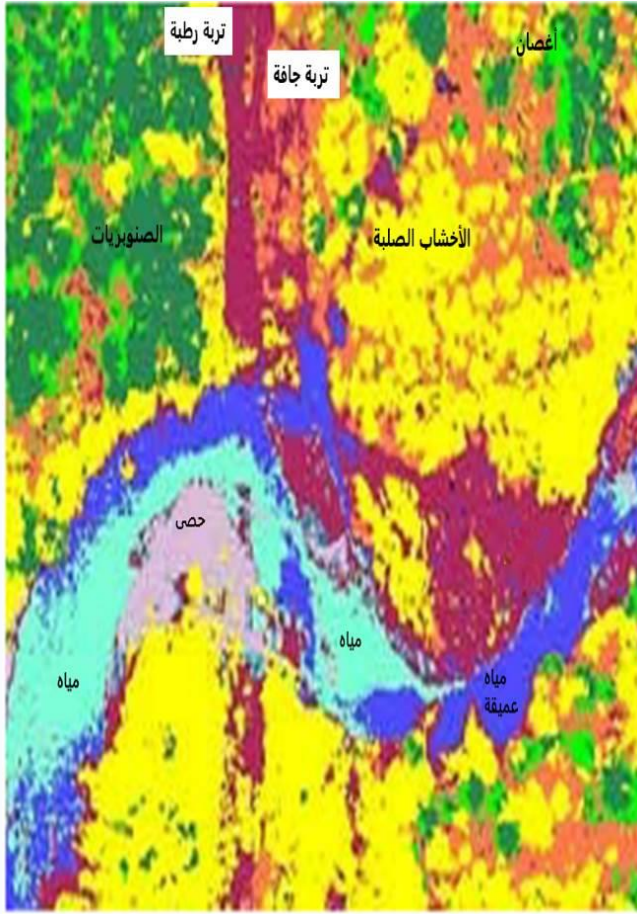
6.2. الألوان في الاستشعار عن بعد

يعتمد الاستشعار عن بعد على مبدأ وجود تفاعل دائمًا بين الإشعاع الكهرومغناطيسي (الضوء) والجسم، حيث تعكس الأجسام الإشعاع مرة أخرى على جهاز استشعار عن بعد بطرق مختلفة حسب حجمها أو اتجاهها أو نسيجها أو لونها أو تركيبها الكيميائي، لا تمثل صور الأقمار الصناعية اللون الحقيقي للظواهر التي تمثلها الأجسام على سطح الأرض، إذ تعد بإدماج عدة صور ذات لون اسود وأبيض بأجهزة وبرامج خاصة وتخلط هذه الصور باستعمال هذه الإسقاطات اللونية و بناء على ذلك تكون البيانات كما في الجدول الآتي:

الظاهرة	اللون في الصورة الفضائية
النباتات الخضراء	تظهر بدرجات اللون الاحمر
الصخور و التربة	تراوح بين الألوان البني والصفراء والمائلة إلى الأزرق
المياه العميقة	باللون الأزرق الغامق
الطرق	اللون الرمادي
المباني	بين اللون الرمادي واللون الأزرق فاتح

المصدر: محمد باحو شعبة الجغرافيا كلية الاداب والعلوم الإنسانية الرباط

الجدول رقم 3: الألوان ودلالاتها في الصور الفضائية



نموذج تصنيف النباتات في صورة جوية



نموذج قراءة صورة جوية

6.3. استخدام اللون في الجيولوجيا

تستخدم الألوان في علم الجيولوجيا سواء للتعبير عن طبيعة الصخور أو الأزمنة الجيولوجية، حيث يختص اللون الأزرق للعصر الجوراسي ويتم التدرج فيه، كما يتم إضافة الأحرف اللاتينية للدلالة على المعادن مع الألوان.

المحور الثالث الاكراهات والتحديات المرتبطة بالجانب التقني والأكاديمي في التمثيل الكارطوغرافي

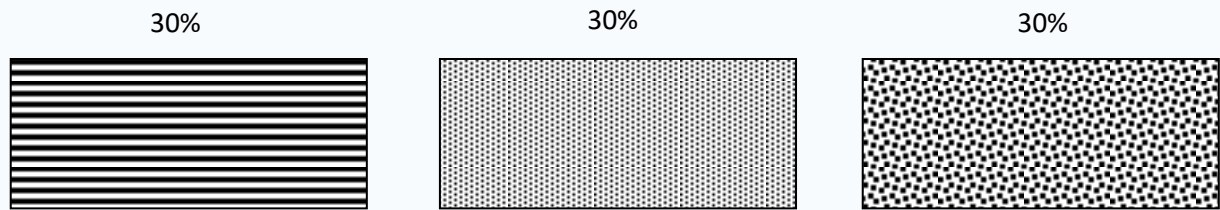
1. الاكراهات والتحديات المرتبطة بالجانب التقني في التمثيل الكارطوغرافي

هناك العديد من التحديات والاكراهات التقنية في التمثيل الكارطوغرافي، حيث هناك العديد من الألوان غير القابلة للإخراج في الطابعات، كما أن اللون الواحد يخرج بأشكال مختلفة حسب نزع نظام الطابعة ونقدم نموذج لذلك:



تستخدم طباعة CMYK الألوان (سماوي، أرجواني، أصفر، أسود) عادة لطباعة الألوان، بينما تستخدم طباعة RGB (أحمر، أخضر، أزرق) تُستخدم للشاشات الرقمية، مثل شاشات الكمبيوتر وأجهزة التلفزيون، ثم تستخدم طباعة Pantone 806 (أحمر والأصفر والأزرق) RYB، تظهر الصورة أدناه ثلاثة أشكال للون الأرجواني:

كما يضاف إلى ذلك اختلاف الآثار إذا تمت ترجمة ظاهرة ما بمستويات قيمة ذات نسيج مرئي، فيجب الحرص على الحفاظ على نفس النسيج (خطوط أو نقاط) لجميع المستويات علاوة على ذلك لاحظ أنه عند نفس نسبة الطباعة، فإن الملمس الرسومي المرئي المكون من عناصر وحدة كبيرة سيبدو أكثر تشبّعًا من الملمس المكون من عناصر صغيرة لأن متغير الحجم سيكون له الأولوية على متغير القيمة.



نلاحظ أنه بالرغم من تساوي نسبة الأسود والأبيض في الأنسجة الثلاث غير أن نسيج الخطوط يظهر أكثر اشباعًا ثم النسيج ذو الحبات الكبيرة على النسيج ذو الحبات الصغيرة

2. الاكراهات والتحديات المرتبطة بالجانب الأكاديمي في التمثيل الكارطوغرافي

ذلك أن تقديم الأوراق البحثية والبحوث الأكاديمية يضع مجموعة من الشروط منها على سبيل الذكر لا

الحصر:

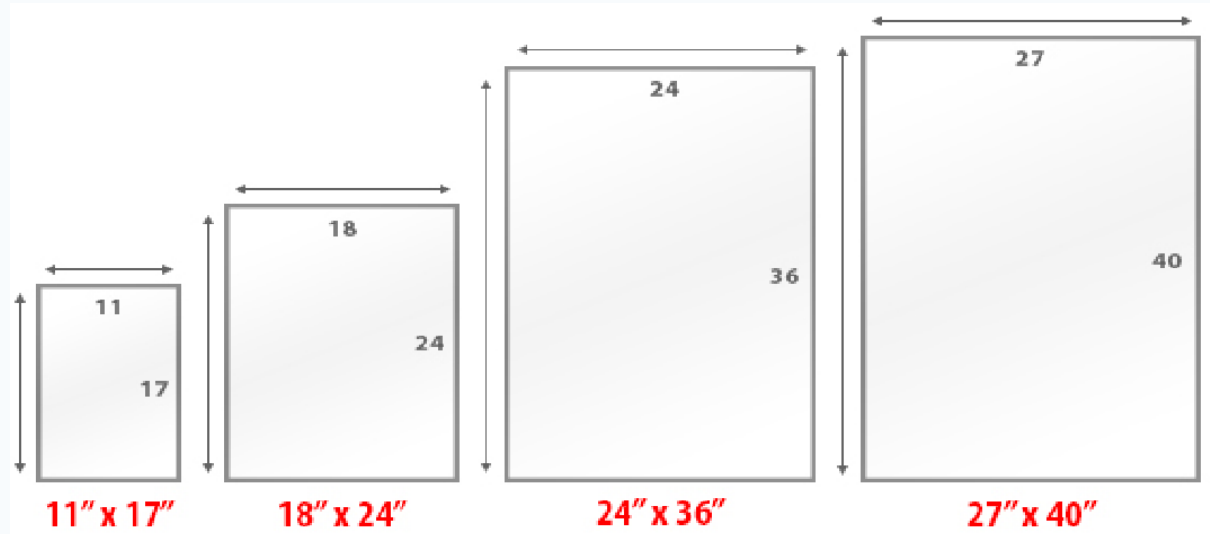
—عدد الصفحات المسموح بها.

-نوع الأوراق التي سيتم الطبع عليها مما يجعل صعوبة ما بين المقياس الحقيقي للرموز وحجم الورقة A3 أو A4

-هل أبيض وأسود أم بالألوان.

-هل الإخراج في صيغة رقمية أو ورقية.

- نوع الملصقات العلمية التي تطبع بها البحوث والدراسات، الصغيرة (11 بوصة × 17 بوصة)، والمتوسطة (18 بوصة × 24 بوصة)، والكبيرة (24 بوصة × 36 بوصة و 27 بوصة × 40 بوصة).



-الملصقات الصغيرة بحجم 11 × 17 بوصة. هذا الحجم القياسي مثالي لواجهات المتاجر والمطاعم والحمامات ولوحات الإعلانات والعروض الداخلية في المناطق ذات حركة المرور الكثيفة.

-الملصقات المتوسطة الحجم، التي يبلغ قياسها 18 × 24 بوصة، هي واحدة من أكثر أحجام الملصقات المطلوبة. فهي توفر مساحة أكبر قليلاً من الملصقات الأصغر للصور الأكبر والنص البسيط. يوفر هذا الحجم مساحة واسعة للترويج للأحداث والمهرجانات والحفلات الموسيقية وهو مثالي للإعلانات التجارية والديكور المنزلي، يمكن استخدام هذه الملصقات متعددة الاستخدامات ذات الحجم القياسي في الداخل أو الخارج لأغراض مختلفة، مثل الملصقات الطبية وإعلانات التجزئة وفي محطات الحافلات أو عروض مترو الأنفاق. غالباً ما تُستخدم هذه الملصقات في المكاتب والعيادات ولوحات الإعلانات الأكبر حجماً.

- الملصق الكبير بحجم 36×24 بوصة وهي مثالية في المناطق المزدحمة. وهو الملصق الأكثر شهرة ويُستخدم عادةً للإعلان التجاري نظرًا لحجمه وقدرته على جذب الانتباه، باعتباره الخيار المفضل في المناطق ذات الحركة المرورية العالية، فإن هذا الملصق مثالي للمعارض التجارية.

- يبلغ قياس هذا الملصق الكبير 40×27 بوصة، وهو آخر أحجام الملصقات القياسية الأكثر شيوعًا. غالبًا ما يُرى مقاس 40×27 بوصة للإعلان عن الأفلام القادمة غالبًا ما تُرى ملصقات الأفلام الشهيرة هذه في المسارح ومراكز التسوق وتُظهر على شكل لافتات أو ملصقات لوحات إعلانية داخل شاشات العرض. بالإضافة إلى كونه حجم ملصق الفيلم القياسي، يُستخدم هذا الملصق أيضًا بشكل شائع كإعلانات لمحطات الحافلات نظرًا لقدرته على الرؤية من مسافة بعيدة. في حين أن تأطير الملصق مقاس 40×27 بوصة قد لا يكون بسيطًا أو مناسبًا للميزانية، إلا أنه يظل خيارًا ممتازًا لأولئك الذين يبحثون عن ملصق قياسي كبير جدًا.

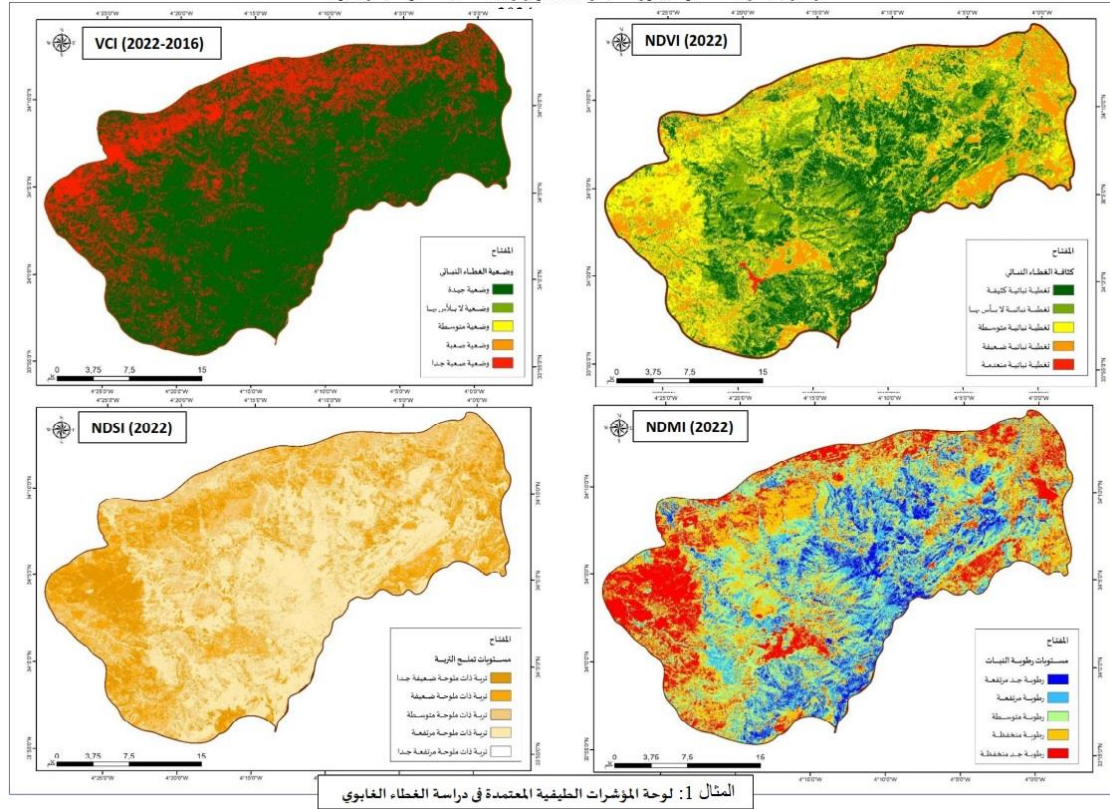
يوفر ملصق الفيلم هذا مساحة كافية للصور عالية الدقة والرسومات والنص الكبير. عند التصميم، استفد من الحجم وأدرج رسومات زاهية، ولكن استخدم المساحة البيضاء بشكل صحيح لجعله سهل القراءة والتأكد من رؤية⁴.

⁴ موقع clashgraphics.com/printing-tips/standard-poster-sizes-guide نشر يوم 2023/07/31.

اطلع عليه يوم 2026/02/27 16:47.

3. أخطاء كالتوبوغرافيا في كتابة البحوث العلمية

تعتري البحوث العلمية مجموعة من الأخطاء، في توظيف الرموز الكارطوغرافيا وسنورد مجموعة من الأمثلة على سبيل الذكر لا الحصر:



المصدر: رحمنوني & حميمي، الصفحة 30

المثال الأول

الذي أمانا عبارة عن لوحة تركيبية تضم 4 خرائط لمجموعة من المؤشرات تهم الغطاء الغابي ($NDVI^5$ ، VCI^6 ، $NDMI^7$ ، $NDSI^8$). هذا التكامل يتيح فهم العلاقات السببية (مثل: كيف تؤثر ملوحة التربة

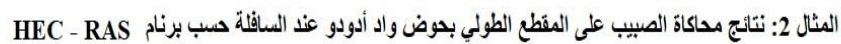
⁵ مؤشر اختلاف الغطاء النباتي المعياري ($NDVI$) يقيس مدى اخضرار وكثافة الغطاء النباتي في صور الأقمار الصناعية. يتميز الغطاء النباتي الصحي بمنحنى انعكاس طيفي مميز، ويمكن حساب الفرق بين نطاقي الضوء المرئي الأحمر والأشعة تحت الحمراء القريبة. يُعبّر مؤشر $NDVI$ عن هذا الفرق برقم يتراوح بين -1 و1.

⁶ مؤشر حالة الغطاء النباتي (VCI) هو مقياس يُستخدم في الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية لتقييم صحة الغطاء النباتي وقياس مستويات الجفاف. يعتمد على مقارنة "خضرة" النباتات الحالية ببياناتها التاريخية لمعرفة ما إذا كانت تعاني من الإجهاد أو في أفضل حالاتها.

على رطوبة وكثافة النبات). غير أن استخدام اللون الأبيض للتربة ذات "الملوحة المرتفعة جداً" واللون البني للملوحة "الضعيفة جداً". اختيار غير موفق لأن الأبيض في اللغة الكارطوغرافية يعبر عن الفراغ أو غياب الظاهرة، وهذا يبين عدم المعرفة بالقواعد الكارطوغرافية ويؤكد صحة الفرضيات الثلاث "هناك خلل في الأداة الرقمية ذاتها وفي طريقة توظيفها داخل الممارسة التعليمية. - البرمجيات الجاهزة لا تحاكي "الذكاء الكارطوغرافي" الذي يتطلب حساً جغرافياً نقدياً-هناك حاجة ماسة لإعادة الاعتبار للغة الخرائط كعلم اتصال بصري في ظل عصر الرقمنة" كما أن التدرج في اللون البني لم تنجح في إبراز التباين بين دراجات التملح في التربة وبسبب عدم اختيار درجة اللون وليس اللون في حد ذاته كما هو مبين في العنوان (5.1 عتبات التمييز بين الألوان). أما خريطة وضعية الغطاء النباتي نجد في المفتاح الألوان "الأصفر والأحمر والبرتقالي والأخضر بدرجتيه داكن وفاتح، بينما الخريطة لم تتضمن سوى اللون الأحمر والأخضر الداكن" وهذا يؤكد أن هناك عدم التطابق بين المفتاح والخريطة، كما يفضل إدراج خطوط الكنتور، وتعديل الألوان بصرياً وإعادة تلوين خريطة التملح بحيث يتدرج اللون من الأصفر الفاتح (ملوحة ضعيفة) إلى الأحمر الداكن أو البني (ملوحة مرتفعة جداً) لتماشي المنطق البصري لباقي الخرائط. إدراج قيم العتبات (Thresholds) كتابة الأرقام الرياضية لكل فئة في المفاتيح لتعزيز القيمة العلمية للوحة.

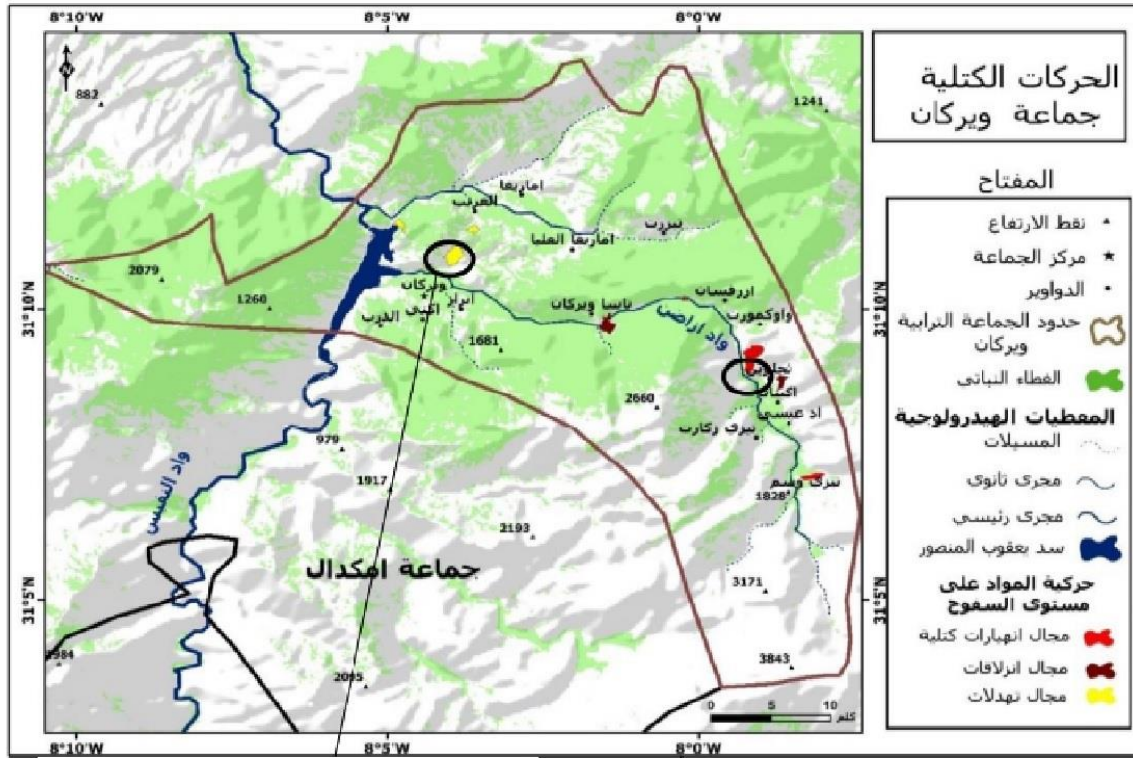
⁷ مؤشر الرطوبة التفاضلي المعياري (NDMI) هو أداة استشعار عن بُعد تُستخدم لتقييم ومراقبة محتوى الماء في الغطاء النباتي. يعتمد على قياس التباين بين الانعكاس في نطاق الأشعة تحت الحمراء القريبة (NIR) وتحت الحمراء قصيرة الموجة (SWIR)، مما يساعد في الكشف عن الإجهاد المائي قبل ظهور علامات الجفاف.

⁸ مؤشر NDSI (مؤشر اختلاف ملوحة التربة الطبيعي) هو مقياس طيفي يعتمد على بيانات الأقمار الصناعية لتقدير ورسم خرائط ملوحة التربة.



المثال الثاني:

نموذج لمحاكاة المناطق المهددة بالغمر باستخدام HEC-RAS، يوضح المجال المهدد بالغمر، باعتماد اللون الأزرق بدل اللون الأحمر وهو اللون المعتمد للإشارة للخطر، بالمقابل يستعمل اللون الأزرق للإشارة للمياه وهذا سيخلط قدرا من الغموض للقارئ البصري سواء مختص أو غير مختص لأن اللون الأزرق يشير إلى الحياة والأمل لا الخطر والهلاك؟، كما تعاني الخريطة من مشكلة بالغة في مقروئية البيانات الرقمية طويلة وليست ذات دلالة، كما أن الأماكن المهددة ليست واضحة المعالم.



المثال 3

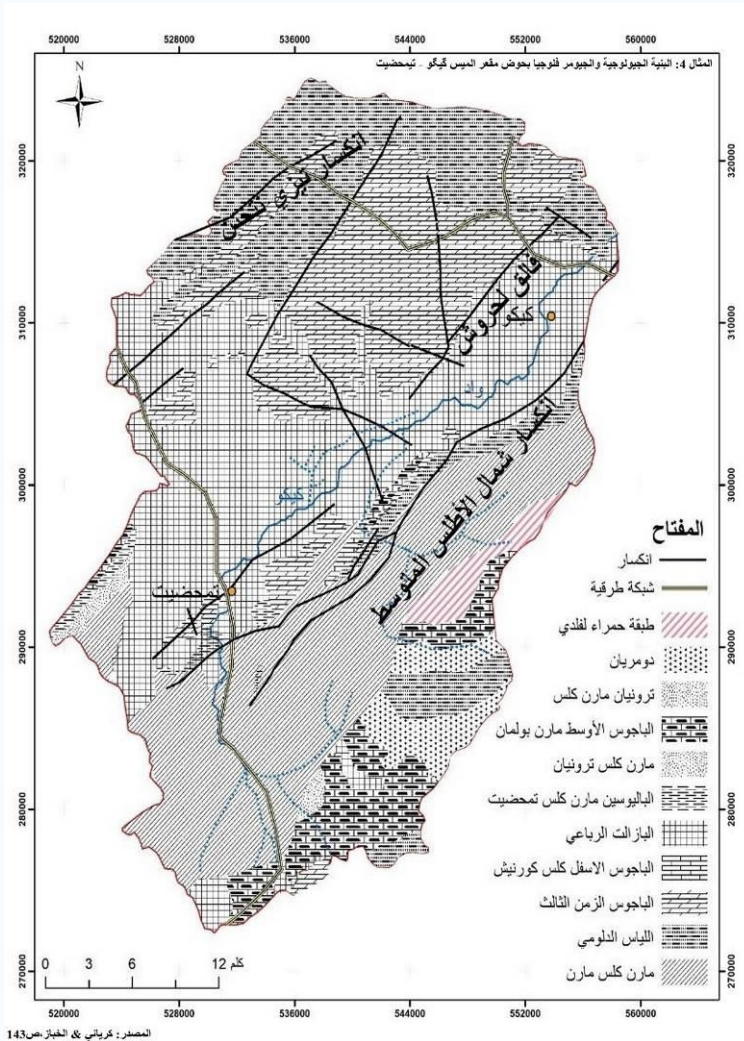
المصدر: حزيوي & بودراوي & خنيبة & النجيمي، الصفحة 131

المثال الثالث

تمثل الحركة الكتلية لجماعة ويركان، وهنا نسجل خلل في تمثيل المتغيرات (عدم تناسب الرموز)، حيث تم تظليل رموز "مجال انهيارات كتلية"، "مجال انزلاقات"، و"مجال تهرات" في المفتاح بألوان كاملة (أحمر، بنفسجي، بني). لكن عند إسقاطها على الخريطة (مثلاً عند دوار إكيس)، ظهرت على شكل دوائر هندسية صغيرة مفرغة ومحاطة باللون فقط، أثر هذا التباين بين المفتاح والخريطة يُفقد الرموز قيمتها التعبيرية، ويجعل من الصعب على القارئ التمييز بين أنواع الحركات الكتلية بمجرد النظر، محدودية معطيات حركية السفوح حيث تم اختزال الحركات الكتلية في نقاط أو دوائر صغيرة جداً (مثل الدائرة الحمراء والسوداء). علمياً، الانهيارات والانزلاقات هي ظواهر مساحية (Polygons) تمتد على طول السفوح؛ وتمثيلها بنقاط يخفي المساحة الحقيقية المتضررة وحجم المخاطر. كما نسجل ضعف التباين البصري وتداخل الألوان وعدم تطابق بين اللون الأخضر في المفتاح والممثل به على سطح الخريطة، كما تم اختيار اللون الأخضر الفاقع لتمثيل "الغطاء النباتي"، وفوقه تم كتابة أسماء الدواوير باللون الأسود وخط صغير، هذا التداخل جعل أسماء الدواوير (مثل: تيسيرت، أورغسان، إدا عيسى) غير واضحة تماماً

وصعبة القراءة بسبب عدم وجود هالة بيضاء (Buffer) حول النصوص، بالإضافة الى غياب معطى أساسي للحركات الكتلية (انزلاقات، انهيارات) وهو الارتفاع، حيث ترتبط ارتباطاً شرطياً بدرجة انحدار السفوح (Slope). الخريطة اكتفت بوضع نقط ارتفاع متفرقة (مثل 2660، 3171) دون إدراج تظليل التضاريس (Hillshade) أو ألوان تعبر عن الارتفاع، مما يجرد الظاهرة من سياقها الطبوغرافي الحاسم. خطأ في توجيه سهم الشمال: سهم الشمال في أعلى اليسار يميل بزاوية صغيرة نحو الغرب وليس عمودياً تماماً. إذا كان هذا مقصوداً (بسبب إسقاط الخريطة)، كان يجب توضيحه، وإذا كان خطأً يديدياً فهو يؤثر على دقة التوجيه. لذلك نقترح تحويل الرموز النقطية إلى مساحية: رسم الحدود الفعلية لمجالات الانزلاقات والانهيارات وتلوينها بالكامل كما هو موضح في المفتاح. إدراج خريطة الانحدارات (Slope Map) كخلفية أساسية بدلاً من اللون الأخضر الموحد، لفهم العلاقة بين زاوية المجرى المائي، حدة السفوح، وأماكن حدوث الانهيارات، استخدام خطوط أوضح وتفعيل خاصية الخلفية الشفافة للنصوص (Mask/Halo) لتبدو أسماء الدواوير بارزة فوق لون الغطاء النباتي.

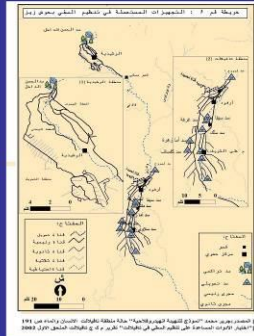
المثال الرابع



يمثل خريطة البنيوي والجيولوجي والجيومورفولوجية (لمقر الميس كيكو - تمحضيت)، نسجل الملاحظات التالية، رتب التشكيلات الجيولوجية في المفتاح بشكل عشوائي دون احترام قانون تعاقب الطبقات المعمول به دولياً في الخريطة الجيولوجية (من الأحدث في الأعلى إلى الأقدم في الأسفل، أو العكس). فنجد "بازلت الرباعي" أحدث التشكيلات موضوعاً في وسط المفتاح، بينما "اللياس الدولمي" الأقدم في الأسفل، و"مارن كلس مارن" في نهاية القائمة دون تحديد عصره بدقة. هذا الترتيب يربك القارئ في تتبع التاريخ الجيولوجي للحوض، غياب الرموز الجيولوجية

القياسية التي تعتمد في الخرائط الجيولوجية عادةً على رموز دولية موحدة (مثل: \J\) للجوراسي، \C\) للكريتاسي، \q\) للرباعي). الاكتفاء بأسماء التشكيلات المحلية (مثل: الباجوس الأسفل كلس كورنيش) دون ترميز زمني يصعب مقارنتها بخرائط جيولوجية أخرى. كما نلاحظ تشابه الرموز البصرية وتداخلها، كمت اعتمد الباحثون على تمثيلات خط أحادي اللون (نفس درجة اللون الأسود والرمادي) لتمثيل أغلب الطبقات (خطوط طولية، عرضية، مربعات، مائلة) و النتيجة تداخلت التشكيلات بصرياً بشكل حاد (مثل التداخل بين "البازلت الرباعي" والتشكيلات المجاورة له). غياب الألوان الجيولوجية المعتمدة (Chronostratigraphic Color Scheme) جعل الخريطة صعبة القراءة وباهتة. تداخل تسميات الفوالق مع التظليل: أسماء الانكسارات الكبرى (مثل: انكسار غربي تيمحضيت) كُتبت باللون الأسود وفوق تظليل خطي كثيف جداً، مما أدى إلى "غرق" النصوص وصعوبة تتبع مسار الفالق بوضوح. تسمية غامضة في المفتاح: وجود مصطلح "شبكة طرقية" في المفتاح بلون أسود مموج، بينما لا تظهر شبكة طرق واضحة متميزة عن خطوط التظليل أو الشبكة الهيدروغرافية داخل الخريطة. ولتحسين الخريطة نقترح اعتماد التلوين الجيولوجي القياسي، استبدال التظليلات الخطية الكثيفة بالألوان المتعارف عليها علمياً (مثلاً: ألوان خضراء للكريتاسي، زرقاء للجوراسي، وردية أو رمادية للبازلت) لرفع التباين البصري. إعادة تنظيم المفتاح، ترتيب السحنات الجيولوجية من الأحدث (في الأعلى) إلى الأقدم (في الأسفل) مع كتابة العصور الجيولوجية المقابلة لها (الرباعي، الثالث، الثاني...). إضافة خطوط المضرب وميلان الطبقات (Dip and Strike): لإعطاء الخريطة بعداً جيومورفولوجياً حقيقياً يوضح اتجاه وطبيعة المقعر (Syncline).

النتائج:
 خلصت نتائج الدراسة إلى أن العصور التي عرفها المجال كان لها نتائج إيجابية وأخرى سلبية على التنمية، أما النتائج الإيجابية فنحقت في توسع المجال الزراعي، أما السلبية فهي في توسع المجال المائي مع ظاهرة التراجع (الزوال، اضمحلال، شح) داخل المناطق المروية خاصة في المناطق القبلية والريفية. لا تستمر على النجاح التي توضحها الدراسات الحديثة الخاصة بالأسس العلمية المتنامية على خلاف المتوالي مع السنوات والتغيرات البيئية على العالمة وعلى التداخلات المتغيرة المتداخلة والمتغيرات المتعددة، فضلاً عن ضعف وإغراق العديد من الأساليب العلمية نتيجة زحف التصرفات البيئية السلبية للمرونة المتزايدة، وهذا قد أدى على تدهور الحقول والمواشي والقطرانيات والضرر.



المفاهيم:
 حوض طلي مر الزمان حيدر في اسبابه استعمال الماء تدعى تطهير المياه الشربة
 والمنظوفة وللعامة في المورد المائية، لكن هذه الحوادث كانت تكتسب معنى محلي بوقت
 واحد (فكانت) حتى التوجهت الى شتيا الفيل بعد (الاستشارة) (الضمنية العامة) مع
 اللجنة في سوريا (لا رجوعا) الى اللجنة الفنية في السلي و في تقرير المياه مع أحداث
 سابقة وعود من أجل الاستسكان بالاسباب التقنية والارتفاع الفنية في سلة المياه
 واجعل يرى ان هذا الفرق والتجديد في تعريف المفهوم المتولي مع السنوات
 والارتفاعات الواردة السطحية والارتفاع الخطي في سنوات فرتة المياه الجوية أعادت
 لكون لا بد من التوضيحية العامة حقوق اللجنة الفنية.

المفاهيم: أعاد الاستعمال - المورد المائية - الهدف للتدبير - سنوات المياه
 الجوفية - منظمة

[illegible]

المعروف باسم "الجمهورية العربية السورية"، وإحداثيات القدر الجغرافي (33° 30' 00" شمالاً و 36° 00' 00" شرقاً) في المنطقة الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي، وتحتل مساحة إجمالية تبلغ 183,870 كم². وتتميز بتنوعها الثقافي واللغوي، حيث يتحدث سكانها اللغة العربية كلغة أم، مع وجود أقليات تتحدث بلغات أخرى مثل الأرمنية والآشورية. وتعد دمشق عاصمة البلاد وأكبر مدنها، وهي واحدة من أقدم المدن المستمرة في العالم. وتتمتع سوريا بمناخ متنوع، يتراوح بين معتدل في المناطق الساحلية وجبلية، وحار وجاف في المناطق الداخلية. وتشتهر بمسارحها القديمة، مثل بعلبك، وكنائسها التاريخية، مثل دير سرياقوس. وتعد السياحة من القطاعات الحيوية في الاقتصاد السوري، خاصة في المناطق التاريخية والثقافية. وتتمتع سوريا بمساحة شاسعة من الغابات، تغطي حوالي 15% من إجمالي المساحة، وتحتوي على تنوع بيولوجي كبير. وتعد سوريا من الدول المصدرة الرئيسية للزيتون في العالم، حيث تنتج حوالي 1.5 مليون طن سنوياً. وتتمتع سوريا بمساحة شاسعة من الغابات، تغطي حوالي 15% من إجمالي المساحة، وتحتوي على تنوع بيولوجي كبير. وتعد سوريا من الدول المصدرة الرئيسية للزيتون في العالم، حيث تنتج حوالي 1.5 مليون طن سنوياً.



مقدمة

دأب سكان الزواجات منذ عدة قرون على تطوير تقنيات السقي وتكييفها مع مختلف أنواع الموارد المائية، وتوسعت هذه تقنيات سواء منها التقليدية مثل السواقي والآبار والقناة، والتواجر والمعدار والخطارات، أو العصرية التي تعتمد على الصنوع من المنشآت المائية الكبرى مثل سد الحسن التاجل على وادي زيل. بين كل وضوح الدور الرئيسي الذي يلعبه الماء في توطين السكان، وفي تنظيم الزراعة والاستغلال الفعالي لمياه على.

مخصص توزيع مياه الجوف زيز			
نوع السقي	الموقع في الموض	المحافظة	عدد الأيام
المجموع ب 3أ	زيز الأعلى [1]	الضفة اليمنى	43
		الضفة اليسرى	10
		المجموع	53
	زيز الأوسط	الضفة اليمنى	23
		الضفة اليسرى	13
		محافظة تافيلالت	23
المجموع	زيز الأسفل	محافظة تافيلالت	59
			21
			20000000

توزيع حصص مياه الري على حساب التصور وبرنامجا أوغرس					
نوع التصور	عدد التصورات المستغلة	عدد المزارع المستغلة	عدد المزارع المستغلة	عدد المزارع المستغلة	عدد المزارع المستغلة
التصوير المستغلة من المياه	196	7	7	1	1
التصوير المستغلة من المياه	140	7	7	1	1
التصوير المستغلة من المياه	196	7	7	1	1
التصوير المستغلة من المياه	206	9	18	2	2
التصوير المستغلة من المياه	196	7	14	3	3
التصوير المستغلة من المياه	184	15	15	2	2
التصوير المستغلة من المياه	78	12	40	3	3
التصوير المستغلة من المياه	1196	64	115	14	14

Source: ETUDE D'AMÉLIORATION DE L'EXPLOITATION DES SYSTÈMES D'IRRIGATION ET D'ÉLEVAGE OUVRIER 1997-2002.

SOURCE : ETUDE D'AMELIORATION DE L'EXPLOITATION DES SYSTEMES D'IRRIGATION ET DRAINAGE L'ORMVAT PHI 1995 P: 23-24.

المراجع المعتمدة
لحسن أيت الله* الماء واستيعاب التعدد العشائري بحوض زيز- زيز العالي نموذجا" مدونة
الأطلس الكبير الترمي

الجزير محمد بن راشد للتكنولوجيا والابتكار - حلة مطلة للقائات الإنسان والماء من 191
 - المركز الجوي للاستثمار القويح القائات "اختصار الأدوات المساعدة على تنظيم السقي في
 القائات" تقرير من ك ج القائات المعلق الأول 2002.
 - مسطع التبيير المصنوع للموارد المائية المالي لأجوان غريس - زيز - كير للوكالة الحوض المالي
 غريس زيز كير 2018.

الطوي أحمد عبد المولى "مدغرة وادي زيز" وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1996/الجزء
الذي يندرج اسمه عدد 4151 الصادر بتاريخ 2005/1992 الصفحة 580

ORMVAT 'D'AMELIORATION DE L'EXPLOITATION DES SYSTEMES
D'IRRIGATION ET DRAINAGE L'ORMVAT PHI 1995 .

المثال الخامس

نموذج بوستر يحمل عنوان "تطور أنماط استغلال الموارد المائية بحوض زيز بمحسلة وأفاق" ضمن الندوة الوطنية حول موضوع "الدينامية الترابية بالجمال المغربي الأشكال والتحولات وأفاق" المنعقدة بكلية الاداب والعلوم الانسانية التابعة لجامعة محمد الأول بوجدة شمال شرق المملكة المغربية، يظهر الملصق تكاملاً واضحاً بين الشق النظري (المقدمة والنتائج والمنهجية) والشق التطبيقي (الخرائط الموضوعية وحصص المياه). هناك تركيز واضح ومباشر على حالة دراسية دقيقة وهي حوض زيز الأوسط، كمت نسجل جودة المعطيات والتوثيق الخرائطي استخدام الخرائط الموضوعية (خريطة الموقع العام، خريطة قنوات الري، أنواع السقي) يغني القارئ عن قراءة نصوص طويلة ويسهل فهم المجال الهيدروغرافي لحوض زيز. كما اعتمد الملصق الربط بين الكمي والجمالي من خلال المزج بين الجداول الإحصائية الدقيقة (جدول توزيع خطارات وحصص جماعة أوفوس، وجدول الموارد المائية)، وهو ما يعكس خلفية قوية في التحليل الإحصائي الجغرافي واستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في تفريغ قاعدة البيانات الوصفية وربطها بالمجال. هيكلية الأقسام وتنظيم الملصق يحترم الهيكل الكلاسيكي للملصقات الأكاديمية بدءاً ب (المقدمة والملخص، الأهداف، البطاقة التقنية الخرائطية، الجداول والتحليلات، ثم الخاتمة والمراجع). الجوانب السلبية ونقاط الضعف الازدحام البصري وكثافة النصوص يحتوي الملصق على كمية هائلة من النصوص المكتوبة

بخط صغير جداً (خاصة في أقسام الملخص، المقدمة، والنتائج). الملصقات العلمية مصممة لتقرأ سريعاً في المعارض، والاعتماد على فقرات نصية طويلة يقلل من جاذبيتها، بالإضافة إلى إشكالية التباين اللوني (Contrast)، فاختيار اللون الأزرق الغامق كخلفية موحدة للملصق بأكمله، مع كتابة النصوص باللون الأسود أو الرمادي في بعض الأجزاء، يضعف المقروئية ويسبب إجهاداً بصرياً للمتلقي، كما نسجل ضعف في التنسيق الفني لإطارات الصور، الخرائط والجداول تبدو متراسة ومحشورة بشكل عشوائي دون مسافات أمان بيضاء كافية تفصل بين الأقسام، مما يجعل تصميم الملصق يبدو تقليدياً أو مضغوطاً. لذلك نقدم مقترحات لتحسين جودة هذا الملصق العلمي، اعتماد مبدأ الإيجاز (Less is More)، تقليل نصوص المقدمة والنتائج بنسبة النصف على الأقل، واستبدال الجمل الطويلة بنقاط موجزة (Bulleted Lists) مع التركيز على الأرقام المفتاحية فقط، استبدال الخلفية الزرقاء الداكنة بخلفية بيضاء أو رمادية فاتحة جداً، وتلوين عناوين المحاور بلون داكن ومميز لرفع مستوى المقروئية و تحسين قراءة الخرائط، وتكبير خريطة شبكة قنوات السقي (خريطة حوض زيز الأوسط) وخريطة أنواع السقي. تنظيم الجداول الإحصائية تظليل صفوف الجداول أو الأعمدة بألوان متباينة لتسهيل تتبع مقارنة الأرقام وحصص المياه وتوزيعها.

المحور الرابع دراسة تحليلية ونقدية للإستعمالات الكارتوغرافية في البحوث والمقالات العلمية.

1. النتائج

إنطلاقاً من تحليل محاور الورقة البحثية يمكن أن نؤكد على النتائج التالية:

- أن التحول نحو الرقمنة واستعمال البرمجيات في مختلف الحقول العلمية يتم دون دراسة اللغة الكارطوغرافيا مما أفضى إلى أخطاء فادحة في الأوراق البحثية المنشورة سواء من قبل طلبة أو أساتذة ودكاترة في شعبة الجغرافيا والجيولوجيا بشكل خاص، بل نجده في بحوث والرسائل الماجستير والدكتوراه.
- إن البرمجيات حتى إن سهلت وسرعت من عملية الإنجاز غير أنها لم ترمج وفق اللغة الكارطوغرافيا وسميات الرموز.
- إن تطفل التخصصات الأخرى على استعمال الخريطة في بحوثهم وتمثيل الظواهر التي تهمهم أفقد الخريطة قيمتها كلفة بصرية.
- ينبغي ألا يكون السعي لتشكيل الخرائط التركيبية يكون على حسب الرسالة البصرية للغة الكارطوغرافية.

- في حالة وضع قوالب للنشر يجب الأيكون على حساب إحترام أبعاد حجم الظاهرة بحيث إن الخريطة ليست صورة، بل هي الخريطة إنعكاس للواقع تبعاً لمقياس ثابت بحيث لا يتعارض ما على الخريطة مع ما يوجد في الواقع.

- هناك عشوائية في استعمال الألوان والرموز بحيث لا تحترم القواعد والثقافة للجمهور الموجه له.

- عند التعامل باللغة المشتركة بين حقلين علميين متعارضين في رمز معين مثلاً اللون الأحمر في الاستشعار عن بعد يعبر عن وجود غطاء نباتي (إنعكاس الأشعة على السطح) بالمقابل اللون الأحمر يعبر عن وجود خطر الحرائق في الغابات، ونعبر باللون الأخضر في الخرائط الطبوغرافية عن وجود غطاء نباتي.

- يمكن تفضيل استعمال رمز على رمز لتسهيل القراءة البصرية في حالة وجود عمى الألوان أو أشخاص من ذوي الهمم استعمال الحبيكات بدل الألوان.

- هناك تعارض في استعمال بعض الألوان بين تخصصات علمية، مثلاً استعمال اللون الأزرق الفاتح في الجيولوجيا للتعبير عن زمن الجوراسي، بالمقابل يستعمل نفس اللون للتعبير المياه السطحية في الهيدروجيولوجيا والهيدروولوجيا والجغرافيا، لذلك ينبغي الحذر عن الدمج بينهم.

- عند استعمال الألوان في اللوحات الإعلانية يجب الرجوع إلى الجانب البصري قبل الجانب التجاري، البحث عن الألوان المثيرة مثل الأحمر والأصفر، والتي لها في ثقافة أخرى معنى الخطر والشأم.

2. تحليل النتائج

هناك أزمة "التقنية الطاغية" وغياب الوعي الإستيمولوجي، وهيمنة الرقمنة العمياء حيث تحولت نظم المعلومات الجغرافية GIS من "أداة مساعدة" إلى "صانع قرار" فالمستخدم يعتمد على الإعدادات الافتراضية للبرنامج دون إدراك لسمائيات الرموز (Semiology of Graphics). فالبرمجيات تختصر الوقت، لكنها لا تملك حساً نقدياً أو علمياً، مما نتج عنه إخراج خرائط مشوهة بوجاهة بصرية خداعة تخفي وراءها أخطاء فادحة في رسائل الماجستير والدكتوراه. فالخريطة ليست صورة بل محكومة بمقياس رسم ثابت وأبعاد دقيقة للظاهرة الفينومينولوجية⁹، وأي تلاعب بقوالب النشر يغير من حقيقة الواقع الجغرافي المنعكس. كما أن تداخل التخصصات

⁹ مصطلح مشتقة من الكلمة اليونانية الفينومينولوجيا (Phenomenology) أو الظاهراتية وتنقسم لشطرين *Phenomenon* (الظاهرة أو ما يظهر) و *Logos* (علم أو دراسة) أما اصطلاحاً فيعني بدراسة بنية الوعي كما نختبره من وجهة نظر الشخص والتركيز على

وتطفلها وتراجع الهوية الخرائطية، فأصبحت الخريطة أداة مستباحة في العلوم الإنسانية والاقتصادية والبيئية. هذا التدخل بالرغم من إيجابيته ظاهرياً، فقد أفقد الخريطة قيمتها كلغة بصرية مستقلة لها قواعدها ونحوها الخاص (Grammar of Cartography). فالعشوائية الثقافية والبصرية وغياب احترام الجمهور المستهدف وقواعد الألوان والرموز يحول الخريطة من أداة تواصل علمي إلى مصدر للبس والغموض. كما أن صراع المصطلحات والألوان المشتركة (المفارقة السميائية) يوضح النص بذلك وجود تضارب دلالي خطير للألوان بين الحقول العلمية، مما يستوجب وضع "بروتوكول موحد" أو حذر شديد عند الدمج: الأحمر: يعني (غطاء نباتي كثيف) في تقنيات الاستشعار عن بعد والانعكاس الإشعاعي، بينما يعني (خطر الحرائق أو الموت) في خرائط المخاطر والبيئة. الأخضر: يعبر تقليدياً عن (الغطاء النباتي) في الخرائط الطبوغرافية الجغرافية، مما يحدث ارتباكاً قارئاً بينه وبين الأحمر في الاستشعار عن بعد. الأزرق الفاتح: يمثل (المياه السطحية والهيدرولوجيا) عالمياً، لكنه في الكارتوغرافيا الجيولوجية يرمز حصراً لـ (الزمن الجيولوجي الجوراسي). الدعوة لاستبدال الألوان المتداخلة بالحبيكات والتظليلات (Textures/Hatches) هي لفئة متطورة جداً تدعم مراعات ذوي الهمم والمصابين بعمى الألوان (Color Blindness)، مما يضمن قراءة بصرية موحدة. أما بالنسبة للوحات الإعلانية هنا انتقاد في المجال التجاري حيث توظف (الألوان المثيرة كالأصفر والأحمر) على الجانب البصري والثقافي، حيث قد تحمل هذه الألوان دلالات شؤم أو خطر في ثقافات شعوب معينة.

3. المقترحات

بناء على النتائج وتحليلها نقدم بالمقترحات التالية:

- ضرورة إعادة الاعتبار للمادة النظرية، ضرورة تدريس "اللغة الكارتوغرافية" كإجراء إجباري لطلبة الثانوي والبيكالوريوس والدراسات العليا بمختلف التخصصات، قبل السماح لهم باستخدام برمجيات الـ GIS.
- صياغة أدلة مرجعية (Manuals): إلزام المجالات العلمية والجامعات بوضع دليل سميائي للألوان والرموز المعتمدة لكل تخصص لمنع التدخل العشوائي.

كيفية إدراكنا للأشياء (ألوان، أشكال، مسافات) وتجربتها داخلياً أي كيفية إدراك الإنسان للمكان وتجربته البصرية والمعيشية له. وبناءً على هذا المنظور الظاهري، فإن الرموز والألوان والقوالب الكارتوغرافية لا تكتسب شرعيتها العلمية من الإعدادات الافتراضية للبرمجيات الرقمية، بل من مدى مطابقتها لبنية الوعي الإنساني والثقافة البصرية للمتلقين. وبالتالي، فإن أي تشويه لأبعاد الظاهرة الجغرافية أو عشوائية في اختيار سميائيات الرموز يعد انتهاكاً لهذه الحقيقة الفينومينولوجية، ويفقد الخريطة قيمتها كمرآة صادقة تترجم الوعي بالمكان وتضمن تطابق الرسالة البصرية مع الواقع المعيش.

- اعتماد التظليلات اليدوية أو الرقمية (Hatching) في الخرائط التركيبية المعقدة لضمان شمولية القراءة لجميع فئات المجتمع.

- توحيد المرجعية السيميولوجية بحيث ألا يقتصر الترميز على الجمالية، بل يجب أن يخضع لنظام سيميولوجيا بيرتان¹⁰ (Semiology of Graphics)، حيث يتم اختيار المتغير البصري (الحجم، اللون، القيمة، الشكل) بناءً على طبيعة المعطيات (اسمية، ترتيبية، أو كمية).

- الارتقاء من "الخريطة الرسم" إلى "الخريطة التحليل" بحيث ليس باستطاعة جمع القراء تحليل الخريطة.

- الانتقال بالخريطة من مجرد وسيلة إيضاحية صماء إلى أداة للاستدلال العلمي؛ بحيث تساهم في تفسير العلاقات المكانية بين الظواهر المدروسة بدلاً من الاكتفاء بتوطينها.

- ضبط التناسب بين المقياس والمحتوى بتجنب حشو الخريطة بمعلومات زائدة (الضجيج الكارطوغرافي) ومراعاة التعميم الكارطوغرافي بما يتناسب مع مقياس الرسم المعتمد في الورقة العلمية لضمان مقروئية العناصر.

- الالتزام بالهيكل المنهجي للخريطة عند تقديمها في البحوث والمقالات والمؤلفات العلمية والبحثية.

- التأكد من اكتمال العناصر الأساسية التي تمنح الخريطة صبغتها العلمية، بحث يكون العنوان دقيقاً وشاملاً (الموضوع، المكان، الزمان)، المفتاح، يكون منظماً ومنطقياً يعكس تراتبية الظواهر، المصدر ضرورة لتوثيق البيانات بدقة لضمان مصداقية البحث.

- الملاءمة بين الرموز الإحصائية والتمثيل المكاني..

- الاستخدام العملي للألوان في الخريطة بحيث يكون لتوظيف الألوان دلالة، مثلاً التدرج في اللون الواحد يعبر عن الكثافة أو التطور التدرج في اللون الأحمر يستعمل للتعبير عن الحرارة أو الأراضي المرتفعة، بينما اللون الأزرق للتعبير عن وجود المياه بحث يعبر اللون الأزرق القاتم عن المياه العميق بينما اللون الأزرق الفاتح عن المياه القريب

¹⁰ ويقوم هذا النظام المعرفي على مستويين رئيسيين؛ المستوى الأول هو البُعد الثنائي (الحواران X و Y) اللذان يحددان الموقع الجغرافي الفعلي للظاهرة على السطح. أما المستوى الثاني، فيتمثل في ستة متغيرات بصرية أساسية (Visual Variables) يتم التحكم بها لتصميم الرموز النقطية، والخطية، والمساحية، وهي: الحجم (Size) عبر التكبير والتصغير، والقيمة البصرية (Value) من خلال تدرج قتامة اللون من الفاتح إلى الداكن، والحبيكة أو التظليل (Texture) عبر كثافة النسيج الداخلي للرمز، واللون (Color) لتغيير الماهية اللونية، والتوجيه (Orientation) لضبط زاوية الرمز، وأخيراً الشكل (Shape) لتحديد الهندسة الخارجية للرمز (كالمثلث والمربع).

من السطح، كما يستعمل للتعبير عن الرطوبة ووفرة التساقطات المطرية، أما اللون الأخضر يستعمل للتعبير عن المناطق الخضراء ووجود الغطاء النباتي، قد نستعمل الألوان المختلفة لتعبير على نفس الظاهر إذا صعب علينا التدرج في نفس اللون مثلاً التدرج في اللون الأحمر والأصفر، أو المزج بين اللون الأخضر والأصفر للتعبير عن تدهور الغطاء النباتي .

- احترام لغة الخريطة ومنطقها فالخريطة كنسق اتصالي ، بحيث يراعى التناسق بين الألوان والظواهر الممثلة لتجنب الخطأ في توصيل الرسالة البصرية.

-التعامل مع الكارطوغرافيا كفعل تواصل ذهني يستوجب احترام "قواعد النحو" الخاصة بها، لضمان وصول الرسالة العلمية من الباحث إلى القارئ دون لبس، بحث نأخذ بعين الاعتبار الخلفيات الثقافية للجمهور الموجه له، ونستحضر أن للرموز والألوان والأشكال أكثر من دلالة واحدة، فمثلاً حرف H باللون الأزرق يعبر عن وجود مستشفى بالمقابل إذا كان باللون الأحمر يعبر عن وجود فندق .

-تجنب "الترميز من أجل الترميز": يجب أن يكون وضع أي رمز نابعاً من ضرورة تحليلية تخدم فرضيات البحث، وليس مجرد ملء للفراغ المكاني.

-الدقة في العناصر المنهجية للخريطة من حيث التناسب البصري التأكد من تناسب أحجام الرموز مع مقياس الرسم المعتمد ومع مساحة الخريطة الكلية.

-الوضوح القرائي، بحيث تجنب الازدحام البصري الذي يؤدي إلى تداخل المعلومات وتشويه النتائج العلمية المستخلصة.

خلاصة

شكلت هذه الورقة البحثية وقفة نقدية وإستمولوجية جادة أمام واقع إنتاج الخرائط في البحث العلمي المعاصر، في ظل الطفرة الرقمية الهائلة التي يشهدها حقل الجغرافيا والعلوم ذات الصلة. وقد كشفت النتائج المتوصل إليها عن مفارقة معرفية واضحة؛ فبقدر ما ساهمت برمجيات نظم المعلومات الجغرافية (GIS) في تسريع وتسهيل عملية النمذجة الكارطوغرافية، بقدر ما أدى الاستخدام "الآلي الأعمى" لها دون استيعاب نظري مسبق، إلى السقوط في عشوائية بصرية وأخطاء فادحة، طالت رسائل الماجستير والأطاريح الجامعية والأبحاث المنشورة من طرف الأساتذة والدكاترة على حد سواء. وقد أسس البحث نقده على مرجعيتين رئيسيتين؛ أولاهما البعد

الفينومينولوجي (الظاهري) الذي يعيد الاعتبار للمجال الجغرافي كخبرة معيشة وإدراك إنساني واعي، رافضاً اختزال الخريطة في مجرد "صورة تقريبية" أو قالب إعلاني مشوه يتلاعب بمقياس الرسم وثبات الأبعاد. وثانيهما القواعد الصارمة لسيميولوجيا بيرتان (Bertin's Semiology)، والتي أظهرت كيف أن إساءة استخدام المتغيرات البصرية كاخلط بين توظيف اللون للتعبير عن النوع والحجم للتعبير عن الكم، أو التغاضي عن التضارب الدلالي للألوان بين التخصصات العلمية المختلفة (كالاستشعار عن بعد والجيولوجيا)، وهذا يؤدي حتماً إلى تضليل عين القارئ وتشويش الرسالة البصرية للخريطة كلغة عالمية مشتركة. وتأسيساً على ما تقدم، فإن تدارك هذا الخلل الكارتوغرافي يتطلب تجاوز الحلول التقنية الصرفة نحو مقارنة مؤسسية شاملة؛ تتجلى في إعادة الاعتبار للمادة النظرية للغة الكارتوغرافية في المناهج الجامعية، وفرض "تدقيق كارتوغرافي إلزامي" في المجلات العلمية عبر صياغة أدلة هوية سميائية موحدة، مع الانفتاح على "الكارتوغرافيا الشاملة" التي تراعي ذوي المهمم ومصابي عمى الألوان عبر اعتماد الحبكات والهاشورات.

إن حماية الخريطة من "تطفل التخصصات الأخرى" ومن عشوائية الرقمنة، ليست مجرد رغبة في التجويد الشكلي، بل هي ضرورة علمية ملحة لصون الهوية البصرية للجغرافيا، وضمان أن تظل الخريطة مرآة هندسية ووعياً حقيقياً يعكس الواقع المعيش بدقة وأمانة.

المراجع:

- العمراني سكيينة & العمراني عبد الواحد & واحمان إبراهيم "إسهام نظم المعلومات الجغرافية في نمذجة خطر الامتطاحات الفجائية بالأحواض الجافة وشبه الجافة حالة حوض واد أدودو أنموذجاً" أعمال الندوة الدولية حول المخاطر الهيدرولوجية والجيومورفولوجية تصنيف، خرائطية وتدير "سلسلة ندوات ومناظرات منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الأول(2024).

-باحو محمد " تطور أنماط استغلال الموارد المائية بحوض زيزمحصلة وفاق" أعمال الندوة الوطنية حول موضوع " الدينامية الترايبية بالمجال المغربي الأشكال والتحويلات وفاق" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الأول المنعقدة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الأول، الجزء الثاني(2025).

- صابري محمد "سيميولوجيا الخرائط" شعبة الجغرافيا كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الأول وجدة المغرب(2018).

-رحموني فريد & حميمي عبد الحفيظ "إسهام الاستشعار عن بعد في تشخيص مظاهر التغيرات المناخية بالأوساط الغابوية عالية حوض إيناون أنموذجا" أعمال الندوة الدولية حول المخاطر الهيدرولوجية والجيومورفولوجية تصنيف، خرائطية وتديير "سلسلة ندوات ومناظرات منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول(2024).

- عزوي سعيد ، بودراوي خالد ، خنيبة يوسف ، النجيمي محمد " زلزال الحوز تقييم الآثار الجيومورفولوجية ورصد التحولات المجتمعية بجماعات إغيل وويركان الأطلس الكبير الغربي " أعمال الندوة الدولية حول المخاطر الهيدرولوجية والجيومورفولوجية تصنيف، خرائطية وتديير "سلسلة ندوات ومناظرات منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الأول(2024).

- كرياني عبد الواحد & الخباز محمد "وقع البنية الجيولوجية والجيومورفولوجيا بحوض مقعر الميس كيكو - تيمحضيت على نشاط التعرية" أعمال الندوة الدولية حول المخاطر الهيدرولوجية والجيومورفولوجية تصنيف، خرائطية وتديير "سلسلة ندوات ومناظرات منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الأول(2024).

-هليلوش محمد "مبادئ الخرائط "منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة المولى إسماعيل مكناس المغرب(2014).

- www .albukhari.com

-www.alwadanclinic.com.

-www.clashgraphics.com.

- www.gis-gate.com

-Touya Guillaume " Il aborde la production autoatisée de cartes" thèse de doctorat en informatique Université Paris(2017)

تحولات النظام الانتخابي بالمغرب وأثرها في تشكيل الخريطة السياسية: من الاقتراع الفردي إلى استحقاقات 2026

د. علي قاسمي أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة/ جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

مقدمة:

يُعد النظام الانتخابي من أهم الآليات القانونية والسياسية التي توطر ممارسة الديمقراطية التمثيلية؛ فهو لا يقتصر على تحديد كيفية إدلاء الناخبين بأصواتهم، وإنما يتولى، في جوهره، ترجمة تلك الأصوات إلى مقاعد داخل المؤسسات المنتخبة. ومن ثم، فإن اختيار نمط الاقتراع، وحجم الدوائر، وطريقة احتساب القاسم الانتخابي، وقواعد توزيع المقاعد، ليست مسائل تقنية صرفة، بل يمكن أن تترك آثارًا مباشرة في بنية التمثيل الحزبي وفي طبيعة الخريطة السياسية الناتجة عن الانتخابات.

ومن هنا اكتسبت المقولة المتداولة في الفقه الدستوري حول العلاقة بين النظام الانتخابي والنظام السياسي أهميتها؛ ذلك أن القاعدة الانتخابية نفسها قد تنتج آثارًا مختلفة بحسب طبيعة النظام الحزبي، وتوزيع القوة الانتخابية، والبنية الاجتماعية والمجالية للهيئة الناخبة. وقد ظل هذا الترابط حاضرًا في التجربة المغربية منذ الاستقلال، حيث تجدد النقاش حول نمط الاقتراع كلما اقترب موعد الاستحقاقات الانتخابية، باعتباره عنصرًا مؤثرًا في تشكيل التوازنات السياسية وفي ترجمة الإرادة الانتخابية إلى تمثيل مؤسسي.¹

وقد عرفت التجربة المغربية، منذ الاستقلال، تحولات متوالية في القواعد المؤطرة للانتخابات التشريعية. فبعد مرحلة طويلة من اعتماد الاقتراع الأحادي الاسمي بالأغلبية النسبية، انتقل المغرب سنة 2002 إلى الاقتراع باللائحة وفق التمثيل النسبي وقاعدة أكبر البقايا، ثم أدخلت تعديلات متلاحقة على المنظومة الانتخابية، كان أبرزها سنة 2021 اعتماد عدد الناخبين المقيد في اللوائح الانتخابية أساسًا لاحتساب القاسم الانتخابي في الدوائر المعنية. وقد جاء دستور 2011 ليجعل الاختيار الديمقراطي من الثوابت الجامعة للمملكة، وهو ما أضفى على النقاش المتعلق بالانتخابات ونزاهتها وتمثيليتها بعدًا دستوريًا متزايدًا. ومع اقتراب انتخابات 2021 احتدم الخلاف حول القاسم الانتخابي، وانقسم الفاعلون السياسيون والباحثون حول مدى ملاءمته لطبيعة التمثيل النسبي وآثاره المحتملة على تمثيلية الأحزاب.

¹ محمد ضريف: المغرب في مفترق الطرق - قراءة في المشهد السياسي، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، 1996، ص: 85.

ولم يتوقف تطور المنظومة عند انتخابات 2021؛ ففي يناير 2026 صدر القانون التنظيمي رقم 53.25 القاضي بتغيير وتتميم القانون التنظيمي رقم 27.11 المتعلق بمجلس النواب، بعد أن قضت المحكمة الدستورية في قرارها رقم 25/259 الصادر في 24 دجنبر 2025 بأن القانون التنظيمي لا يتضمن ما يخالف الدستور. وتتأكد أهمية هذه المستجدات بالنظر إلى أن انتخابات مجلس النواب المقررة في 23 شتنبر 2026 تجري في إطار قانوني معدل، مع بقاء جوهر الاقتراع باللائحة والتمثيل النسبي وقاعدة أكبر البقايا. ويتألف مجلس النواب من 395 عضواً، ينتخب 305 منهم في الدوائر المحلية و90 في الدوائر الجهوية. وتأسيساً على ذلك، تطرح الدراسة الإشكالية الآتية: إلى أي حد أسهمت التحولات المتعاقبة للنظام الانتخابي المغربي في إعادة تشكيل التمثيل السياسي والحزبي، وما موقع القاسم الانتخابي القائم على عدد المسجلين ضمن هذه التحولات، ولا سيما في ضوء مستجدات استحقاقات 2026؟ وسنعالج هذه الإشكالية، من خلال محور أول يتناول تطور نمط الاقتراع وعلاقته ببنية النظام السياسي، ومحور ثانٍ يركز على القاسم الانتخابي على أساس عدد المسجلين وآثاره السياسية والتمثيلية، مع تحديثه بنتائج انتخابات 2021 ومستجدات انتخابات 2026.

المحور الأول: تطور النظام الانتخابي وأثره في تشكيل الحقل السياسي المغربي

الفرع الأول: الاقتراع الأحادي الاسمي بالأغلبية النسبية

شكل الاقتراع الأحادي الاسمي بالأغلبية النسبية الإطار الأساسي الذي حكم جانباً مهماً من التجارب الانتخابية المغربية خلال العقود الأولى التي أعقبت الاستقلال. ويقوم هذا النمط، في جوهره، على التنافس بين المرشحين داخل دوائر انتخابية محددة، بحيث يفوز المرشح الحاصل على أكبر عدد من الأصوات دون اشتراط حصوله على الأغلبية المطلقة.

وقد أثار هذا الاختيار، منذ البداية، خلافاً بين الفاعلين السياسيين. ففي حين عارضته مجموعة من الأحزاب المنبثقة عن الحركة الوطنية، دافعت عنه السلطة باعتباره أكثر ملاءمة لبعض خصائص الواقع المغربي، ولا سيما لما يوفره من علاقة مباشرة بين الناخب والمنتخب.

وقد ربطت مجموعة من الدراسات السياسية المغربية اختيار هذا النمط ببنية المجال السياسي والاجتماعي خلال العقود الأولى للاستقلال، ولا سيما بثقل العالم القروي وشبكات النخب المحلية. وفي هذا السياق، يرى عبد الله ساعف أن إعادة تركيب النخب المحلية شكلت عنصراً مؤثراً في الوساطة السياسية والتمثيلية خلال هذه المرحلة.²

² عبد الله ساعف: التمثيلية، الوساطة والمشاركة في النظام السياسي المغربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1997، ص: 68.

وذهب عدد من الباحثين إلى أن تفاعل الاقتراع الفردي مع البنية الاجتماعية للعالم القروي أسهم في تعزيز حضور الأعيان وشبكات النفوذ المحلي، وهو ما انعكس على تركيب المؤسسة البرلمانية وعلى توازن القوى بين الأحزاب السياسية.³ وينبغي هنا التمييز بين الأثر الموضوعي الذي يمكن لنمط الاقتراع أن يحدثه وبين القول بوجود غاية سياسية واحدة ثابتة وراء جميع نتائجه؛ فالنتيجة الانتخابية تتولد من تفاعل قواعد الاقتراع مع عوامل اجتماعية وحزبية ومجالية متعددة.

وفي السياق نفسه، اعتبرت بعض الأدبيات أن المؤسسة الملكية كانت، في مرحلة ما بعد الاستقلال، حريصة على ألا تتحول المشروعية الانتخابية التي تتمتع بها بعض الأحزاب المنبثقة عن الحركة الوطنية إلى مصدر احتكار للتمثيل السياسي، بالنظر إلى ما كانت تتمتع به هذه الأحزاب من امتداد تاريخي وشعبي.⁴ وقد أظهرت الانتخابات المتعاقبة أن الاقتراع الفردي كان ملائمًا بدرجات متفاوتة للمرشحين الذين يمتلكون حضورًا محليًا قويًا، بصرف النظر أحيانًا عن القوة التنظيمية للحزب على المستوى الوطني. ومن هنا أصبح للأعيان والروابط المحلية وزن مهم في العملية الانتخابية، وهو ما ساعد على استمرار عدد من النخب داخل المؤسسات المنتخبة.

وقد وصف "بول بالتا" النتائج السياسية لبعض هذه الاستحقاقات من زاوية توازن القوى القائمة آنذاك، وهي القراءة التي استند إليها جانب من الأدبيات السياسية حول الانتخابات المغربية.⁵ ومع ذلك، لم يتوقف النقاش حول تغيير نمط الاقتراع. فقد ظلت أحزاب سياسية، ولا سيما أحزاب الكتلة، تطالب باعتماد نظام انتخابي يوسع دور اللوائح والبرامج الحزبية. وفي المقابل، استمر الدفاع الرسمي عن الاقتراع الفردي في مراحل متعددة، ومن أبرز التعبيرات عن ذلك رسالة الملك الحسن الثاني إلى رؤساء الأحزاب السياسية الممثلة في البرلمان بتاريخ 18 ماي 1992، التي أبرز فيها بساطة الاقتراع الفردي وسهولة تطبيقه وقدرته على تقوية العلاقة بين الناخب والمنتخب.

وبالتالي، فإن تقييم الاقتراع الأحادي الاسمي لا يمكن اختزاله في بعد واحد؛ إذ جمع بين سهولة التطبيق وقوة العلاقة المباشرة بالناخب من جهة، وبين قابلية تعزيز الشخصية السياسية وشبكات النفوذ المحلي من جهة ثانية. وقد

³ محمد أديب السلاوي: الانتخابات في المغرب إلى أين؟، البوكلي للطباعة، القنيطرة، الطبعة الأولى، 2002، ص: 34.

⁴ المرجع نفسه، ص: 42.

⁵ Mustapha Seimi: Etude des élections législatives au Maroc, DES, Université Med V, Rabat, 1978, p. 78.

استمر هذا النمط إلى أن تغيرت البيئة السياسية والاجتماعية والحزبية، وأصبح الانتقال إلى صيغة أخرى جزءاً من النقاش حول تطوير التمثيلية الانتخابية وإعادة الاعتبار للأحزاب والبرامج السياسية.⁶

الفرع الثاني: الاقتراع العام عن طريق اللائحة بالتمثيل النسبي وفق أكبر البقايا

عرف المغرب في أواخر التسعينيات وبداية الألفية الثالثة مجموعة من التحولات السياسية والاجتماعية التي أعادت طرح سؤال النظام الانتخابي. فقد توسع المجال الحضري، وتغيرت بنية المجتمع، وتطورت مطالب تحديث العملية السياسية، بالتزامن مع تجربة التناوب التوافقي والتحولات التي عرفت العلاقة بين الدولة والأحزاب.

وقد دفعت هذه المعطيات إلى البحث عن صيغة انتخابية جديدة يمكن أن تعزز مكانة الأحزاب والبرامج بدل التركيز المفرط على الأشخاص، وتسمح في الوقت نفسه بتمثيل التعدد السياسي. وفي هذا السياق جاء الإعلان عن مراجعة النظام الانتخابي في اتجاه دعم الشفافية وحرية الاختيار وتخليق العملية الانتخابية وتعزيز مصداقيتها.⁷

وشكل التحضير لانتخابات 27 شتنبر 2002 محطة متميزة، إذ شهد مشاورات وتوافقات بين الدولة ومكونات الحقل الحزبي بشأن القواعد الانتخابية، وهو ما اعتبرته بعض الكتابات انتقالاً نسبياً من أسلوب فرض القواعد إلى البحث عن قدر من التوافق السياسي حولها.⁸

وانتهت هذه المشاورات إلى اعتماد الاقتراع العام المباشر عن طريق اللائحة وفق التمثيل النسبي وقاعدة أكبر البقايا. وقد ارتبط الدفاع عن هذا الاختيار رسمياً بفكرة تعزيز دور الأحزاب السياسية وجعل التصويت مرتبطاً بالبرامج واللوائح وليس بالأشخاص وحدهم.⁹

ويختلف النظام الجديد جذرياً عن الاقتراع الفردي؛ فالناخب يصوت لللائحة، وتوزع المقاعد بين اللوائح بحسب قواعد حسابية محددة. ومن شأن هذه الصيغة أن تتيح تمثيلاً لعدد أكبر من الاتجاهات السياسية مقارنة ببعض صور الاقتراع الأغلي.

لكن آثار التمثيل النسبي ترتبط كذلك بحجم الدوائر وعدد المقاعد المخصصة لها وطريقة توزيع المقاعد المتبقية. ولذلك فإن مجرد وصف النظام بأنه «نسبي» لا يعني تحقيق تناسب حسابي كامل بين نسبة الأصوات ونسبة المقاعد.

⁶ عبد الرحمن القادري: المؤسسات الدستورية والقانون الدستوري، الجزء الأول، دار النشر المغربية، طبعة 1985، ص: 286.

⁷ توفيق بوعشرين: الانتقال الديمقراطي بين الانتخابات وتعديل الدستور، مجلة وجهة نظر، السنة الرابعة، العدد 16، صيف 2002، ص: 16.

⁸ أسبوعية الصحافة، العدد 78، بتاريخ 18/12 شتنبر 2002.

⁹ خطاب الملك محمد السادس بمناسبة الذكرى 49 لثورة الملك والشعب.

وقد اعتبر بعض الباحثين أن النظام المعتمد منذ 2002 ساعد على استمرار تعدد القوى الحزبية داخل البرلمان، وجعل تشكل أغلبية حزبية منفردة أمرًا صعبًا في الممارسة.¹⁰ وفي المقابل، لا يمكن نسبة التجزؤ الحزبي إلى طريقة الاقتراع وحدها؛ إذ تتداخل معه طبيعة النظام الحزبي وتوزيع الأصوات وسلوك الناخبين والتحالفات السياسية. ومن زاوية أخرى، ربطت بعض الأدبيات المغربية بين طبيعة التمثيل النسبي وموقع المؤسسة الملكية في النظام الدستوري، معتبرة أن التعدد الحزبي الواسع يحافظ على تمايز بين التمثيل الذي تستند إليه الأحزاب من الانتخابات وبين الموقع الدستوري للمؤسسة الملكية.¹¹ وقد استعمل مفهوم «بلقنة المشهد الحزبي» في بعض الكتابات لوصف كثرة الأحزاب الممثلة وصعوبة بروز أغلبية حزبية مطلقة.¹²

ومهما يكن من اختلاف حول تفسير هذه النتائج، فقد أصبح الاقتراع باللائحة والتمثيل النسبي أحد المكونات المستقرة نسبيًا في النظام الانتخابي المغربي منذ 2002، وإن خضعت تفاصيله لتعديلات متكررة. وقد حافظ الإطار القانوني لانتخابات 2026 على الاقتراع العام المباشر عن طريق اللائحة والتمثيل النسبي وفق أكبر البقايا، دون مزج الأصوات أو التصويت التفاضلي، وهو ما يؤكد استمرار الخيار الأساسي المعتمد منذ بداية الألفية، مع تعديل بعض عناصره الداخلية.

المحور الثاني: القاسم الانتخابي على أساس عدد المسجلين وأثره في الانتخابات التشريعية من 2021

إلى 2026

الفرع الأول: الجدل الدستوري والسياسي حول احتساب القاسم الانتخابي على أساس عدد

المسجلين

أثار تعديل القانون التنظيمي المتعلق بمجلس النواب سنة 2021 نقاشًا سياسيًا وقانونيًا واسعًا، بعدما تقرر تغيير أساس احتساب القاسم الانتخابي؛ فبدل الاعتماد على الأصوات الصحيحة المعبر عنها، نصت المادة 84 على استخراج القاسم بقسمة عدد الناخبين المقيدون في الدائرة الانتخابية المعنية على عدد المقاعد المخصصة لها، ثم توزيع المقاعد المتبقية وفق قاعدة أكبر البقايا.¹³

¹⁰ عبد اللطيف أكنوش: الانتخابات التشريعية القادمة وبنيتها الاستقبلية، مجلة وجهة نظر، العدد 16، 2002، ص: 12.

¹¹ محمد ضريف: الاستراتيجية السياسية للمؤسسة الملكية على ضوء اقتراع 7 شتنبر 2007، مجلة منار الهدى، العدد 10، شتاء 2008، ص: 10.

¹² عمر حمزاوي: 7 شتنبر نتائج ومضامين، دفاتر سياسية، نونبر 2007، العدد 96/95، ص: 8.

¹³ قرار المحكمة الدستورية رقم 21/118 م.د، بشأن القانون التنظيمي رقم 04.21 القاضي بتغيير وتنظيم القانون التنظيمي رقم 27.11 المتعلق بمجلس النواب، الصادر بتاريخ 7 أبريل 2021.

وقد أيدت أغلبية الفرق البرلمانية آنذاك هذا الاختيار، في حين عارضه حزب العدالة والتنمية، وتحول الموضوع إلى أحد أبرز عناصر النقاش السياسي الذي سبق انتخابات 2021.

وكان أحد أوجه الاعتراض ينطلق من أن الأصوات التي ينبغي أن تدخل في الحساب هي أصوات الناخبين الذين شاركوا فعلياً في الاقتراع، وليس جميع المقيدين في اللوائح، بمن فيهم الممتنعون عن التصويت. وقد رأى عدد من الباحثين والسياسيين أن احتساب غير المصوتين ضمن المقام الحسابي للقاسم يثير إشكالاً من زاوية العلاقة بين الإرادة المعبر عنها والتمثيل الناتج عنها.¹⁴

واستند هذا الاتجاه كذلك إلى مقتضيات دستورية تتعلق بالاختيار الديمقراطي، والسيادة التي تمارسها الأمة بواسطة ممثليها، وحرية ونزاهة وانتظام الانتخابات، ومهمة الأحزاب في التعبير عن إرادة الناخبين.¹⁵

كما ذهب منتقدو القاعدة الجديدة إلى أنها قد تقلل القيمة العملية للتصويت المرتفع لللائحة متصدرة داخل الدائرة، لأنها ترفع القاسم الانتخابي كلما اتسعت الفجوة بين عدد المسجلين وعدد المشاركين، مما يزيد احتمال الانتقال سريعاً إلى مرحلة توزيع المقاعد وفق أكبر البقايا.¹⁶

غير أن الموقف الدستوري الرسمي حسم جانباً مهماً من هذا الخلاف. فقد قررت المحكمة الدستورية في قرارها رقم 21/118 بتاريخ 7 أبريل 2021 أن المادة المتعلقة بالقاسم الانتخابي لا تخالف الدستور. وأوضحت المحكمة أن الدستور لا يحدد طريقة بعينها لاحتساب القاسم الانتخابي، وأن تنظيم هذا المجال يدخل ضمن السلطة التقديرية للمشرع.

ومن ثم، فإن الدقة المنهجية تقتضي التمييز بين الحكم القانوني بدستورية القاعدة وبين النقاش الأكاديمي والسياسي حول آثارها التمثيلية. فالمحكمة حسمت مسألة المطابقة للدستور، لكنها لم تغلق باب دراسة النتائج السياسية والحسابية للنظام.

وهذه التفرقة مهمة؛ إذ يصبح من الأدق الحديث عن انتقادات موجهة إلى مدى انسجام القاعدة مع بعض التصورات الفقهية للتمثيل الديمقراطي، بدل وصفها تقريراً بأنها مخالفة للدستور بعد صدور قرار المحكمة الدستورية.

¹⁴ محمد أمين بن عبد الله: المحكمة الدستورية والقاسم الانتخابي: نعم... ولكن!، TelQuel، عربي، 13 مارس 2021.

¹⁵ دستور المملكة المغربية لسنة 2011، الفصل الثاني، الفقرة الثانية: «تختار الأمة ممثليها في المؤسسات المنتخبة بالاقتراع الحر والنزيه والمنظم».

¹⁶ الحبيب الشوباني: في بيان عدم دستورية احتساب القاسم الانتخابي على أساس عدد المسجلين، موقع "Le Site info"، موقع إخباري مغربي، شتنبر 2020.

الفرع الثاني: أثر القاسم الانتخابي في إعادة ترتيب التمثيل الحزبي ومستجدات استحقاقات 2026

قبل انتخابات 2021 أنجزت عدة محاكاة حسابية لتقدير أثر القاسم الجديد لو طُبق على نتائج انتخابات 2016. وقد خلصت المحاكاة التي اعتمد عليها إلى أن بعض الأحزاب التي كانت تحصل على أكثر من مقعد في عدد من الدوائر كانت ستفقد جزءاً من مقاعدها، بينما كانت أحزاب أخرى ستستفيد من ارتفاع قيمة البقايا.¹⁷ وفي تلك المحاكاة، كان حزب العدالة والتنمية سينتقل افتراضياً من 125 مقعداً إلى 97 مقعداً، بينما كانت آثار التعديل أقل على أحزاب أخرى.¹⁸ وتظل هذه الأرقام محاكاة افتراضية مبنية على أصوات 2016 وليست نتائج انتخابية فعلية، وهي ملاحظة ضرورية عند استدعائها اليوم.

أما الانتخابات الفعلية لسنة 2021، فقد أنتجت خريطة مختلفة بصورة كبيرة عن خريطة 2016؛ إذ حصل التجمع الوطني للأحرار على 102 مقعد، والأصالة والمعاصرة على 87، والاستقلال على 81، والاتحاد الاشتراكي على 34، والحركة الشعبية على 28، والتقدم والاشتراكية على 22، والاتحاد الدستوري على 18، والعدالة والتنمية على 13 مقعداً، إلى جانب أحزاب أخرى، وبلغ عدد الأحزاب التي حصلت على تمثيل برلماني 12 حزباً.¹⁹ ولا يمكن، من الناحية العلمية، إرجاع هذا التحول الكبير إلى القاسم الانتخابي وحده. فالنتائج الانتخابية تتأثر أيضاً بتعبئة الأحزاب، وصورة الحكومة والمعارضة، واختيار المرشحين، والتنافس المحلي، وتحولات سلوك الناخبين، والسياق الاقتصادي والاجتماعي. ومن ثم، فإن القاسم أحد العناصر المفسرة لترجمة الأصوات إلى مقاعد، وليس متغيراً وحيداً يفسر اتجاه تصويت الناخبين.

وتكتسب انتخابات 2026 أهمية خاصة لأنها تمثل محطة ثانية يجري فيها الاقتراع في ظل استمرار القاعدة القائمة على عدد المقعدين، وهو ما يسمح مستقبلاً بإجراء مقارنة أكثر دقة بين تجربي 2021 و2026.

¹⁷ محمد كريم بوخصاص: حسابات تغيير القاسم الانتخابي.. حزب الأصالة والمعاصرة أولاً وحزب الأحرار الأكثر استفادة وحزب العدالة والتنمية ثانياً بحسابة 28 مقعداً، موقع الأيام 24، 22 أكتوبر 2020.

¹⁸ المرجع نفسه.

¹⁹ الاتحاد البرلماني الدولي (IPU Parline): نتائج انتخابات مجلس النواب المغربي في 8 شتنبر 2021؛ التجمع الوطني للأحرار 102 مقعد، الأصالة والمعاصرة 87، الاستقلال 81، الاتحاد الاشتراكي 34، الحركة الشعبية 28، التقدم والاشتراكية 22، الاتحاد الدستوري 18، العدالة والتنمية 13، مع تمثيل 12 حزباً بالمجلس.

وقد صدر القانون التنظيمي رقم 53.25 في 29 يناير 2026، وأدخل مجموعة من التعديلات على القانون التنظيمي لمجلس النواب، مع الإبقاء على الأساس العام لنمط الاقتراع النسبي وقاعدة أكبر البقايا.²⁰

ومن المستجدات المهمة في انتخابات 2026 تخصيص الدوائر الانتخابية الجهوية، التي يبلغ مجموع مقاعدها 90 مقعداً، حصرياً لترشيحات النساء، بعد أن كانت صيغة 2021 تسمح بوجود مرشحين من الجنسين ضمن شروط محددة. ويظل للنساء، إلى جانب ذلك، حق الترشح في الدوائر المحلية.²¹

كما جاءت المنظومة الانتخابية بمقتضيات إضافية ترمي إلى دعم مشاركة الشباب وتعزيز حضور فئات أخرى داخل المؤسسة النيابية، إلى جانب مراجعة عدد من قواعد التمويل العمومي المرتبطة بالترشيحات.²²

وامتد تحديث القانون الانتخابي إلى المجال الرقمي، من خلال التنصيص على مقتضيات تجرم نشر الأخبار أو المضامين الزائفة بقصد المساس بالناخبين أو المترشحين أو التشكيك في صدقية ونزاهة الانتخابات، في سياق التطور السريع لأدوات الذكاء الاصطناعي والمحتويات المفبركة.²³

كما جرى تعديل الإطار القانوني للأحزاب السياسية بموجب القانون التنظيمي رقم 54.25، بما شمل عدداً من قواعد التأسيس والحكومة والتمويل وتعزيز تمثيلية النساء والشباب داخل التنظيمات الحزبية.²⁴

أما من الناحية العملية، فقد حُدد يوم الأربعاء 23 شتنبر 2026 موعداً لانتخاب أعضاء مجلس النواب، ويتعلق الاقتراع بتجديد مجموع مقاعد المجلس البالغ عددها 395 مقعداً.²⁵

²⁰ القانون التنظيمي رقم 53.25 القاضي بتغيير وتنظيم القانون التنظيمي رقم 27.11 المتعلق بمجلس النواب، الظهير الشريف رقم 1.25.70 بتاريخ 16 يناير 2026، الجريدة الرسمية عدد 7478 بتاريخ 29 يناير 2026؛ وينظر كذلك: قرار المحكمة الدستورية رقم 25/259 م.د بتاريخ 24 دجنبر 2025.

²¹ البوابة الرسمية للمملكة المغربية، «المنظومة الانتخابية.. مقتضيات جديدة لتعزيز تمثيلية النساء ومشاركتهن السياسية»، 3 شتنبر 2026؛ وتنص المنظومة على تخصيص الدوائر الانتخابية الجهوية حصرياً لترشيحات النساء.

²² البوابة الرسمية للمملكة المغربية، «المنظومة الانتخابية: مقتضيات حول دعم مشاركة الشباب في الحياة السياسية والانتخابية الوطنية»، 25 دجنبر 2025؛ وتشمل الإجراءات الشباب، ذكوراً وإناثاً، الذين لا تزيد أعمارهم على 35 سنة، وتخفيضات مرتبطة بمصاريف الحملة الانتخابية.

²³ البوابة الرسمية للمملكة المغربية، «استحقاقات 23 شتنبر 2026: المنظومة الانتخابية تتصدى للأخبار الزائفة المتعلقة بالانتخابات»، 7 شتنبر 2026؛ وتتصل المقتضيات الجديدة باستعمال وسائل التكنولوجيا الحديثة ونشر الأخبار أو المضامين الزائفة، في سياق تطور أدوات الذكاء الاصطناعي.

²⁴ القانون التنظيمي رقم 54.25 القاضي بتغيير وتنظيم القانون التنظيمي رقم 29.11 المتعلق بالأحزاب السياسية، الظهير الشريف رقم 1.25.71 بتاريخ 16 يناير 2026، الجريدة الرسمية عدد 7478 بتاريخ 29 يناير 2026.

²⁵ البوابة الرسمية للمملكة المغربية، «الانتخابات التشريعية 2026» و«نمط الاقتراع.. آليات قانونية لترجمة أصوات الناخبين إلى مقاعد نيابية»، شتنبر 2026؛ موعد الاقتراع 23 شتنبر 2026، وعدد مقاعد مجلس النواب 395، والانتخاب بالاقتراع العام المباشر عن طريق اللائحة وفق التمثيل النسبي وقاعدة أكبر بقية.

وبلغ عدد المسجلين في اللوائح الانتخابية العامة، بعد حصرها النهائي في 10 يوليوز 2026، 15,801,162 ناخبًا؛ 54 في المائة منهم رجال و46 في المائة نساء، و55 في المائة من الوسط الحضري مقابل 45 في المائة من الوسط القروي.²⁶

كما بلغ عدد لوائح الترشيح المقدمة على الصعيد الوطني 1850 لائحة، تضم 7288 ترشيحًا؛ منها 1615 لائحة في الدوائر المحلية و235 لائحة جهوية مخصصة حصريًا للنساء، وتضم هذه اللوائح الجهوية 1783 مترشحة.²⁷

ولهذه الأرقام صلة مباشرة بموضوع الدراسة؛ لأن حجم الهيئة الناجبة المسجلة لم يعد مجرد معطى تنظيمي أو إحصائي، بل يدخل مباشرة في حساب القاسم الانتخابي. وبذلك فإن العلاقة بين نسبة التسجيل ونسبة المشاركة وعدد المقاعد المخصصة لكل دائرة تصبح عنصرًا مهمًا في تفسير كيفية انتقال الأصوات إلى مقاعد.

غير أنه ينبغي التريث في استخلاص النتائج السياسية من انتخابات 2026. ففي تاريخ تحرير هذه السطور، 23 شتنبر 2026، يجري الاقتراع نفسه ولم تكن النتائج النهائية الرسمية قد صدرت بعد؛ ولذلك لا يمكن إدراج نتائج نهائية أو تقييم أثر القاسم على ترتيب الأحزاب قبل توفر المعطيات الرسمية الكاملة.²⁸ وسيتيح توفر النتائج التفصيلية لاحقًا إمكان اختبار فرضيات الدراسة على نحو أدق، من خلال مقارنة عدد الأصوات التي حصل عليها كل حزب بعدد مقاعده، ودراسة أثر تفاوت المشاركة بين الدوائر، ومقارنة انتخابات 2021 و2026 في ظل استمرار القاعدة نفسها.

خلاصة عامة:

يكشف تتبع تطور النظام الانتخابي المغربي عن أن قواعد الانتخابات ظلت مرتبطة بتحويلات النظام الحزبي والاجتماعي والسياسي، وأن انتقال المغرب من الاقتراع الأحادي الاسمي إلى التمثيل النسبي باللائحة لم يكن مجرد تعديل تقني، بل صاحبه تحول في طبيعة المنافسة وفي القنوات التي يتم من خلالها إنتاج التمثيل البرلماني.

²⁶ البوابة الرسمية للمملكة المغربية، «الانتخابات التشريعية: 15,801,162 عدد المسجلين في اللوائح الانتخابية، 46 بالمائة منهم من النساء»، 7 شتنبر 2026.

²⁷ البوابة الرسمية للمملكة المغربية، «الانتخابات التشريعية — 23 شتنبر 2026 في أرقام»، 21 شتنبر 2026؛ 1850 لائحة، 7288 ترشيحًا، منها 1615 لائحة محلية و235 لائحة جهوية مخصصة حصريًا للنساء تضم 1783 مترشحة.

²⁸ البوابة الرسمية للمملكة المغربية، الصفحة الخاصة بالانتخابات التشريعية لسنة 2026، آخر اطلاع بتاريخ 23 شتنبر 2026؛ في تاريخ تحرير هذه النسخة لم تكن النتائج النهائية الرسمية قد صدرت بعد.

فقد أتاح الاقتراع الفردي مساحة واسعة للعلاقة المباشرة بين المرشح وناخبيه، لكنه ارتبط كذلك بقوة النخب المحلية وشخصنة المنافسة. أما الانتقال إلى الاقتراع باللائحة سنة 2002 فقد عزز، من حيث المبدأ، دور الأحزاب والبرامج، وفي الوقت نفسه ساعدت خصائص التمثيل النسبي وحجم الدوائر وطريقة توزيع البقايا على استمرار مشهد حزبي تعددي.

ثم جاءت مراجعة 2021 لتضيف متغيراً جديداً، هو احتساب القاسم الانتخابي على أساس عدد المقيدين في اللوائح الانتخابية. وقد أثار هذا التغيير جدلاً حاداً، غير أن المحكمة الدستورية قضت بدستوريته، معتبرة أن تحديد أساس احتساب القاسم يدخل في نطاق الاختيارات التي يملك المشرع سلطة تنظيمها.

وأكدت نتائج 2021 أن الخريطة الحزبية يمكن أن تعرف تغيرات واسعة بين استحقاق وآخر، لكن التحليل العلمي لا يسمح بنسبة تلك التغيرات إلى قاعدة انتخابية واحدة؛ لأن اختيار الناخب يسبق عملية تحويل الأصوات إلى مقاعد، ويتأثر بعوامل سياسية واجتماعية وتنظيمية متعددة.

ويأتي إصلاح 2026 ليؤكد، من جهة، استمرارية العناصر الأساسية للنظام الانتخابي، ومن جهة أخرى، إدخال تعديلات تتصل بمشاركة النساء والشباب، والحكامة الحزبية، وضبط الحملات الانتخابية في البيئة الرقمية، ومواجهة الأخبار والمحتويات الزائفة. كما أن الإبقاء على القاسم الانتخابي المعتمد منذ 2021 يجعل انتخابات 2026 اختباراً ثانياً لهذه الصيغة.

وبذلك ينتقل سؤال الدراسة من البحث عن تفسير أحادي لاختيار نمط معين إلى بحث أكثر تركيبياً في كيفية تفاعل القانون الانتخابي مع النظام الحزبي وسلوك الناخبين والبنية الاجتماعية لإنتاج خريطة سياسية معينة. وهذه المقاربة تسمح بتقييم النظام الانتخابي استناداً إلى نتائجه القابلة للقياس، مع الفصل بين الوقائع القانونية الثابتة والتفسيرات السياسية التي تظل محل نقاش.

المراجع المعتمدة:

أولاً: الكتب

- عبد الرحمن القادري: المؤسسات الدستورية والقانون الدستوري، الجزء الأول، دار النشر المغربية، طبعة 1985.
- عبد الله ساعف: التمثيلية، الوساطة والمشاركة في النظام السياسي المغربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1997.
- محمد أديب السلاوي: الانتخابات في المغرب إلى أين؟، البوكيلي للطباعة، القنيطرة، الطبعة الأولى، 2002.

- محمد ضريف: المغرب في مفترق الطرق - قراءة في المشهد السياسي، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، 1996.

ثانيًا: المقالات والدراسات

- توفيق بوعشرين: الانتقال الديمقراطي بين الانتخابات وتعديل الدستور، مجلة وجهة نظر، السنة الرابعة، العدد 16، صيف 2002.
- عبد اللطيف أكنوش: الانتخابات التشريعية القادمة وبنياتها الاستقبالية، مجلة وجهة نظر، العدد 16، 2002.
- محمد ضريف: الاستراتيجية السياسية للمؤسسة الملكية على ضوء اقتراع 7 شتنبر 2007، مجلة منار الهدى، العدد 10، شتاء 2008.
- عمر حمزاوي: 7 شتنبر نتائج ومضامين، دفاتر سياسية، نونبر 2007، العدد 96/95.
- محمد أمين بن عبد الله: المحكمة الدستورية والقاسم الانتخابي: نعم... ولكن!، TelQuel عربي، 13 مارس 2021.
- مركز معارف للدراسات والأبحاث: تأثير تغيير القاسم الانتخابي على نتائج الأحزاب السياسية، دراسة إحصائية تحليلية بناء على نتائج الانتخابات التشريعية لسنة 2016.

ثالثًا: القوانين والقرارات والوثائق الرسمية

- دستور المملكة المغربية لسنة 2011.
- القانون التنظيمي رقم 04.21 القاضي بتغيير وتتميم القانون التنظيمي رقم 27.11 المتعلق بمجلس النواب.
- قرار المحكمة الدستورية رقم 21/118 م.د بتاريخ 7 أبريل 2021.
- القانون التنظيمي رقم 53.25 القاضي بتغيير وتتميم القانون التنظيمي رقم 27.11 المتعلق بمجلس النواب، الجريدة الرسمية عدد 7478، 29 يناير 2026.
- قرار المحكمة الدستورية رقم 25/259 م.د بتاريخ 24 دجنبر 2025.
- القانون التنظيمي رقم 54.25 القاضي بتغيير وتتميم القانون التنظيمي رقم 29.11 المتعلق بالأحزاب السياسية، الجريدة الرسمية عدد 7478، 29 يناير 2026.
- المعطيات الرسمية للانتخابات التشريعية لسنة 2026 المنشورة بالبوابة الرسمية للمملكة المغربية.

النشيد الوطني المغربي نظرات في تصاقب الكلم والنغم

الدكتور عادل الوادي

مختبر العلوم الدينية والاجتماعية وقضايا المجتمع، كلية الآداب فاس سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.

مقدمة

تمكن متابعة المسار النغمي للنشيد الوطني المغربي من تفكيك لحنه وإبراز تناسب تحوله، انسجامًا مع المعاني والألفاظ والتراكيب ودلالة الأساليب؛ إذ يمكن ذلك من معرفة الكيفية التي تصنع بها العاطفة الوطنية عبر الترددات الصوتية. ولو اتسع المجال لكشفنا عن العلاقات بين مخارج الحروف وصفاتها والمعاني التي يكتنزها هذا النشيد، وذلك من أدق وجوه التناسب الصوتي في اللغة العربية، فالحرف ليس مجرد وعاء للمعنى، بل قد يسهم جرسه ومخرجه وصفته في تجسيد الدلالة وتقويتها؛ ولهذا كان العلماء يتحدثون عن المحاكاة الصوتية للمعنى، أو تناسب المباني والمعاني، أو ما عبّر عنه ابن جني بقوله المشهور في كتاب الخصائص⁽¹⁾: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني. فالحروف الشديدة القوة كثيرًا ما تناسب معاني القوة والقطع، كالقفاف والصاد والطاء، بينما الحروف الرخوة المهموسة تناسب اللين والخفاء والهمس⁽²⁾. وهذا الباب يستثمره علماء التجويد في بيان أثر الصفات والمخارج، والبلاغيون في الإيقاع والجرس⁽³⁾، والمفسرون في التدبر البياني للفظ القرآني⁽⁴⁾، لكن ينبغي التنبيه إلى أن هذه العلاقة هي بطبيعتها إيجابية أغلبية، وليست قاعدة مطردة رياضية، فالمعنى الأصلي يُعرف بالوضع

(1) ينظر: ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 4، ج: 2، ص: 147.

(2) ينظر: النيرباني عبد البديع، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: رسالة دكتوراة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة حلب 2005 م، دار الغوثاني، دمشق، ط: 1، 2006 م، ص: 321.

(3) ابن أبي الإصبع عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، ص: 402-403.

(4) بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط: 7، ج: 1، ص: 17.

والاستعمال⁵، ثم تأتي الأصوات لتدعمه وتلوّنه وتزيده تأثيراً، وهذه سطور النشيد الوطني المغربي مع التحليل الموسيقي في علاقة النظم بالمعاني مع إشارات عابرة لعلاقة ذلك بصفات ومخارج الحروف وجرسها:

1- منبت الأحرار:

- في كلمة (منبت): الميم والباء حرفان شفهيان، يخرجان بانطباق الشفتين، وفيهما نوع اجتماع وانضمام؛ ولذلك يكثر حضورهما في الألفاظ الدالة على الاحتواء أو الامتلاء أو الدين أو القرب. والنون والتاء من طرف اللسان، وفيهما خفة وحركة وامتداد نسبي، مما يناسب كثيراً معاني الجريان أو الانتقال أو التتابع. في كلمة (الأحرار): الهمزة والحاء من أقصى الحلق ووسطه، وفي خروجهما عمق وانبعث من الداخل، كأن المعنى يبدأ من الأعماق. ثم تأتي الراء مرتين: الأولى ممدودة بما فيها من استعلاء نسبي وجرس قوي، يمنح اللفظ سعة وامتداداً وهيبة، وهو مناسب لمعنى الحرية والعزة والسمو.

- التحليل الموسيقي: يلاحظ ذلك الصعود اللحني من الدرجة الرابعة إلى درجة الجواب، إذ تبدأ الحركة الفعلية للجملة اللحنية بالارتكاز على الدرجة الرابعة (نغمة صول) صعوداً بقوة وثبات نحو الدرجة الثامنة (الجواب - ري). هذا الصعود العمودي الحاد يعطي شعوراً بالانبعاث والنهوض الشامخ.

- التلاحم مع المعنى: إن كلمة "منبت" هنا لا تعني مجرد اسم المكان أو الزمان، بل هي دالة كذلك على فعل "الإنبات" والظهور من الأرض إلى الأعلى، والصعود اللحني يجسد هذا النمو، حتى الوصول إلى قمة الجواب مع كلمة "الأحرار"، فيمنح ذلك تلك اللفظة نبرة الحرية والانعتاق، حيث الجواب الموسيقي يوحي بالتححر والارتفاع فوق القيود.

2- "مشرق الأنوار":

- التحليل الموسيقي: النزول إلى قرار نهوند (درجة ري) بعد الامتداد في الجواب، حيث يأخذ اللحن مساراً انسيابياً نازلاً متدرجاً (Cascade) ليعود ويستقر عند القرار (درجة ري الأساسية)، وهي قاع السلم المقامي أو نقطة الاستقرار النغمي.

- التلاحم مع المعنى: على عكس ما قد يوحيه "الهبوط" من تراجع، فإن النزول هنا إلى قرار النهوند يخدم

(⁵) ينظر: مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم، دمشق، ط: 3، 2005م، ص: 137.

كلمة "الأنوار" من جهتين: أ-الاستقرار والتمكين: النور هنا ليس ومضة عابرة في السماء (الجواب)، بل هو نور يستقر، يفيض، ويملاً الأرض (القرار)، مما يعطي شعوراً بالثبات والجذور الراسخة.

ب-التناقض الوجداني للنهوند: مقام النهوند يحمل شجناً دافئاً في قراره؛ والنزول إليه مع كلمة "الأنوار" يمنح اللفظة هالة من الوقار والجلال، بدلاً من الصخب الصارخ.

خلاصة: هذا التناظر الموسيقي الذي رصدناه بين الصعود الشامخ (منبت الأحرار) والاستقرار الراسخ (مشرق الأنوار) هو الذي يجعل مطلع النشيد بمثابة "بوابة" هندسية متكاملة؛ ترتفع بالاستنهاض ثم تستقر بالهبة. كما أن هذا الانتقال بين الجواب والقرار في المطلع يمهد لتلك الشحنة العاطفية التي تتلوه في "منتدى السؤدد وحماه".

3- "منتدى السؤدد": الصعود إلى الدرجة الخامسة (نغمة لا)

-التحليل الموسيقي: اللحن هنا يصعد ليرتكز على الدرجة الخامسة (الغماز) في مقام النهوند. في علم المقامات الصوتية "الغماز" هو النغمة المحورية التي تدور حولها الألحان، وهي بمثابة نقطة الجذب والانطلاق التي تجمع الشمل اللحني وتفتح أفقاً جديداً للمقام.

-التلاحم مع المعنى: كلمة "منتدى" لغوياً تعني مكان الاجتماع والالتقاء، و"السؤدد" من معانيه المجد والسيادة، فارتكاز اللحن على الدرجة الخامسة (الغماز) يجسد تماماً مفهوم "المنتدى"، فالموسيقى هنا تلتقي في نقطة مركزية قوية ومفتوحة، تُشعر المستمع بالهبة والاتساع والرفعة التي تليق بمقام السيادة والمجد.

4- "وحماه": النزول السريع والمحكم إلى القرار (ري)

-التحليل الموسيقي: بعد الصعود إلى الغماز، يهبط اللحن بقفزة محكمة وحاسمة نحو القرار (درجة ري)؛ ليقفل الجملة الموسيقية الأولى بإغلاق تام واستقرار مطلق.

-التلاحم مع المعنى: الحماية (وحماه) تتطلب الحصانة والإحاطة والمنعة، فالنزول السريع والاستقرار على نغمة القرار يعطي فوراً إحساساً بـ "الإغلاق الأمني" أو السور الحامي. إذن اللحن هنا لا يترك الباب موارباً؛ بل ينزل ليرتكز على الأرض الثابتة (القرار)، وكأن الموسيقى تصنع حصناً منيعاً ومستقراً يطوق ذلك "المنتدى" ويحميه.

-القراءة الكلية للمطلع: إذا ربطنا القراءة الأولى بالثانية، نجد أننا أمام معادلة بصرية-صوتية مدهشة:

-منبت الأحرار / مشرق الأنوار: حركة عمودية واسعة (من الرابعة إلى الثامنة ثم رجوع للقرار) ترسم حدود الأرض والسماء والنور.

-منتدى السؤدد / وحماه: حركة أفقية مركزية (صعود للغماز المشع ثم قفل حاسم على القرار) ترسم حدود السيادة العالية والحصن المنيع المحيط بها.

هذا التناوب اللحني المحكم بين الانفتاح (الجواب/الغماز) والالتزام بالحماية (القرار) هو الذي يعطي النشيد هيئته الجمالية والعاطفية في آن واحد.

5- "دمت منتداه": الثبات على الدرجة الخامسة (نغمة لا)

-التحليل الموسيقي: هذه الملاحظة بالتحديد تنقلنا إلى واحدة من أكثر المناطق عبقرية وتوترًا دراميًا في هندسة هذا اللحن، وتكشف عن تغيير حاسم في المزاج المقامي للنشيد. بعد أن كان اللحن يتحرك صعودًا ونزولًا، يتحول هنا فجأة إلى الارتكاز الأفقي الثابت والمنظم (Recitative style) على الدرجة الخامسة. النوتات تتكرر على نفس النغمة دون صعود أو نزول.

يخدم هذا التحول اللامع المعنى اللفظي والتلاحم مع المعنى، فالكلمة المفتاح هنا هي فعل الأمر الاستمراري "دمت" (بمعنى البقاء والخلود). الموسيقى هنا تترجم "الديمومة" حرفيًا من خلال الثبات النغمي. هذا الاستقرار على نغمة واحدة يمنح النص قوة توكيدية، ويُشعر المستمع بأن هذا "المنتدى" ثابت راسخ لا يتزعزع عبر الزمن.

6- "وحماه": الصعود بنصف بعد إلى الدرجة السادسة (نغمة سي بمول)

-التحليل الموسيقي: هنا تكمن المفاجأة اللحنية؛ فاللحن يكسر الثبات فجأة ويصعد بمسافة نصف بعد دياتوني (Diatonic Semitone)، ليصل إلى مسافة السادسة الصغيرة (Minor 6th) من مقام النهوند؛ مما يخلق شحنة فجائية من التوتر العاطفي، والترقب الشديد، والدراما.

-التلاحم مع المعنى: الجملة السابقة كانت دعاءً عامًا بالديمومة، لكن عند إعادة لفظ "وحماه"، تحرك اللحن بهذا "النصف بعد" الحاد ليوظ المستمع، هذا الصعود الطفيف والمليء بالشد الصوتي يخدم معنى الحماية هنا من منظور "الاستنفار واليقظة". كأن الموسيقى تحذر من أن الحماية ليست استرخاءً، بل هي استنفار دائم يملؤه الترقب والشغف العاطفي لحراسة هذا الحمى.

-الرؤية المشتركة للجملتين (التكرار الذكي): الشاعر كرر كلمة "حماء" مرتين، رغم أن الملحن لم يكرر نفس اللحن: ففي المرة الأولى (منتدى السؤدد وحماء): نزل اللحن للقرار ليصنع "سورًا دافعًا مطمئنًا".

وفي المرة الثانية (دمت منتداه وحماء): صعد لنصف البعد (الدرجة السادسة)؛ ليصنع قلقة إيجابيًا واستنفارًا عاطفيًا؛ يمهّد للانفجار الحماسي الذي سيأتي فورًا في المقطع الموالي: (عشت في الأوطان).

7- "عشت في الأوطان": الصعود من القرار (ري) إلى الخامسة على درجة (لا)

-التحليل الموسيقي: اللحن هنا يأخذ دفعة قوية وصعودًا مباشرًا من القرار (درجة ري) ليستقر على الدرجة الخامسة (الغماز - لا). هذا الصعود المباشر يتميز بنوع من القفز الإيقاعي السريع والمنتظم الذي يعطي شعورًا بالانطلاق الفسيح.

-التلاحم مع المعنى: لفظة "الأوطان" جاءت بصيغة الجمع لتشمل أرجاء الوطن وامتداده، فالموسيقى هنا تترجم هذا الامتداد؛ فالصعود من القاع (القرار) إلى القمة الوسيطة (الدرجة الخامسة) يعبر عن الامتداد الجغرافي والوجداني، وكأن اللحن يفرش مساحة الوطن الشاسعة أمام المستمع، تزامنًا مع دعوة الحياة والخلود (عشت).

8- "للعلا عنوان": النزول إلى تحت القرار (الدرجة الحساسة - دو دياز C#)

-التحليل الموسيقي: بعد الانفتاح في "الأوطان"، يهبط اللحن بقوة متجاوزًا درجة القرار ليستقر فجأة تحتها بنصف بعد، وتحديدًا عند الدرجة الحساسة (Leading Tone) للمقام. في مقام النهوند (الهارموني)، الدرجة الحساسة هي نغمة شديدة الجاذبية والتنافر، لا يمكن للأذن أن ترتاح عندها، بل تشعر بـ "مغناطيسية" شديدة تدفعها للعودة فورًا إلى القرار.

-التلاحم مع المعنى: اختيار هذا الهبوط الحاد للدرجة الحساسة مع عبارة "للعلا عنوان" يحمل عبقرية تعبيرية مزدوجة: أ-التأطير والتركيز: "العنوان" لغويًا هو العلامة المحددة والمميزة. بالنزول موسيقيًا إلى هذه النغمة الحادة والحساسة جدًّا تصنع "نقطة تركيز خطيرة"، وكأنها تضع خطأ عريضًا باللون الأحمر تحت كلمة "عنوان"، لتنبه الأذن أن هنا يكمن المبتغى والمقصد.

ب-الشغف والتوثب نحو الغلا: بما أن الدرجة الحساسة موسيقيًا هي نغمة غير مستقرة وتتطلع دائمًا للصعود، فإن الاستقرار عليها مؤقتًا يجسد تمامًا مفهوم "الغلا"؛ إنه شعور بالتوثب الشديد، وعدم الرضا بالدون،

والرغبة العارمة في الارتفاع مجددًا. فالمفارقة الدرامية هنا تكمن في توافق اللحن هنا مع وضع كلمة "العلا" (التي تعني الارتفاع) على لحن يهبط إلى "تحت القرار". هذه المفارقة هي التي تخلق الشد العاطفي؛ فالنزول إلى النغمة الحساسة يخلق ضغطاً موسيقياً كبيراً (Tension)، هذا الضغط هو الوقود الذي سيجعل الجملة التالية (ملء كل جنان) تنفجر بقوة أكبر للعودة إلى القرار والاستقرار.

هذا التحليل ينقلنا مباشرة إلى قلب العبقرية اللحنية والتحويل المقامي⁽⁶⁾ (Modulation) في النشيد. الانتقال من مقام النهوند إلى مقام العجم (والذي يعادل السلم الكبير Major Scale في الموسيقى الغربية) هو تحول من شجن الجدية العسكرية ونبرة الترقب، إلى انفتاح الفرح، الفخر، والاتساع الوجداني. وهذا يخدم التحول الذكي بين قرار العجم ودرجته الرابعة المعنى اللفظي بدقة متناهية.

9- "ملء كل جنان":

- التحليل الموسيقي: عجم على الدرجة الرابعة تحت القرار ثم الصعود إلى درجته الرابعة، اللحن هنا يغير جلده المقامي؛ ليرتكز على مقام العجم (المصاغ هنا من نغمة سي بمول التي تقع على الدرجة الرابعة الهابطة تحت قرار النهوند ري). إذ تبدأ الجملة من هذا القرار الجديد (قرار العجم)، ثم تصعد النوتات بقوة وامتلاء متتالٍ لتصل إلى الدرجة الرابعة من هذا العجم (نغمة مي بمول). مقام العجم بطبيعته يبعث على الانشراح، الفخر، والوضوح الشديد.

- التلاحم مع المعنى: الجملة تتحدث عن الامتلاء الكلي للقلوب (ملء كل جنان)، الموسيقى تترجم فعل "الامتلاء" عبر آيتين: أ- التحول إلى العجم: الانتقال إلى السلم الكبير (Major) يعطي على الفور إحساساً بالانشراح السيכולوجي والاتساع، وكأن الصدر ينفث ويستوعب هذا الحب.

ب- الصعود المتدرج: الانتقال الصاعد من قرار العجم إلى درجته الرابعة يجسد حركة "التدفق والفيض" الحسي حتى يمتلئ الوعاء (الجنان/القلب) تمامًا بالهبة والوطنية.

10- "ذكرى كل لسان": النزول من الرابعة إلى قرار العجم

(6) Marcus, Scott Lloyd. Arab Music Theory in the Modern Period. Ph.D. Dissertation, University of California, Los Angeles (UCLA), 1989.

-التحليل الموسيقي: بعد أن وصل اللحن إلى ذروة الامتلاء عند الدرجة الرابعة، يأخذ مسارًا نازلًا سلسًا ومستقرًا، ليعود ويقفل عند قرار العجم (سي بمول). هذا الهبوط في مقام العجم لا يحمل انكسارًا، بل يحمل صبغة التقرير والتأكيد مع الارتياح.

-التلاحم مع المعنى: العبارة تتحدث عن التواتر والترديد المستمر (ذكرى كل لسان)، إذ النزول إلى قرار العجم والاستقرار عليه يعطي شعورًا بأن هذا الذكر ليس صيحة مؤقتة، بل هو حقيقة مستقرة مستديمة ومتفق عليها، يلهج بها الجميع، فالموسيقى هنا تقفل الجملة بارتياح تام؛ لتؤكد أن ألسنة الناس تلهج بهذا الذكر كبديهية راسخة رسوخ وثبوت قرار المقام.

القراءة الدرامية لهذا التحول (من النهوند إلى العجم): في الجملة السابقة (للعلا عنوان)، بقي الملحن معلّمًا ومشحونًا عند "الدرجة الحساسة" الحادة للنهوند، وبدلًا من أن يحل هذا الشد العاطفي بشكل تقليدي، فتح لنا فجأة أفق مقام العجم الفسيح في (ملء كل جنان / ذكرى كل لسان، هذا الانتقال المقامي المحكم يشبه تمامًا الانتقال من الغرفة المغلقة إلى الفضاء الرحب؛ وهو ما يفسر لماذا يشعر المواطن المغربي برعشة من الفخر والاعتزاز (Pride and honor) تحديداً عند بلوغ هذا المقطع من النشيد. إن القراءة الهندسية لدرجات العجم هنا تضع الإصبع على موطن السحر في هذا الانتقال: وذلك بتفكيك الشفرة الختامية للنشيد (The Grand Finale) بطريقة احترافية تُبين كيف يتحول النشيد في أواخره إلى ما يشبه "المصعد المقامي" الذي ينتقل بين الألوان العاطفية (من فرح العجم، إلى جدية النهوند، إلى شجن الكرد الحاد) ليصنع ذروة حماسية لا تُنسى، ولربط بين هذا الانتقال المقامي السريع والمتلاحق بمعاني الكلمات في هذا الختام المهيب.

11- "بالروح بالجسد": (العجم على Re) والصعود إلى (Sol الدرجة الرابعة)

-التحليل والمعنى: الانتقال إلى (عجم Re) يعيد شحنة الفخر والعلانية، فالصعود المتدرج نحو الرابعة (Sol) يجسد التسامي؛ فتقديم "الروح" أولاً ثم "الجسد" يرافقه صعود لحني يتجاوز المادي نحو المثالي والمقدس، وهو صعود يمثل الاستعداد الباسق للتضحية.

12- "هب فتاك، لبي نداك": النزول المتشابه إلى (قرار العجم Re)

الانتقال من الهاء الحلقية الهوائية إلى اللام الذلقية اللسانية ينقل الإحساس من الحركة الخارجية في «هب» إلى التمرکز الداخلي في «لب»؛ لذلك بدا التركيب وكأنه انتقال من الاندفاع إلى الاستجابة، أو من الطلب

والحركة إلى التلقي والصفاء.

- التحليل والمعنى: التناظر والتشابه في جملي النزول يمثلان "التطابق النمطي بين الفعل ورد الفعل". النداء والاستجابة حاسمان ومستقران، والنزول إلى قرار العجم (Re) يعطي انطباعاً بالثبات والتلبية اليقينية القاطعة التي لا تراجع فيها (استقرار الجنود في مواقعهم).

13- "في فمي وفي دمي هواك ثار نور ونار": الانتقال إلى (Mi) (نوندMi)

- التحليل والمعنى: هذا التحول الفجائي إلى (نوندMi) ينقلنا من العلى إلى "الداخل السحيق". الكلمات تتحدث عن أشياء تسري في الجسد (في دمي، هواك ثار). الشجن والجدية الصارمة لمقام النهوند هنا يخدمان مفهوم "المرابطة الوجدانية"؛ فالحب هنا ليس مجرد شعار خارجي، بل هو عقيدة داخلية مشحونة بالعمق والسرية، والنبرة تصبح أكثر جلاً لتهيئ الانفجار القادم.

- التحليل الموسيقي: «في فمي وفي دمي» جاء الصعود عند «دمي» إلى الدرجة الخامسة، والصعود بطبعه يوحي بالتوتر الحيوي والامتلاء الداخلي؛ لأن الدم رمز الحركة والحياة والجريان، فكأن اللحن يرتفع مع فوران العاطفة في العروق. ثم عند: «هواك ثار نور ونار» وقع النزول إلى القرار، وفي ذلك لطيفة تعبيرية: فالثوران ذروة انفعال، واللحن بعد بلوغه الذروة يعود إلى القرار كأن العاطفة استقرت بعد اضطرامها، كما أن الجمع بين «نور» و«نار» يخلق ازدواجاً بين الصفاء والاحتراق، فجاء القرار جامعاً لهذين الضدين في مركز شعوري واحد.

14- إخوتي هيا (صعود للكرد على درجة (La) و"للعا سعيًا" (نزل لنهوند تحت القرار (Re)

- التحليل والمعنى: القفزة إلى مقام الكرد على درجة (La) عند "إخوتي هيا" هي نداء استنهاضي بامتياز، فالكرد يمنح الجملة صبغة عاطفية حارة جداً وملحة، وكأنها صيحة تجمع وتلاحم أخوي. أما النزول تحت قرار (Re) الدرجة الحساسة للنهوند عند "للعا سعيًا"، فهو يعيد خلق ذلك الشد والضغط التوتري (Tension) الذي رأيناه سابقاً في "للعا عنوان"، حيث اللحن يرفض الاستقرار التام؛ لأن السعي نحو العلا مستمر ولم ينته بعد، والأذن تظل معلقة تنتظر القفزة الكبرى.

15- "نشهد الدنيا": (عجم La وصعود للدرجة الرابعة) و"أن هنا نحيا" (رجوع لقرار عجم La)

- التحليل والمعنى: عند "نشهد الدنيا"، يفتح اللحن على (عجم La) الواسع والصاعد. هذا التحول إلى العجم (السلم الكبير) ضروري جداً هنا، لأن الفعل هو "إشهاد العالم"، والإشهاد يتطلب صوتاً جهوياً،

واضحًا، ومنشرجًا يسمعه الشرق والغرب. ثم يأتي الهبوط والاستقرار عند "أن هنا نحيًا" على قرار العجم، ليصنع صك ملكية وهوية مستقرة على الأرض. اللحن يقول: "هنا ثبتنا، وهنا سنبقى" بقوة القرار المقامي.

16- القفزة الختامية: "بشعار: الله، الوطن" (قرار عجم La) و"الملك" (صعود للرابعة Re)

-التحليل والمعنى: يجمع النشيد الوطني كلمتي "الله، الوطن" على نغمة القرار الثابتة (للعجم La)؛ يعطي الثوابت الأولى نبرة الاستقرار الكلي والرسوخ الوجداني والمؤسسي. وتأتي الـ (Crescendo) أو القفزة الختامية الكبرى مع كلمة "الملك" بالصعود إلى الدرجة الرابعة (Re)، لينتهي النشيد في القمة (الجواب/الارتفاع العالي)، مما يترك الأثر اللحني معلقاً في الفضاء، ويوحى بالسيادة، الرفع، والنهائية الحماسية المفتوحة على المجد.

خاتمة

إن هذه القراءة في عبقرية الانسجام بين لحن النشيد وكلماته تبرز هذا التناوب المذهل الذي حللناه بين المقامات الثلاثة (العجم للانشراف والعلانية، النهوند للعمق والجدية، والكرد للاستنهاض العاطفي)؛ مما يوضح كيف أن اللحن كان بمثابة "المخرج المسرحي" الذي يقود مشاعر المؤدي والمستمع، صعودًا ونزولًا؛ ليفرغ الشحنة الوطنية كاملة في الكلمة الأخيرة. ولعل هذا التفكيك الأكاديمي لحركة الدرجات والنغمات يبرز القيمة العلمية النغمية، والجمالية الفنية التي بُني عليها هذا الأثر الفني الخالد.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي الإصبع عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة.
2. ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 4، ج: 2، ص: 147.
3. عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط: 7.
4. مسلم مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم، دمشق، ط: 3، 2005م.
5. النيرباني عبد البديع، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: رسالة دكتوراة من كلية الآداب والعلوم

الإنسانية - جامعة حلب 2005 م، دار الوثائق، دمشق، ط: 1، 2006 م.

5-Marcus, Scott Lloyd. Arab Music Theory in the Modern Period. Ph.D. Dissertation, University of California, Los Angeles (UCLA), 1989

مشكلة الذهن في الفلسفة العصبية: ليكوف نموذجاً

د. أحمد جوهاري / جامعة ابن طفيل - المغرب

Ahmed. Jaouhari15@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الورقة طبيعة العلاقة بين البنيات التصورية والبنيات العصبية من خلال الوقوف على التصور العصبي للذهن عند ليكوف. وقد طرحنا بهذا الخصوص مسألة تتعلق بما إذا كان بالإمكان تحديد البنيات التصورية بالارتكاز على ما هو ذهني فقط، أم أن الأمر يقتضي استحضار ما هو جسدي وعصبي. ولمناقشة هذه المسألة انطلقنا من التصور الفلسفي الذي يتبناه ليكوف الذي يجمع بين النسق العصبي والنسق التصوري باعتباره نسقاً ذهنياً ومعرفياً. وذلك باستحضارنا لآلية الذهن المتجسد لبنين أن التصورات البشرية متجسدة، سواء كانت تصورات مجردة مرتبطة ببنية الفكر والمقولة أو كانت تصورات ملموسة مرتبطة ببنية الواقع والفعل، فجميعها محددة انطلاقاً من بنيات جسدية وعصبية. وهو ما أفضى بنا إلى استحضار النماذج العصبية التي وظفها ليكوف من أجل تحديد طبيعة الفكر وعملية بناء التصور، بحيث تسمح لنا هذه النماذج بتمييز الاختلافات القائمة بين أجزاء اللغة والتي تعكس التفكير البشري. وكان هدفنا هو بيان الكيفية التي يتم بها نمذجة بعض الجوانب في التفكير والفعل، وهي العملية التي أطلق عليها ليكوف اسم "النمذجة العصبية الحاسوبية".

الكلمات المفتاحية: الذهن، الفلسفة العصبية، النسق التصوري، النسق العصبي، الجسد.

Abstract:

This paper examines the nature of the relationship between conceptual structures and neural structures by focusing on Lakoff's neuro-conceptual view of the mind. We address the question of whether conceptual structures can be defined solely on the basis of the mental, or if the matter requires incorporating the bodily and the neural. To discuss this issue, we adopt Lakoff's philosophical perspective, which integrates the neural system with the conceptual system—viewing the latter as a mental and cognitive system. By invoking the mechanism of the "embodied mind," we demonstrate that human concepts are embodied; whether they are abstract concepts linked to the structure of thought and categorization, or concrete concepts linked to the structure of reality and action, they are all determined by bodily and neural structures. This leads us to consider the neural models Lakoff employed to define the nature of thought and the process of concept formation—models that allow us to distinguish differences among linguistic components that reflect human thought. Our aim is to illustrate how

certain aspects of thought and action are modeled—a process Lakoff termed "computational neural modeling."

Keywords: Mind, neurophilosophy, conceptual system, neural system, body.

مقدمة

يعود البحث في الطبيعة المتجسدة للذهن إلى فيلسوفين عظيمين نعتهما ليكوف بـ "فيلسوفي الذهن المتجسد الكبيرين"، وهما "موريس ميرلوبونتي" الذي وظف كلمة الجسد للإشارة إلى التجربة الجسدية من خلال التركيز على ما سماه بـ "جسد العالم"، كما نحس به، ونشعر به، ونعيشه¹. و"جون ديوي"² الذي أقر بأن التجربة الجسدية أساس لكل ما نعيشه، ونفكر فيه، ونعرفه أو نتحدث عنه. فقد كان لهما الفضل في إدراك التعقيد والغنى الذي يميز التجربة الجسدية، وهما نموذجان فيما سماه ليكوف بـ "الفلسفة المسؤولة تجريبياً"، بحيث أدرجا معا علم النفس، والفيزيولوجيا، وعلوم الأعصاب، كعلوم تجريبية تمكننا من صياغة التفكير الفلسفي³.

بناء على النموذجين السابقين سعى ليكوف إلى بناء نظرية عصبية للذهن مبرزا قيمة الجسد والدماغ في قيام التصورات والمعاني، سواء كانت مجردة أو ملموسة. كما بيّن طبيعة التناقض الذي يشكو منه الفكر الغربي الذي يرفض الحديث عن تجسد الذهن، ويستبعد إمكانية قيام التصورات على قدرات الجسد البشري، وفي نفس الوقت يعتمد في خطابه على استعارات تصويرية متجسدة. نحاول في هذه الورقة الدفاع عن فكرة الذهن المتجسد من خلال النظر في طبيعة التصورات والفكر، من جهة، وعلاقة البنية التصويرية بالبنية العصبية- الجسدية، من جهة أخرى. وبما أن عملية التفكير وبناء التصور تتم عن طريق بنيات مقولية يلعب فيها الجسد دوراً أساسياً، فإننا سنحاول إبراز الطبيعة المتجسدة للتصورات، انطلاقاً من الإجابة التي قدمها ليكوف عن إشكال يتعلق بمدى تجسد الفكر

¹ - يزعم ميرلوبونتي أنه إذا كان الإدراك من حيث هو تعبير الحامل الأول للمعنى، فلا يمكن إدراك العالم دون حضور الجسد. وهنا يبين الدور الذي يلعبه الجسد في بناء المعنى، فما يقوم به الجسد من حركات وإشارات هي مجرد تعبيرات تحمل دلالات، فالجسد يملك بداخله قصيدة وقدرة على أداء المعنى. أنظر:

- Merleau-Ponty, M, *La phénoménologie de la perception*, paris, 1945, p. 14.

² - يرى جون ديوي أن طبيعة الجسد معقدة وغنية في نفس الآن، معقدة لأنها تتركب من عنصرين مختلفين؛ الأول يرتبط بالبيئة، بحيث إن للجسد وجه طبيعي يشمل الماء، والهواء، والتربة والمعادن. ويتعلق العنصر الثاني بالمجتمع، بحيث إن للجسد وجه اجتماعي يتكون من اللغة، والتقاليد، والمعتقدات، والقوانين، وغيرها. كما أن بنية الطبيعة الجسدية غنية لكونها نتاج لتفاعل مستمر بين ما هو طبيعي وما هو اجتماعي. وهو ما يوضح الارتباط القوي بين الذهن والجسد عند ديوي. أنظر:

-Rogers, Arthur, *English and American philosophy since 1800*, The Macmillan company, New York, 1962, p. 369.

³ -Lakoff, G, Johnson, M. *Philosophy in the flesh: The embodied mind and its challenge to western thought*. New York: Basic Books. 1999, p. xi.

والتصورات من خلال بيان الدور الذي تلعبه الأنساق المعرفية والحركية في تشكيل أنواع خاصة من التصورات، من قبيل: تصورات اللون، وتصورات المستوى القاعدي، وتصورات العلاقات الفضائية، والتصورات الجهيّة، كما سنوضح ذلك لاحقاً، لكن قبل ذلك لابد من إبراز مسألة مهمة تتصل بعملية بناء التصور وهي المَقُولَة، فلا نحصل على تصوراتنا بصدد العالم إلا بواسطة عملية المَقُولَة باعتبارها عملية فكرية. وعندما نسلم بوجود بنيات عصبية للدماغ تكون مسؤولة عن هذا التفكير، فإننا نقر بقدرة الشبكات العصبية للعقل على تحديد تصوراتنا، وبعض أنواع التفكير الذي يمكننا القيام به في إطار النمذجة العصبية¹. وهنا نتساءل عن إمكانية التعامل مع المَقُولَة كظاهرة عصبية وليست عملية تصورية فقط.

1. الذهن بنية مقولية مبنية عصبيا

ينطلق ليكوف من فرضية أساسية وهي أن الفكر في جزء كبير منه لا واع تتحكم فيه قدراتنا الجسدية. ونتيجة ذلك، فقدرتنا على المَقُولَة وبناء التصورات تعود إلى الطبيعة الخاصة لجسدنا، فالمَقُولَة إذن خاصية يشترك فيها الإنسان والحيوان، كما يتجلى ذلك من خلال قول ليكوف: "كل كائن حي يُمَقُول"، فلم تعد المَقُولَة خاصية بشرية كما اعتقد أرسطو، بل حتى الحيوانات تُمَقُول كل شيء؛ الغذاء، والحيوانات التي تهددها، والزواج، وأعضاء جنسها، وغيرها. وقد أرجع ليكوف الطريقة التي تُمَقُول بها الحيوانات إلى الجهاز الحسي الذي تمتلكه، وقدرتها على تحريك نفسها ومعالجتها للأشياء².

بناء عليه، حدد ليكوف الشروط التي تنبني عليها المَقُولَة كظاهرة عصبية-بيولوجية، من أهمها ما يلي³:

- المَقُولَة ناتجة عن الكيفية التي نحن متجسّدون بها.
- المَقُولَة نتيجة مباشرة للتكوين البيولوجي باعتبارنا كائنات مكونة من خلايا عصبية، الأمر الذي يجعل المَقُولَة العصبية توجد عبر الدماغ⁴، فعندما نرى أشجاراً نراها باعتبارها كذلك، وليس باعتبارها أشياء فردية مختلفة عن بعضها بعضاً. نفس الأمر يسري على الصخور، والمنازل، والنوافذ، والأبواب، وغيرها.

¹ - تعتبر النمذجة العصبية إحدى فروع علم الأعصاب التي تدرس الصور والبنيات العصبية، وما تنفذه من عمليات حوسبية عصبية تمارس تجربتها بوصفها أشكالاً خاصة من التفكير الذهني، كما أنها تدرس كيف يتعلم هذه البنيات والصور العصبية. أنظر:

-Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 16.

² - Ibid., p. 16.

³ - Ibid., pp:17- 18.

⁴ - يرى ليكوف أن الإنسان كائن حي مكون من خلايا عصبية، وهذه الخلايا تتضمن عدد كبير جداً من الاقترانات الصبغية، أو ما يسمى بنقطة الاشتباك العصبي، قد تصل إلى 100 ترليون مع وجود 100 بليون من الخلايا العصبية. وعليه، فالمعلومات تمر وتشكل من مجموعة كثيفة من الخلايا

- معظم مقولاتنا تكونت بصورة آلية ولا واعية نتيجة اشتغالنا في العالم.
- لا تفرض علينا أجسادنا وأدمغتنا أن نُثَقِّل فقط، بل تحدد أيضا أنواع المقولات التي ستكون لنا، والبنية التي ستخدها.

لقد سبق الإقرار بأن الكائنات الحية تُثَقِّل، وهي تقوم بذلك، لكونها كائنات عصبية لها جسد، ودماغ، وتجربة. وعليه، فالمقولة ليست مسألة فكرية خالصة، بل هي جزء مما تنخرط فيه أجسادنا باستمرار، فلا يسعنا كما تعتقد نظريات الفلسفة التأملية أن نضع أنفسنا فوق مقولاتنا، فتكون لنا تجربة غير مُثَقِّلَة وغير مُبَيَّنَة تصويريا، لأن الكائنات العصبية لا يمكنها أن تُثَقِّل بهذه الطريقة¹.

على هذا الأساس، يتبين أن بناء التصورات يتم انطلاقا من البنيات العصبية، لأنها تسمح لنا بتحديد المقولات عقليا والتفكير فيها، فمعظم مقولاتنا تبنى تصويريا وبطرق متعددة استنادا إلى الصور النمطية، مادامت كل صورة نمطية عبارة عن بنية عصبية تمكننا من إنجاز عملية الاستنتاج والتخيل بالنسبة لمقولة ما، لكن هناك حالات في الصور النمطية تستخدم لرسم استنتاجات بخصوص عناصر المقولة في غياب معلومة سياقية خاصة. وبموجب ذلك، فالحالات المثالية في الصور النمطية تسمح بتقييم عناصر المقولة بالنظر إلى معيار تصويري معين. لذلك، يشكل التفكير من خلال الصور النمطية مساحة شاسعة من التفكير الفعلي الذي نقوم به، وهو تفكير شائع ولا يمكن الاشتغال بدونه.

هكذا، فالمقولات تنشأ نتيجة وجود بنيات تصويرية تسمح لنا بالتفكير فيها بأشكال مختلفة أثناء اشتغالنا اليومي، وهذه البنيات التصويرية بنيات عصبية قابعة في الذهن البشري، الأمر الذي يجعلها متجسدة، مادام كل بناء ذهني متحقق عصبيا، غير أن هناك معنى آخر يجعل التصورات متجسدة، وهي قدرتها على الاستنتاج من خلال ارتباط بعضها ببعض. من هذا المنطلق، فالتصور المتجسد له بنية عصبية تشكل جزءا من النسق الحسي والحركي لأدمغتنا. لذلك، فمجملة الاستنتاجات التصويرية هي استنتاجات حسية-حركية. إن فكرة اعتبار التصورات متجسدة لها اقتضاءات فلسفية مهمة تتمثل أساسا في أن يصبح موضع التفكير (الاستنتاج التصويري) هو نفسه موضع الإدراك

العصبية إلى أخرى عبر مجموعة متفرقة نسبيا من الاقتراحات. مهما حدث هذا، يكون نموذج التشغيل الموزع على المجموعة الأولى أكبر من أن يمثل بكيفية واحد- إلى - واحد في مجموعة الاقتراحات المتفرقة. وعلاوة على ذلك، فمجموعة الاقتراحات غير الكثيفة تجمع بالضرورة بعض نماذج الدخل input فينسجها عبر طاقم الخرج output، كلما أعطى طاقم عصبي نفس الخرج مع عدة دخول مختلفة، كانت هناك مقولة عصبية. أنظر: لايكوف، جورج، جونسون، مارك، الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2016، ص، 55.

¹-Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 19.

والتحكم الحركي، وهما وظيفتان جسديتان. وهذا يتعارض مع الطرح الفلسفي الذي يفترض فصلا جذريا بين القدرات الذهنية والنسق الحسي الحركي. ينطلق علم الأعصاب المعرفي من فرضية أساسية مفادها أن الدماغ موضع يشترك فيه التفكير والإدراك والحركة، أي أن بنيات الدماغ المتحركة في العمليات الذهنية هي نفسها تتحكم في العمليات الحسية والحركية. وهو ما دفع ليكوف إلى التساؤل حول ما إذا كان الاستنتاج التصوري يستخدم نفس بنيات الدماغ باعتبارها استنتاجا إدراكيا حركيا؟ خصوصا وأن الدماغ هو الموضوع الذي تجتمع فيه هذه الوظائف الثلاث بشكل طبيعي¹.

2. البنية العصبية للتصورات الذهنية

انطلق ليكوف من فرضية مغايرة للموقف الفلسفي التقليدي الذي يفصل فصلا جذريا بين التصورات والجسد في عملية بناء الواقع، تقول هذه الفرضية إن التصورات البشرية ليست انعكاس لواقع خارجي؛ إنها تتشكل بواسطة الجسد، عامة، والنسق الحسي الحركي، خاصة. وحاول الدفاع عن هذه الفرضية عبر تحليل ثلاثة أنواع من التصورات: تصورات اللون، والتصورات القاعدية، وتصورات العلاقات الفضائية، واستند إلى النظرية العصبية للغة للاستدلال على أن بعض أشكال التفكير التصوري تستخدم النسق الحسي - الحركي².

1.2. تصورات الألوان

يعتبر تصور اللون³ أبسط التصورات البشرية التي يمكن تعلمها ومعرفتها بسهولة، مثل قولنا: "السماء زرقاء"، و"العشب أخضر"، و"الدم أحمر"، وغيرها من التصورات. من هنا، يبدو أن الألوان ماهية الأشياء، فالزرق في السماء، والأخضر في العشب، والأحمر في الدم، لكن العلوم المعرفية وعلم الأعصاب يثبتان نتيجة مغايرة تتمثل أساسا في أن الألوان لا توجد في العالم الخارجي، بل تنشأ من الطريقة التي توجد عليها أجسادنا بالنسبة للعالم⁴.

في هذا الإطار، يقر ليكوف أن تجربة اللون لدينا تنشأ عن وجود أربعة عوامل مركبة: (1) الطول الموجي للضوء المنعكس على السطح. (2) ظروف الإضاءة. (3) الأنواع الثلاثة لمخروطات اللون في شبكية العين التي تمتص ضوء

¹ - Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 19.

² - Ibid., p. 23.

³ - يعتبر إسحاق نيوتن أول من قدم تصورا علميا للون من خلال ربطه بين اللون والإحساس الناتج عن الأطوال الموجية المشكلة للضوء، إلا أن علم الألوان اليوم أصبح مؤسس على التمييز بين اللون والمحتوى الطيفي للضوء. أنظر:

- Varela, F, and, Thompson, E, Color vision; A case study in the foundations of cognitive science, *Revue de synthèse*: IV, S, 1-2, Janvier- juin, 1990, p. 130.

⁴ - Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 23.

الأطوال الموجية الطويلة، والمتوسطة، والقصيرة. (4) الدارة العصبية المعقدة المربوطة بهذه المخروطات¹. بالإضافة إلى ذلك، هناك خاصية فيزيائية تعكس سطح شيء من الأشياء، من قبيل: انعكاس أو انكسار الضوء؛ أي نسبة الترددات العالية، أو المتوسطة، أو الضعيفة من الضوء الذي تعكسه. وهو انعكاس ثابت بخلاف الطول الموجي الفعلي من الضوء، ويعكسه شيء ما ليس ثابتاً وقاراً²، لأن اللون ليس إدراكاً للطول الموجي فقط، بل إنه يتوقف على قدرة الذهن على التعويض عن التنوعات في مصدر الضوء. وعليه، لا وجود لتوافق مباشر بين الانعكاس الضوئي واللون، قد ندرك انعكاسان مختلفان باعتبارهما يمثلان نفس اللون³، فلا توجد توافقات خاصة بين اللون المدرك للسطح، والتركيب الطيفي، وشدة الضوء المنعكس على السطح⁴. بهذا، فالضوء ليس ملوناً، بل هو عبارة عن إشعاع كهرومغناطيسي، مثل أمواج الراديو التي تتذبذب وفق صنف من الترددات، ولا تتمكن من الرؤية إلا عندما يرتطم هذا الإشعاع بشبكياتنا، ومتى توفرت ظروف ملائمة للإضاءة المحيطة، وارتطم إشعاع صنف معين على شبكياتنا. وفي الوقت الذي تمتص فيه مخروطات اللون هذا الإشعاع، ينتج عن ذلك إشارة كهربائية تعالجها الدارة العصبية لأدمغتنا بشكل عادي، وهذه التجربة النوعية التي يخلقها فينا هو ما يسميه ليكوف بـ "اللون"⁵.

هكذا، فتصورات اللون لها بنية داخلية متدرجة؛ بعض الألوان تعتبر "بؤرية"، بحيث يشكل "اللون الأحمر" مقولة مركزية، في حين تعتبر الألوان، مثل: الأحمر الأرجواني، والأحمر الورد، والبرتقالي، مقولات هامشية أو غير مركزية. يبدو، إذن، أن البنية الداخلية لمقولة اللون ناتجة أساساً عن التقوسات العصبية المستجيبة للون في أدمغتنا، كما أن التدرجات البؤرية توافق ترددات الاستجابة العصبية القصوى. لذلك، فالبنية الداخلية لمقولات اللون لا توجد في انعكاس الضوء على السطح، وليست مجرد تمثيل داخلي للواقع الخارجي، كما اعتقد الفكر الفلسفي التقليدي، بل تعود إلى وجود بنية داخلية في كل تصورات اللون دون استبعاد البنية الخارجية للألوان، والتي تعكس وجود تعارض بين الألوان؛ بين الأحمر والأخضر، مثلاً، وهو تعارض ناتج عن الدارة العصبية، وليس انعكاس الضوء على السطح. هكذا، نقول إن اللون لا يُحتزل في التمثيل الداخلي لانعكاس الضوء الخارجي، كما أنه ليس شيئاً أو

¹ - Ibid., p. 23.

² - لتوضيح ذلك يمكن الوقوف على مثال الموزة، فالطول الموجي من الضوء الذي يصدر عن الموزة يتوقف على طبيعة الضوء الذي يضيئها: فلزي (موجود في ضوء المصباح) أم مستشع فلوري، كضوء نهار مشمس أم ضوء جو مثقل بالغيوم، ضوء فجر أم ضوء غسق. تبعاً لهذه الظروف المختلفة، يختلف الطول الموجي للضوء الذي يأتي من الموزة بشكل كبير، وبذلك، فإن لون الموزة سيكون ثابتاً نسبياً. أنظر: لايكوف، جورج، جونسون، مارك، الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، مصدر سابق، ص، 62.

³ - Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 24.

⁴ - Varela, F, and, Thompson, E, *Color vision; A case study in the foundations of cognitive science*, op, cit, p. 130.

⁵ - Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 24.

مادة موجودة في العالم، بل يرتبط أساسا بالجسد، وتتداخل فيه أربعة عوامل متفاعلة: ظروف الإضاءة، الطول الموجي للإشعاع الكهرومغناطيسي¹، وتدرجات اللون، وأخيرا، عمل السيروتات العصبية. وعليه، فالألوان كما نراها لا توجد في الأشياء، بل ناتجة عن تفاعلنا الجسدي مع هذه الأشياء².

إن تصورات اللون بهذا المعنى تفاعلية، تنشأ عن تفاعلات أجسادنا، وخصائص انعكاس الضوء على الأشياء، والأشياء الكهرومغناطيسية. وهو ما يعني أن الألوان لا توجد في الأشياء بشكل مستقل عن الشبكيات، وتدرجات اللون، والدار العصبية، والأذهان³. ومادامت الألوان ليست أشياء أو مواد في العالم، فإن الواقعية الميتافيزيقية تفشل في مقاربتها لتصورات اللون، بحيث إن اللون أحمر لا يمثل العلاقة بين اللفظ وشيء ما في العالم، بل يتوفر على بنية داخلية شعاعية لها مركز وهامش. وهي بنية غير مؤسسة كلية انطلاقا من الخصائص الطيفية للسطوح، بل من خلال تدرجات اللون والدارة العصبية، الأمر الذي يجعل الخصائص التصورية الداخلية لـ "أحمر" متجسدة بدورها⁴. وفي نفس السياق، يبين ليكوف حدود النزعة الذاتية في تفسيرها لمقولة اللون مادام ينتج عن التكوين البيولوجي، ولا يخص العالم الخارجي أو نتاج للثقافة، وهذا لا يعني في نظر ليكوف أن اللون لا يختلف في دلالاته من ثقافة إلى أخرى⁵، بل إن دلالة الألوان تختلف باختلاف الثقافات⁶.

¹-Maxwell, J, Clerk, "A Dynamical Theory of the Electromagnetic Field, Philosophical Transactions of the Royal Society of London, (1 January 1865). 155: 459–512. doi:10.1098/rstl.1865.0008.

² - إن الألوان كما نراها، مثل: أحمر الدم أو أزرق السماء، لا توجد في الدم أو في السماء، ويقر ليكوف بأن السماء بدورها ليست شيئا، فليس هناك سطح ليكون فيها اللون. السماء لا تتوفر حتى على سطح لانعكاس الضوء حتى يدرك بوصفه لونا. السماء زرقاء لأن الجو لا يرسل غير صنف معين من الأطوال الموجية من الضوء القادم من الشمس، ومن بين الأطوال الموجية التي يرسلها، ينثر بعضها أكثر من أخرى. والأثر الذي يحصل هو مثل مصباح ضوء ملون لا يترك غير أطوال موجية معينة من الضوء عبر الزجاج. لذلك، فالسما زرقاء لسبب آخر مختلف عن كون السماء مصبوعة بالأزرق، فما ندركه أزرق لا يحدد "شيئا" مفردا في العالم، ولا الزرقة"، ولا انعكاس طول موجي. أنظر: لايكوف، جورج، جونسون، مارك، الفلسفة في الجسد، الدهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، مصدر سابق، ص، 63.

³ -Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 24.

⁴ -Ibid., p. 25.

⁵ -Ibid., p. 25.

⁶ - لقد سجل الإثنولوجيون باستمرار التمايز في إدراك الألوان في المجتمعات الإنسانية. وقد لاحظ "Zahan زاهان أن المنطقة الإفريقية عموما تقطع الألوان إلى أحمر وأبيض وأسود. فقد كتب أن "أناس قبائل البببارا في مالي يصنفون كافة الأشياء الخضراء أو الزرقاء في فئة "الأسود"؛ والأصفر الغامق والبرتقالي في خانة "الأحمر"؛ والأصفر الفاتح في خانة "الأبيض". أما أناس قبائل الندمبوس في زامبيا، فإنهم يطابقون أبيضًا بين الأزرق و"الأسود"، وبين الأصفر والبرتقالي و"الأحمر". أنظر:

- Zahan, D. *L'Homme et la couleur*, in J. Pirier (éd.) *Histoire des mœurs*, T. 1. Gallimard, La Pléiade, 1990, p.141.

هكذا، فليس اللون ولتصورات اللون معنى إلا في إطار نوع من "الواقعية المتجسدة"، كشكل من أشكال التفاعلية التي ليست موضوعية خالصة، وليست ذاتية خالصة، مما يجعل تصور اللون عند ليكوف له أهمية بالنسبة للواقعية المتجسدة¹. وبهذا، فاللون عند ليكوف يسهم في التعرف على الأشياء في العالم، فهو مظهر متطور من مظاهر الدماغ، ويؤدي أدوارا متعددة في حياتنا الثقافية، والجمالية، والعاطفية. لذلك، فاعتبار اللون مجرد انعكاس الضوء على السطح، أو مجرد تمثيل داخلي للواقع الخارجي، يغفل جزءا هاما من وظيفة اللون في حياتنا².

لقد ميز فلاسفة العصر الحديث فيما يتعلق بمقولة اللون بين خاصية تفاعلية، سماها "لوك"³ بـ "الخاصية الثانوية" التي لا توجد في الشيء ذاته، وبين "الخاصيات الأولية" التي توجد بشكل موضوعي في استقلال عن المدرك، ولها أهمية ميتافيزيقية تحدد ما هو واقعي، هذا في الوقت الذي تقتصر فيه الخاصيات الثانوية على المدرك، ولا تنشأ عن الواقع الخارجي الموضوعي⁴. غير أن التخلي عن الواقعية الميتافيزيقية التي تأخذ بفكرة اعتبار أن اللون خاصية أولية له تبعات فلسفية عميقة، تتمثل، حسب ليكوف، في التخلي عن نظرية التطابق في الصدق التي ترى أن الصدق ناتج عن تطابق موضوعي بين الألفاظ والعالم الخارجي. الأمر الذي يفسر في نظر ليكوف أن جملة، من قبيل: "الدم أحمر" ليست جملة صادقة تبعا لنظرية التطابق⁵. ومادام أغلب الفلاسفة لا يريدون التخلي عن هذه النظرية فقد لجأوا إلى تحديد مقولة اللون بشكل يناسب نظرية التطابق، من خلال إقرارهم بأن اللون تمثيلا داخليا للانعكاس الضوئي على السطح. ومن ثم، يتم تحديد جملة "الدم أحمر"، كما يلي: "الدم أحمر جملة صادقة إذا وفقط إذا كان للدم انعكاس ضوئي معين على السطح"⁶، غير أن هذا الاستدلال لا ينطبق على جملة "السماء زرقاء"، بما أن

¹ - يوضح ليكوف هذه الفكرة بالقول إننا قد تطورنا في ظل شروط وقيود تتعلق بالأطوال الموجية من الضوء التي تخترق الجو، كما تطورنا داخل حدود جعلتنا نتوفر على أنسقة اللون التي نتوفر عليها، كما أنها تتيح لنا أن نعمل بشكل جيد في العالم. كانت حياة النبات هامة في تطورنا، فلقد رتبنا على أن نضع في نفس المقولة أشياء خضراء قيمة أساسية فيما يرتبط ببقائنا ورفاهنا. نفس الشيء يسري على الدم واللون أحمر، الماء والسماء واللون الأزرق، والشمس والقمر واللون الأصفر. إنها تتوفر على تصورات اللون التي نتوفر عليها، لأن الحدود الفيزيائية التي تقيد التطور أعطت مزايا تطورية للكائنات مع نسق ألوان يمكن هذه الكائنات من أن تشغل بشكل جيد في جوانب مهمة. أنظر: لايكوف، جورج، جونسون، مارك، الفلسفة في الجسد، الدهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، مصدر سابق، ص، 64.

² - Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 25.

³ - رأى لوك أن اللون ليس خاصية غير موضوعية للأشياء. وبالتالي، فهو يختلف عن الشكل والصفات الأساسية الأخرى بشكل عام، والتي هي خصائص موضوعية للأشياء، وحتى إذا كانت بعضها عبارة عن تصرفات، فلا شيء مجرد تصرف للتسبب في أنواع معينة من التجارب. أنظر:

-Jackson, F, and, Pargener, R, *An Objectivist's Guide To Subjectivism About Color, Readings on Color*. Vol. 1, Alex Byrne and David R. Hilbert, Editors., The MIT Press, 1997, p. 67.

⁴ - كلي رايت، وليام، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمد سيد أحمد، تقديم ومراجعة، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 2010، ص ص، 170-171.

⁵ -Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 26.

⁶ -Ibid., p. 26.

السماء ليس لها انعكاس ضوئي على السطح، والحل الذي بقي لديهم هو الإقرار بأن "السماء زرقاء" جملة كاذبة، لأن السماء ليس لها انعكاس ضوئي على السطح، وكان الهدف من وراء هذا الادعاء الاحتفاظ بنظرية التطابق في الصدق.

هكذا، فتصورات اللون لا يمكن إرجاعها لمنطق ثنائي يحمل قيمة صادق، وقيمة كاذب، وليس كما اعتبرها "لوك" تبعية للمدرك لاحتوائها على خاصيات أولية، بل تشكل الجزء الظاهر من جبل الجليد العائم. وقد بينت نتائج العلوم المعرفية وعلوم الأعصاب بخصوص هذا الموضوع أن العالم كما نعرفه لا ينطوي على خاصيات أولية بالمعنى الوارد عند لوك، لأن خاصيات الأشياء كما نمارس تجربتها، وكما نفهمها، ترتبط أساساً بتركيبتنا العصبية، وتفاعلنا الجسدي معها. وعليه، فالواقعية الوحيدة الممكنة للكائنات البشرية هي واقعية متجسدة¹.

2.2.1. التصورات الذهنية القاعدية

لقد حدد ليكوف بناء على أبحاث علم النفس التجريبي وعلوم الأعصاب مجموعة من الخصائص التي تتميز بها تصورات المستوى القاعدي تتحدد بمظاهر أجسادنا، من قبيل؛ الصور الذهنية، والإدراك الجشطالتي، والبرامج الحركية، وبنية المعرفة².

يترتب عن دراسة تصورات المستوى القاعدي بالشكل الذي حدده ليكوف و"إيانور روش" نتائج فلسفية غاية في الأهمية، تتحدد فيما يلي:

أولاً؛ يتم تقسيم المقولات التصورية إلى مقولات المستوى القاعدي، ومقولات المستوى غير القاعدي، يركز النوع الأول على خصائص جسدية، كالإدراك الجشطالتي، والبرامج الحركية، والصور الذهنية، وهو ما يفسر خطأ الواقعية الميتافيزيقية الكلاسيكية مادامت خصائص المقولات مؤسسة على الجسد، وليست مبنية مباشرة على واقع مستقل عن الذهن.

¹ -Ibid., p. 26.

² - تشكل هذه المكونات التمثل المعرفي والإدراكي لعناصر مقولة معينة أو مفهوم من خلال استخدام أنساقنا المعرفية والتصورية والحركية في حياتنا اليومية، فتشكل جملة من المعاني المحصلة في الذهن مباشرة، وذلك راجع إلى الجسد ومساهمته في خلق التفاعل المباشر مع المحيط المادي والاجتماعي/ الثقافي، بوصفه يمثل نقطة الانطلاق الضرورية في الوجود والحياة. وعادة ما تكتسب هذه المفاهيم في مرحلة مبكرة من النمو، حيث يكتسب الفرد جملة من المفاهيم الأساسية عبر الإدراك، من قبيل: إدراك الأحجام، والألوان، والحرارة، والألم، والطعم... إلخ. أنظر: طعمة، عبد الرحمن محمد، وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، مباحث لغوية 23، ط1، 2019، ص، 103.

ثانياً؛ يعتبر المستوى القاعدي مستوى يتفاعل فيه الناس بصورة مثلى مع محيطهم بالنظر إلى أنواع الأجساد التي يتوفرون عليها، وأنواع البيئات التي يقيمون فيها. وما يجعل هذا ممكناً، يعود في نظر "تفرسكي" و"هيمنواي" إلى أن خصائص مقولات المستوى القاعدي هي استجابات لتلبية حاجة بنية جزء- كل لدى الكائنات، والأشياء الفيزيائية¹.

ثالثاً؛ تُبين مقولة المستوى القاعدي سبب انتشار فلسفة الواقعية الكلاسيكية في الثقافة الغربية، لأنها قوية، وقوتها تتجلى في اتفاقها مع تصورات المستوى القاعدي القائمة على تفاعلنا الأمثل مع العالم الخارجي. وهو ما يجعل من مقولاتنا التصورية متطابقة مع مقولات العالم، أما إذا نظرنا إلى مقولات المستوى الأدنى والمستوى الأعلى، فإن ذلك لا ينجح. لهذا تميل أغلب النظريات الفلسفية التي تهتم بدراسة العلاقة بين المقولات وأشياء العالم إلى استخدام أمثلة المستوى القاعدي، من قبيل؛ "القط فوق الحصير"، و"ضرب الطفل الكرة"، أو استخدام مواد المستوى القاعدي، كالماء، والذهب، وغيرها. ولا تميل إلى استخدام مقولات تقع أسفل السلم التراتبي للمقولات البيولوجية، مثل: "الطوير ذو القلنسوة السمراء"، و"كاسر الجوز ذو الرأس الأسمر"، و"أبو حناء"، وغيرها². غير أن تصورات المستوى القاعدي لا تتوقف على مستوى الأشياء فقط، بل تشمل، كذلك، الأعمال والأنشطة التي نملك بصدها صورا ذهنية وبرامج حركية، كالسباحة، والمشي، أو الإمساك. ولدينا كذلك تصورات قاعدية اجتماعية، كالأسر، والنوادي، وفرق كرة القدم، وأعمال اجتماعية قاعدية، كالحوار، والجدال. وبالمثل، هناك عواطف قاعدية، من قبيل: الفرح، والغضب، والحزن³.

رابعاً؛ تفسر خصائص المستوى القاعدي مظهرها هاما من مظاهر استقرار المعرفة العلمية، وذلك راجع إلى الاتفاق الحاصل بين تصورات المستوى القاعدي، وأشياء العالم الخارجي. وقد شكلت الأدوات التقنية والعلمية توسيعاً لتصورات المستوى القاعدي، وبالتالي توسيع المقولات التصورية لتوافق التمايزات الهامة في العالم.

هكذا، تنشأ التصورات من كوننا كائنات عصبية، ومن طبيعة قدراتنا الجسدية، ومن تجربة تفاعلنا في العالم، وقدرتنا على مقولة المستوى القاعدي؛ أي المستوى الذي نتفاعل فيه بصورة مثلى مع العالم، لأنه مستوى دقيق مقارنة بالمستويات الأخرى. على الرغم من تطابق تصورات المستوى القاعدي مع تصورات الواقعية الكلاسيكية، إلا

¹ -Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 28.

² -Ibid, p. 29.

³ -Ibid., p. 29.

أنها تزودنا بأساس واقعية متجسدة، وهي واقعية متقدمة على الأولى، لأنها تقيم ربطا بين أفكارنا والعالم في المستوى القاعدي عبر أجسادنا التي تعطينا إحساسا بما هو واقعي حقا¹.

3.2.1. البنية العصبية للتصورات الفضائية

تعتبر التصورات الفضائية أساس النسق التصوري البشري، لكونها تقدم معنى للفضاء الذي نتواجد فيه، كما نتجربنا بالشكل الفضائي الموجود، وفي نفس الآن تحدد الاستنتاج الفضائي. غير أن تصورات العلاقات الفضائية ليست كيانات حقيقية في العالم، بل عبارة عن فضاءات ذهنية، أو تصورية، بحيث لا نرى العلاقات الفضائية بنفس الطريقة التي نرى بها الأشياء الفيزيائية، فلا نرى القرب والبعد، أو فوق وتحت، لأنها مجرد محمولات تسند للأشياء من زاوية محددة، ونقوم نحن بفرض تلك العلاقة الفضائية، مثل: علاقة أمام- خلف على فضاء ما بطريقة محددة. الأمر الذي يجعل تصورات العلاقات الفضائية تختلف باختلاف الأنساق التصورية².

يرى ليكوف أننا نستخدم تصورات العلاقات الفضائية بصورة لا واعية، ونفرضها بواسطة نسقنا المعرفي والتصوري. وبموجب ذلك، ندرك آليا ولا واعيا كيانات بوصفها توجد "في"، أو "على"، أو "عبر" كيان آخر. فهذا الإدراك يتوقف على قدر هائل من النشاط الآلي واللاواعي، فرؤيتنا للفراشة في الحديقة، مثلا، يتطلب منا إسقاط كمية هائلة من البنى التصورية على المشهد أمامنا بغية بناء حدود ذهنية لهذا الفضاء. لذلك، نتصور الحديقة كما لو كانت وعاء له بنية مكونة من: داخل، وخارج، وحدود، ونرى الفراشة داخل هذا الفضاء أو الوعاء التصوري. بهذا، فإننا نمارس أعمال الإدراك الخيالي على أنشطتنا وتجاربنا، ومادامت أغلب العلاقات الفضائية عبارة عن بنيات مركبة ومكونة من علاقات فضائية أولية، فإن هناك عبارات في الإنجليزية، مثل: أمام "into" مركبة من علاقيتين أوليتين: in (في)، و to (إلى)، ونفس الشيء يطرح بخصوص العلاقة "فوق- تحت"، فهي مكونة من علاقة اتصال، أو دعامة، أو مسنود إلى. وكل معنى من هذه المعاني عبارة عن علاقة فضائية أولية لها بنية داخلية تتكون من خطاطة صورة، ومن مظهر، وبنية³.

إن تصورات العلاقات الفضائية تقوم على إسقاطات جسدية تسمح لنا بالكشف عن الكيفية التي تتشكل بها البنية التصورية بواسطة الجسد، فمعاني الألفاظ، من قبيل: أمام- خلف ترتبط أساسا بالجسد، بحيث يلازمنا أمام وخلف. علاوة على ذلك، نتحرك في اتجاه أمام ونتفاعل مع الأشياء، والناس والآخرين، بهذا الأمام، ويعد

¹ -Ibid., p. 30.

² -Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 30.

³ -Ibid., p. 31.

خلف نقيض للأمام غير قابل للإدراك مباشرة، كما لا نتحرك تجاهه ولا نتفاعل مع الأشياء والآخرين ورائنا¹. على هذا الأساس، نسقط علاقة الأمام- خلف على الأشياء، فما نعتبره أمامنا قد يكون شيء اصطناعي، من قبيل؛ الحاسوب، التلفاز، الهاتف... إلخ، بحيث نتفاعل مع هذه الأشياء عبر استخدامنا لهذا الأمام، وما نعتبره أماماً بالنسبة لشيء متحرك، كالسيارة مثلاً، هو ذلك الجزء الذي يواجه الاتجاه الذي تتحرك فيه السيارة عادة. من ثم، يمكن أن نسقط الأمام على الأشياء الثابتة دون أن يلزمها الأمام، كالأشجار، والصخور، مثلاً، ونسقط الأمام، كذلك، أثناء حديثنا عن شيء ما، فيكون الأمام مواجهها للمتكلم².

هكذا، فتصورنا للأمام والخلف يقومان على الجسد كمركز لتحديد العلاقات الفضائية، ولا معنى لهما في غياب الجسد الذي يسهم في تحديد الأمام والخلف. والسبب في ذلك، راجع إلى أن أجسادنا متناظرة بطرق معينة، فلنا وجوه ونتحرك في الاتجاه الذي نرى فيه. وعليه، فأجسادنا تحدد مجموعة من التوجهات الفضائية الأساسية التي نستخدمها في توجيه أنفسنا، وإدراك العلاقة بين شيء وآخر³.

إن العلاقات الفضائية المحددة عبر الإسقاطات الجسدية غير محددة موضوعياً، فعندما توجد قطة أمام سيارة أو وراء شجرة، فإن العلاقتين أمام وخلف بين القطة والسيارة، أو بين القطة والشجرة لا توجدان في العالم الموضوعي. فليست العلاقة الفضائية كيانا في حقلنا البصري، بل تتحدد بحسب قدرتنا على إسقاط "أمام" و "خلف" على السيارة والشجرة، ونفرض علاقات على المشهد البصري بواسطة هذه الإسقاطات الجسدية. وعليه، فإدراك القطة باعتبارها خلف الشجرة يتطلب إسقاطاً يقوم على طبيعة أجسادنا ويتأسس عليها⁴.

في هذا الإطار، يرى ليكوف أن اللغة الإنجليزية فقيرة على مستوى استعمال الإسقاطات الجسدية لبناء تصورات العلاقات الفضائية مقارنة بلغات "العائلة الأتومونغية"^{*}، مثل لغة "الميكستيك"^{**}، وهي لغة سكان أمريكا الأصليين، ويتحدث بها أهالي المكسيكيين، فلا وجود في لغة "الميكستيك" لتصور موحد يوافق اللفظ الإنجليزي on

¹- Ibid., p. 34.

² - إن متكلمي اللغة الإنجليزية وحتى العربية يسقطون الأمامات على أشياء التي نتكلم عنها، فيكون الأمام مواجهها للمتكلم وفي لغات أخرى، مثل لغة الهاوسا (هي لغة إفريقية تستعمل أساساً في نيجيريا والنيجر وغانا، وفي بلدان إفريقيا أخرى)، يسقط المتكلم الأمامات على أشياء كهاته في الاتجاه النقيض، وهو الاتجاه الذي يقابل أمام المتكلم. أنظر: لايكوف، جورج، جونسون، مارك، الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، مصدر سابق، ص، 76.

³ -Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 34.

⁴ -Ibid., p. 35.

*Otomonguean Family

**Mixtec

"على"، والمجال الذي يغطيه هذا اللفظ، لأنه يحدد عادة باعتماد إسقاطات أجزاء الجسد، لو قلنا، مثلاً؛ "إنه على قمة الجبل"، فهو قول يوافق عبارة "يتموقع رأس الجبل"، وبالمثل، فقولنا: "كنت على سطح المنزل"، يساوي قولنا: "كنت أتموقع ظهر المنزل". هكذا، فالتباين بين اللغات ينعكس على الطريقة التي نحدد بها العلاقات الفضائية، فبعضها يقوم على الجسد، ويتأسس البعض الآخر على ما هو خارجي، مثل قولنا: "القطة توجد شمال الطريق".

إن الأمثلة التي أوردناها سلفاً تبين أن تصورات العلاقات الفضائية متجسدة بطرق متعددة، لأن الإسقاطات المستخدمة تقوم على الجسد البشري، فنتصور بذلك، أمام وخلف في لغة "الميكستيك" كما لو كانت ناشئة عن الجسد ومتوقفة عليه ولا معنى لها بدونه. ونفس الأمر يتعلق بالخطاطات الأساسية المرتبطة بالقوة، والدينامية، والضغط، والجر، والدفع، والدعم، وغيرها. في هذا السياق، يقر مارك جونسون بأنه لا وجود لخطاطة تمثل القوة إذ لم تنطو على تفاعل حادث أو ممكن¹. وهو ما يعني أننا نفهم الخطاطات عبر استخدامنا لجسدنا وقدرتنا على تحريكها وخاصة أجزائها، كالأطراف، والأيدي، والأرجل... إلخ².

وفي نفس السياق، نفهم خطاطات صور أخرى عبر الجسد، فنتصور الجسد كما لو كان حاوية أو وعاء يدخله الهواء والغذاء ويخرجان منه، كما نوجه أجسادنا باستمرار بالنظر إلى حاويات، وغرف، وأسرة وبنائيات. وهذا يتطلب منا وقتاً طويلاً لوضع الأشياء في حاويات أو نضعها خارجها، كما نسقط الحاويات المجردة على مجالات معينة في الفضاء، مثل قولنا: "دخل القطار نطاق رؤيتي". وعلاوة على ذلك، كلما رأينا شيء يتحرك نفهم هذه الحركة من خلال خطاطة المصدر - المسلك - الهدف، ونفكر تبعاً لذلك³. وهذا يدل على أن المعنى متأصل في خطاطة الصورة بما هي نتاج تفاعل قائم على التخوم بين مجالي التجربة الحسية الحركية والمستوى التصوري⁴.

إن أشكال التجسد هاته تنشأ من الكيفية التي "نخطط" بها أجسادنا والأشياء التي تتفاعل معها يومياً، وهو ما يدعوه ليكوف بـ "التجسد الفينومينولوجي"^{*}. لكن هناك تجسيدا عصبيا، كما أوضحنا ذلك في مقولة اللون، والتجسيد العصبي يحدد الآليات العصبية الناجمة عن التصورات، مثلاً، ترتبط الدارة العصبية وتدرجات اللون التي تحملها إلى الوجود وتميزه بنية مقولات اللون. لذلك، فالآليات العصبية تفسر لماذا تملك مقولات اللون عدداً من

¹-Johnson, M, *The body in the mind*, the bodily bases of meaning, Imagination and Reason, Chicago University Press, 1987, p. xiv.

²-Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 36.

³-Ibid., p. 36.

⁴-Evans, V, and, Green, M, *cognitive Linguistics an Introduction*, Edinburgh University Press, 2006, p. 190.

* Phenomenological Embodiment

الخصائص الفينومينولوجية، غير أن ليكوف يشير إلى غياب أية معرفة بالآليات العصبية التي تنتج تصورات العلاقات الفضائية، بحيث تم بناء نموذجاً عصبياً حاسوبياً يصف بعض خطاطات الصور وصفاً عصبياً. وهو ما يفسر الكيفية التي تحدد بها الخصائص الطوبولوجية والاتجاهية¹. ويمكن أن نتوقف عند بعض "النماذج العصبية"² المحددة لهذه التصورات، من خلال معالجة قضية أساسية مفادها أن المعرفة لها أساس عصبي- بيولوجي.

3. النمذجة العصبية للذهن

رأينا سابقاً كيف أن البنية التصورية لا تنفصل عن البنية المعرفية- الذهنية، فكلاهما يستخدمان النسق الحسي الحركي، ونحاول الآن بالاعتماد على النماذج العصبية الفيزيولوجية بيان كيف أن النسق التصوري يستخدم نفس الآليات التي يستخدمها النسق الحسي الحركي، وهي آليات عصبية توجد على مستوى الدماغ. وهو ما يدعم فكرة أن النسق التصوري متجسد بطرق متعددة، وبما أن عملية بناء المعنى عملية تصورية بالأساس، فإن المعنى متجسد أيضاً، وهي فكرة تخالف ما ذهب إليه معظم النظريات الفلسفية التقليدية القائمة أساساً على فرضية الملكة النفسية، والتي تقر بأن الناس يتوفرون على ملكة للتفكير مستقلة تماماً عن الإدراك والحركة الجسدية. كما تقر بأن التصورات جزء لا يتجزأ من ملكة الذهن والتفكير، والواقع أن التفكير نتاج للإدراك والحركة³. من هنا، نقل ليكوف مفهوم الجسد من كونه وعاء حاملاً للتصورات إلى كونه فاعلاً في بناء التصور، أو من التحقق الجسدي إلى التشكل الجسدي.

1.3. التجسيد بين التحقق والتشكل

إن علاقة الفكر بالجسد تطرح إشكالات تتعلق بما إذا كان الجسد مجرد تحققاً للفكر أم أنه يسهم في تشكيله وبنائه. وهنا يعترض ليكوف على الموقف الذي يرى أن التصورات الفعلية ليست مكونة من الجسد، بل هي تصورات صورية في طبيعتها، وأكد بالمقابل على إمكانية تحقق البنية التصورية عصبياً في الدماغ القائم في الجسد. وإذا كان الموقف الفلسفي التقليدي لا يقبل بوجود شيء يرتبط بالجسد جوهرياً ويسهم في تحديد التصورات وماهيتها، فإن ليكوف يرى، بخلاف ذلك، أننا عندما نقر بأن الذهن متجسد لا نعني أن الجسد نحتاج إليه من أجل التفكير والتصور. وهنا ينبغي التمييز بين الذهن في الجسد والذهن المتجسد. فالنوع الأول يدافع عنه الموقف الوظيفي والذهني

¹ -Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 37.

² - يعد مفهوم النماذج العصبية أو النمذجة العصبية مفهوم جديد ابتكره العلماء متأثرين بمصطلح النمذجة الحاسوبية، فحاولوا وضع افتراض أو تصور عن وجود نماذج لكل الأشياء التي تقوم عليها أنشطتنا اليومية داخل الدماغ، بحيث يصنعها المخ داخلنا وتشبه برامج الحاسوب، فبواسطة هذه النماذج تتفاعل مع العالم والآخرين. أنظر: عطية، سليمان أحمد، اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ، مرجع سابق، ص، 402.

³ -Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 37.

مع تشومسكي ومدرسته¹، ويرتبط النوع الثاني بالخصائص الفعلية للتصورات التي تنشأ نتيجة للكيفية التي يتشكل بها الذهن والجسد، من جهة، ونتيجة للكيفية التي يعملان بها في تحديد العلاقات بين الأشخاص وفي العالم الخارجي، من جهة أخرى².

على هذا النحو، يسعى موقف الذهن المتجسد إلى تجسير الهوة بين البنية التصورية والبنية المعرفية، أو بين التصور والإدراك من خلال تحديد الدور الذي يقوم به النسق العصبي في وصف الظواهر المعرفية وبناء التصورات. ومعنى ذلك، أن الآليات المسؤولة عن الإدراك، والحركات، ومعالجة الأشياء، قد تكون هي نفسها مسؤولة عن بناء التصورات، وطرق التفكير. إن الأبحاث الراهنة في النمذجة العصبية³ تقر بإمكان الآليات الإدراكية وخطاطات الحركة القيام بعمل تصوري على مستوى تعلم اللغة والتفكير. وهي فرضية تتجاوز النظريات الفلسفية السائدة في الفكر الغربي القائمة على علم النفس الساذج⁴، وصورته الحديثة في نظريات النمذجة العصبية القوية للعقل واللغة مع تشومسكي، وكلتاها تقران بضرورة الفصل بين الآليات المعرفية وآليات بناء التصور⁵.

2.3. النمذجة العصبية دليلا على ارتباط الذهن بالجسد والدماغ

يقر ليكوف بأنه لا يتوفر على دليل قاطع بصدد وجود أنسقة عصبية فيزيولوجية تنشأ عن مسح ضوئي، أو قياس وظيفي لنشاط الذهن عبر التصوير المغناطيسي بالصدى، تثبت أن الآليات العصبية المستخدمة في الإدراك والحركة هي نفسها المستخدمة في التفكير المجرد. وعلى كل حال هناك دليل "وجود"، أو "ممكن" يبرر هذا الاعتقاد ويدعمه، بحيث إن هناك نماذج عصبية للإدراك والحركة تستخدم لأغراض تصورية، وهي نوعان: يساهم النوع الأول في تعلم بنية حقل دلالي لمداخل معجمية بهدف تحديد العلاقة بين الألفاظ بشكل صحيح، ويعمل النموذج الثاني

¹ - يرى تشومسكي أن دراسة الملكات الذهنية لا تنفصل عن دراسة الدماغ، نظرا لأن الملكات الذهنية ليست سوى أعضاء ذهنية ماثلة للقلب أو الرؤية. أنظر:

- Chomsky, N, *Rules and Representation*, basil, Blackwell, 1980, p. 49.

² - Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 37.

³ - لقد تبني بعض العلماء فكرة مختلفة عن مفهوم النمذجة العصبية، فقد أسس "غي تيرغيان" نظرية النماذج الذهنية على ما هو تصوري مبرزا دورها في تمثيل العالم الخارجي. وبالتالي بناء نماذج لواقع تتحكم في مختلف الأنشطة المعرفية. أنظر: عطية، سليمان أحمد، اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ، مرجع سابق، ص، 405.

⁴ - لا توجد كتب مخصصة لشرح مجال اسمه "علم النفس الساذج" لكن هذا المجال شكل مبحثا من مباحث فلسفة اللغة العادية، واشتغل به بعض فلاسفة الذهن في السنوات الأخيرة. فقد وصف "دانييل دينيت" علم النفس الساذج بأنه دراسة للفعل والسلوك البشريين، باعتبارهما عنصران يصدران عن التفاعل بين الحالات الذهنية التي تناسب الكائنات البشرية. أنظر: الحداد، مصطفى، *اللغة والفكر وفلسفة الذهن*، منشورات جمعية الأعمال الاجتماعية والثقافية بكلية الآداب تطوان، 1995، ص، 42.

⁵ - Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 37.

على بناء استنتاجات مجردة. هذه النماذج مجرد براهين ممكنة تسمح بإبراز البنيات العصبية التي يمكن أن تكون مسؤولة عن الوظائف الحسية الحركية للدماغ، ولها القدرة على الإدراك والتحكم الحركي، من جهة، وبناء التصورات، والمقولة، والتفكير، من جهة أخرى¹.

إن ما يجعل النماذج العصبية ذات أهمية عند ليكوف هو أنها نماذج حاسوبية تدخل ضمن إطار علم الأعصاب الحاسوبي²، بحيث يحدد مكان حدوث الحوسبات العصبية، وكيفية حدوثها عبر ربط الآليات العصبية الحاسوبية الدقيقة التي تقوم بعملية حسية حركية، وبناء التصورات، وتعلم اللغة. وبهذا استند ليكوف إلى ثلاث نماذج عصبية، كل منها تبرز تأثير النسق العصبي الحسي في النسق التصوري، والتي تظهر في تصورات العلاقات الفضائية المتحققة في الألفاظ الأولية في جميع اللغات، من قبيل؛ في، على، فوق، عبر، تحت... إلخ، وتصورات الحركة الجسدية المتمثلة في أفعال، مثل؛ أمسك، قبض، أخذ، جذب، سحب، رفع، ضرب... إلخ. وأخيراً، تصورات بنية الحدث أو ما يسمى في اللسانيات بـ "الجهة"، مثل؛ البداية، التوقف، الإيجاز، الاستمرار، الإتمام، الإنهاء... إلخ³، وتصورات البنية الجهية نوعان: ترتبط الأولى بالأحداث المستمرة، ويشار إليها بالفعل المساعد في الإنجليزية بـ is/are، وهذه الأفعال لواحق، مثل؛ ing، كما في قولنا؛ is running (يجري)، ويتعلق النوع الثاني بالأحداث التي تمت وانتهت، والمشار إليها عادة بـ "has/ have" يتبعها جذع الفعل واللاحقة "ed"، كما في قولنا: "has lifted"⁴.

كل هذه التصورات ترتبط بما يقوم به الجسد على مستوى الإدراك والحركة. وهو ما يعني أن الجسد محور أساسي في تشكيل التصورات، سواء كانت تصورات العلاقات الفضائية، بحيث يكون للبصر قدرة على تحديد الفضاء وبناء تصورات ومنطقه، أو كانت تصورات الحركة الجسدية المرتبطة بالأعمال، والأنشطة الحركية. وهنا تقوم خطاطات الحركة الجسدية بتشكيل التصورات وتحديد منطقها الداخلي. ومادام الجسد يتحرك بشكل اعتيادي ويومي، فإن البنية العامة لخطاطات التحكم فيه تستخدم في تحديد البنية الجهية كذلك، والموجودة في الأنشطة والأحداث العامة.

¹ - Ibid., p. 38.

² - يغطي مصطلح العلوم العصبية الحاسوبية computational neuroscience مجموعة من الأساليب لفهم الجهاز العصبي، ولتحقيق أي تماسك في بناء دورة تسمى "علم الأعصاب الحاسوبية" يتطلب استبعاد أجزاء واسعة من الحقل. تم استخدام عدد من المخططات المختلفة لتقسيم العديد من هذه تندرج تحت عبارة "مستويات التحليل". أحد التقسيمات وفقاً لمستوى التحليل هو أمر بيولوجي: يمكن دراسة المخ في تسلسل هرمي من المقاييس تتراوح من المستوى الخلوي والجزيئي إلى مستوى الدوائر الموضوعية الصغيرة في الدماغ إلى مستوى دوائر الدماغ واسعة النطاق التي تشمل أنظمة فرعية عصبية متعددة. أنظر:

-Troyer, Todd, *An Introduction to Computational Neuroscience*, Draft Manuscript, printed March 16, 2007, p. 3.

³ -Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 39.

⁴ -Ibid., p. 39.

كما تفترض النماذج العصبية فكرة تتمثل في أن الأنسقة البصرية للذهن تستخدم في تحديد تصورات العلاقات الفضائية، بينما تكون الخطاطات الحركية متضمنة في ما تعنيه أفعال الانتقال الحركي. علاوة على ذلك، فالشكل العام المتحكم في الحركة يعطي شكلا عاما لكل أنشطتنا والأحداث التي ندركها، فلا تسمح النماذج العصبية بالتمييز بين الإدراك والتصور، لأن النسق التصوري يستخدم أجزاء هامة من النسق الحسي الحركي الذي يفرض بنية تصويرية أساسية¹. بناء عليه، ويمكن أن نقدم صورة مبسطة عن هذه النماذج العصبية، كما يلي:

(أ) نموذج ريجير

قدم ريجير سنة 1996م، نموذجا عصبيا لتعلم ألفاظ العلاقات الفضائية في لغات العالم مستخدما تقنية الهندسة العصبية لبناء أوضاع فضائية متنوعة، ووصف لغوي يحدد الوضع في لغة من اللغات². لذلك، اعتبر أن النموذج العصبي مسؤول عن تعلم نسق التصورات وألفاظ العلاقات الفضائية، ليصبح قادرا على مقولة بناءات الأوضاع الجديدة من خلال بناءات الأوضاع الفضائية الثابتة، مثل؛ "on"، "على"، والحالات التي تتطلب حركة، مثل؛ onto. وعليه، فالنموذج الذي نتعلمه لا يستخدم حالات مُقولة بشكل خاطئ، بل تستخدم في الحالات الممقولة بشكل صحيح³.

إن الفكرة التي نستشفها من خلال هذا النموذج تتمثل في أن ألفاظ العلاقات الفضائية ألفاظا مختلفة ومتنوعة بحسب اختلاف وتنوع اللغات في العالم، بحيث يمكننا هذا النموذج من مقولة الفضاء عبر استعمال بنيات توجد في النسق البصري للدماغ. وهذا يبين كيف أن تصورات العلاقات الفضائية تركز أساسا على البنيات العصبية في النسق البصري للدماغ، الأمر الذي يجعل نموذج "ريجير" مصمم ليستخدم أنماط البنيات التي توجد في النسق البصري البشري، ومن أهم النتائج التي توصل إليها "ريجير"، ما يلي⁴:

- إن الخرائط الطبوغرافية للنسق البصري يجب أن تكون مستخدمة في حوسبة خطاطات الصورة التي لها خصائص طوبولوجية، مثل؛ خطاطة الحاوية.

¹-Ibid., p. 39.

²-Feldman, Jerome, and, Lakoff, George, *Embodied Conceptual and Lexical Development*, ICSI and UC Berkeley, 1996, p. 42.

³-Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 40.

⁴-Ibid, pp: 40-41.

* Ramachandran, V, S, and R, L, Gregory

- إن توليفات الخلايا الحساسة للاتجاه يجب أن تكون قادرة على حوسبة الجوانب الاتجاهية للتصورات الفضائية المعتمدة على الاتجاه الجسدي، مثل: فوق، خلف، وغيرها.
- إن الحقول الحساسة تجاه التمايز الحاصل بين مركز وهامش يجب أن تكون حاسمة في تخصيص تصورات، مثل؛ الاتصال.
- إن هندسة "الملء" التي اكتشفها "راماشاندران" و"غريغوري" 1991م*، يجب أن تلعب دوراً مركزياً في تحديد مفهوم الاحتواء.

لقد بينَ "ريجير" أن الخصائص الطوبولوجية للعلاقات الفضائية تقبل التفسير بناءً على الخصائص الطوبولوجية الناشئة عن تطبيق حقول حساسة للاتجاه، مع الأخذ بعين الاعتبار التمايز بين المركز والهامش، وسيرورة "راماشاندران" المعتمدة على "ملء" الخرائط الطوبوغرافية للحقل البصري. وهنا يتساءل ليكوف عما إذا كان الدماغ يطور نسقاً آخر غير بصري مع نفس الخصائص الطوبولوجية للتفكير في الفضاء، لكوننا نستعمل مسبقاً وبوضوح البصر للاشتغال في الفضاء¹.

هكذا، يمكن القول إن نموذج "ريجير"² نموذجاً معرفياً وتصورياً في الوقت نفسه، فالطريقة التي تعمل بها الآليات المعرفية هي نفس الآليات المعتمدة في إنجاز أهداف تصويرية عبر مقولة بناءات الأوضاع الفضائية، بشكل يوافق التمايزات التصويرية المقابلة لألفاظ العلاقات الفضائية في اللغات الطبيعية، كما أن هذه الآليات المعرفية تقدم بعض المعلومات الدقيقة حول الطريقة التي نستخدم بها البنيات العصبية في الدماغ، لكونها تقوم بعمل معرفي وتصوري في الآن نفسه³.

ب) نموذج بايلي

قدم "دفيد بايلي" 1997م⁴، نموذجاً عصبياً يبين فيه كيف نتعلم أفعال حركة اليد من خلال مقولة وتسمية حركات اليد في اللغات الطبيعية، وكيفية استخدام هذه الأفعال بشكل صحيح لإعطاء أوامر توافق حركة اليد في

¹ -Ibid., p. 43.

² - جاء مفتاح نجاح Regier مباشرةً من التجسيد، فجميع الأشخاص لديهم نفس النظام البصري، وأن المفاهيم البصرية يجب أن تنشأ جميعاً من قدرات هذا النظام. من خلال بناء نموذج نظام بصري بسيط ولكنه واقعي، تمكن Regier من جعل برنامجه يتعلم المصطلحات المكانية من مجموعة واسعة من اللغات باستخدام تقنيات backpropagation البسيطة. أنظر:

- Feldman, Jerome, and, Lakoff, George, *Embodied Conceptual and Lexical Development*, op, cit, p. 42.

³ -Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 41.

* Bailey, D

نموذج حاسوبي للجسد. كما يقوم نموذج "بايلي" على خطاطات التحكم في الحركة من المستوى العالي بغية التحكم في التداوبات الحركية على مستوى الدارات العصبية في قشرة الدماغ الفرعية التي تشتغل بشكل آلي لإنتاج الحركات الصغيرة من مستوى أسفل¹. وغالبا ما تزودنا هذه التداوبات بوسائط تستخدمها خطاطات التحكم الحركي، والتي تدعى "خطاطات التنفيذ"². على هذا الأساس، توصل "بايلي" إلى مجموعة من النتائج، تتمثل فيما يلي:

- تختلف أفعال حركة اليد بشكل كبير عبر العالم، مما يترتب عنه مقولة الحركات الفعلية لليد بطرق مختلفة وواضحة من لغة إلى أخرى.
 - تركز عملية المقولة هاته على خطاطات الحركة الفعلية المستخدمة في تحريك الأشياء بواسطة اليد.
 - تقوم المقولة على الوسائط التي تعطيها تداوبات الحركة الفعلية.
- هكذا، يوضح نموذج "بايلي" أن الآليات الحركية الفعلية يجب أن تقوم بالعمل التصوري لمقولة الأنشطة حتى تسميها. ونجاح نموذج "بايلي" في نظر ليكوف راجع إلى الطريقة التي تحفز بها الدارة العصبية المستخدمة للتحكم في الحركة من أجل تحقيق أهداف تصورية².

ج) نموذج نارايانان

اكتشف "سيريني نارايانان"^{**} خلال 1997م، نمودجا عصيبا لخطاطات الحركة، والجهة اللسانية، والاستعارة، وتتجلى هذه الخطاطات المتحكممة في الحركة والتصور على المستوى الأعلى للدماغ في الخطاطة التالية: الاستعداد، البداية، السيورة، التوقف، أو الاختصار، أو التكرار، المراجعة، ثم الانتهاء³. كما أن كل نشاط حركي من مستوى عال نباشره، من حك رأسنا إلى إدارة زر الضوء، إلى رشفة من كأس شاي، ستكون له هذه البنية. غير أن ليكوف يرى أن الأمر أعقد من هذا، بحيث إن نموذج "نارايانان" المتعلق ببنية التحكم يطرح إمكانية بُنية الأنشطة الحركية

⁴ - بالنسبة إلى عمل بايلي في تعلم الأفعال، نفترض أن الطفل قد حصل بالفعل على مخططات X مختلفة لأفعال يد واحدة تعمل على طاولة. تتمثل مهمة النموذج في معرفة مركبات الفعل التي تصف أعمالها، على عكس نموذج Regier (وجميع شبكات backprop الأخرى)، يجب على النظام ألا يتعرف فقط على وقت استخدام العناصر المعجمية المختلفة، ولكن يجب أيضًا أن يكون قادرًا على استخدام العناصر المستفادة، كأوامر. أنظر:

- Feldman, Jerome, and, Lakoff, George, Embodied Conceptual and Lexical Development, ICSI and UC Berkeley, 1996, p. 42.

¹ - Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 41.

* Executing Schemas

² - Ibid., p. 41.

** Narayanan, S

³ - Lakoff, G, Johnson, M, *Philosophy in the flesh*, op, cit, p. 41.

بغض النظر عن الحالات الفردية الخاصة. من هذا المنطلق، يدعو ليكوف جل علماء اللسانيات إلى الاعتراف بهذا النموذج لما له من أهمية في وصف البنية الدلالية للأحداث عامة، أو ما يدعو اللسانيين بـ "الجهة". فكل عمل يقوم به الفرد، سواء كان حركة جسدية أو فعل مجرد، كالتخطيط لما يمكن القيام به في مأدعة العشاء، يكون له بنية من هذا القبيل. ولكل لغة من اللغات وسائلها الخاصة لتسليط الضوء على جهات هذه البنية، في اللغة الإنجليزية، مثلاً، يتم التركيز على الفعل الحاضر غير المكتمل is/ are، إضافة إلى جذع الفعل مع اللاحقة is walking (يسير)¹.

للجهة إذن، بنية تصويرية ومنطق خاص، وقد توصل نموذج "ناريانان" إلى نتيجة مفادها أن نفس البنيات العصبية المنجزة في التحكم الحركي نجدها في البنية التصويرية للجهة اللسانية، ونفس الآليات العصبية المتحركة جسدياً في الحركات يمكنها أن تقيم استنتاجات منطقية حول بنية الأعمال بشكل عام².

لقد اكتشف "ناريانان" طريقة بارعة لاختبار قدرة النموذج العصبي للتحكم الحركي في المستوى العالي، وقدرته على إقامة استنتاجات مجردة، من خلال الكشف عن حالات تستخدم فيها استعارات عبر إسقاط بنية مجال المصدر (الجسد) على مجال الهدف (الوضع الاقتصادي). فاستعارة الاقتصاد الدولي كثيرة الاستعمال من طرف الجرائد والمجلات المشهورة في تقديم الأخبار الاقتصادية، والتي تتجلى في التعابير الاستعارية الآتية؛ "الهند تتحرر من خناق مجال الأعمال"، و"فرنسا تسقط في الركود وألمانيا تسحبها منه"، ليوضح بذلك أن الخطاطات الحركية للأنشطة الفيزيائية يمكنها أن تنجز استنتاجات مجردة تلائم الاقتصاد الدولي عبر الإسقاط الاستعاري³.

الخاتمة

يبدو، إذن، فمسألة الفصل بين الإدراك والتصور غير ممكنة، مادام الجسد الأساس الوحيد للعمليات معاً، فلا التصور مؤسس على ما هو عقلي خالص، ولا هو مستقل عن قدراتنا في الإدراك والحركة. ولإبطال دعوى الانفصال هاته استند ليكوف إلى النتائج التي قدمتها العلوم المعرفية بصدد الذهن، والتي تكشف عن قصوره ومحدوديته. فقد بينت هذه النتائج أن التصورات القاعدية لا تنفصل عن الجهاز الحركي، والإدراك الجشطالتي، والتخيل الذهني، وكل هذا ينقذ على مستوى النسق البصري للدماغ. ونفس الشيء نقوله بصدد تصورات اللون، فليست ذهنية خالصة، بل تستخدم أجزاء فيزيائية لأجسادنا، من قبيل؛ تدرجات اللون، والدائرة العصبية. وما قلناه عن التصورات المرتبطة

¹ - Ibid., p. 42.

² - Ibid., p. 42.

³ - Ibid., p. 42.

بالمستوى القاعدي، واللون، نقوله كذلك عن تصورات العلاقات الفضائية التي تتجلى في تعابير، مثل: "أمام-خلف"، "فوق-تحت"، فليست محددة انطلاقاً من قدرات ذهنية مجردة وغير متجسدة، وإنما من خلال التوجه الجسدي؛ أي من خلال الحالات التي يعتبر فيها الجسد عنصراً أساسياً في بناء التصورات وتحديد المعاني¹. وتشكل النماذج العصبية في نظر ليكوف برهان وجود، بحيث يمكن تمثيل تصورات العلاقات الفضائية، وكذا تعلم ألفاظ العلاقات الفضائية بناء على النسق العصبي الإدراكي في النسق البصري للدماغ الذي يحتوي خرائط طوبوغرافية لحقل البصر، والخلايا الحساسة للاتجاه، وغيرها. ويمكن كذلك، تمثيل تصورات حركات اليد، وتعلم ألفاظ حركة اليد بناء على نماذج مفصلة للتحكم الحركي العالي المستوى، والتداوبات الحركية. كما أن التصورات الجهية التي تحدد بنية الأحداث تُمثل من خلال الخطاطات العامة للتحكم الحركي، والتفكير المجرد الذي يستعمل الخطاطات، يمكن أن يباشر باستخدام نماذج محاكاة عصبية للتحكم الحركي². وهو ما دفع نارايانان إلى بيان كيف أن البنية العصبية المتحكم في الحركة تقتضي مسبقاً قدرات ضرورية لتحديد الجهة، أو بنية الأحداث ومنطقها. وهنا يتساءل ليكوف عما إذا كان للدماغ قدرة على التفكير في الأنشطة المستخدمة لتحديد بنية الحدث، وأن يبنى نسقاً آخر للقيام بنفس الشيء، وإذا كان بإمكانه فعل ذلك، هل هذا النسق يتخذ شكلاً عصبياً مختلفاً عن الأول بشكل دال؟ وهنا يقر ليكوف بأن هذه النماذج لم تبرهن على أن الناس يستعملون فعلاً أجزاء من الدماغ تكون مسؤولة عن الإدراك والتحكم الحركي للقيام بهذا التفكير، ومع ذلك يرى أن هذا ممكن مبدئياً؛ بحيث إن النماذج العصبية لخطاطات التحكم الحركي قادرة على تحديد الأنشطة البشرية³. هكذا، فالإقرار بأن التفكير متجسد يطرح في نظر ليكوف سؤالاً تجريبياً، يدخل في إطار علم الأعصاب التجريبي ولا علاقة له بالجدال الفلسفي. وهو ما يجعل البرهان الذي قدمته النماذج العصبية يدعم لا محالة حجة المعرفة المتجسدة، وهذا سبب كاف للاعتقاد بأن نظرية المعرفة المتجسدة- حسب ليكوف- نظرية صحيحة.

¹ -Ibid., p. 37.

² -Ibid., p. 42.

³ - Ibid., p. 43.

لائحة المصادر والمراجع

بالعربية

- الحداد، مصطفى، اللغة والفكر وفلسفة الذهن، منشورات جمعية الأعمال الاجتماعية والثقافية بكلية الآداب تطوان، 1995.
- طعمة، عبد الرحمان محمد، وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، مباحث لغوية 23، ط1، 2019.
- عطية، سليمان أحمد، اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2019.
- كلي رايت، وليام، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمد سيد أحمد، تقديم ومراجعة، إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 2010.
- لايكوف، جورج، وجونسون، مارك، الفلسفة في الجسد، الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2016.

باللغات الأجنبية

- Chomsky, N, *Rules and Representation*, basil, Blackwell, 1980, p. 49.
- Evans, V, and, Green, M, *cognitive Linguistics an Introduction*, Edinburgh University Press, 2006/
- Feldman, Jerome, and, Lakoff, George, *Embodied Conceptual and Lexical Development*, ICSI and UC Berkeley, 1996.
- Jackson, F, and, Pargener, R, *An Objectivist's Guide To Subjectivism About Color, Readings on Color*. Vol. 1, Alex Byrne and David R. Hilbert, Editors., The MIT Press, 1997.
- Johnson, M, *The body in the mind*, the bodily bases of meaning, Imagination and Reason, Chicago University Press, 1987.
- Lakoff, G, Johnson, M. *Philosophy in the flesh: The embodied mind and its challenge to western thought*. New York: Basic Books. 1999.

-
- Maxwell, J, Clerk, "A Dynamical Theory of the Electromagnetic Field, Philosophical Transactions of the Royal Society of London, (1 January 1865). 155: 459–512. [doi:10.1098/rstl.1865.0008](https://doi.org/10.1098/rstl.1865.0008).
 - Merleau-Ponty, M, *La phénoménologie de la perception*, paris, 1945.
 - Rogers, Arthur, *English and American philosophy since 1800*, The Macmillan company, New York, 1962.
 - Troyer, Todd, *An Introduction to Computational Neuroscience*, Draft Manuscript, printed March 16, 2007.
 - Varela, F, and, Thompson, E, Color vision; A case study in the foundations of cognitive science, *Revue de synthèse*: IV, S, 1-2, Janvier- juin, 1990.
 - Zahan, D. *L'Homme et la couleur*, in J. Pirier (éd.) *Histoire des mœurs*, T. 1. Gallimard, La Pléiade, 1990.